وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الكوفة
كلية الفقه- النجف الاشرف

معالم التفسير
في
معاني القران الكريم

رسالة قدمت إلى مجلس كلية الفقه في جامعة الكوفة

وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية

من قبل الطالبة
هدى عبد الحسين مير زوين

إشراف
الأستاذ المساعد في جامعة الكوفة
الدكتور صباح عباس عنوز

١٤٢٩هـ **٢٠٠٨م**

بسم الله الرحمن الرحيم

{قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً }

صدق الله العلي العظيم

الإسراء :٨٨

الإهداء

إلى سّيد البلغاء و الفصحاء ،سيدي و مولاي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) اهدي هذا الجهد المتواضع.

شكر و عرفان

أودّ أن أقدّم شكري وامتناني للأستاذ المشرف الأستاذ المساعد د. **صباح عباس عنوز** الذي رأيت فيه رأيا راجحا يسدّد خطاي وفكرا ثاقبا يقوّم نتاجي و يعدّل شططي ،فما بخل عليّ بما فاضت قريحته و جادت به نفسه ، فكابد معي متاعب الطريق و تحمّل صعوباته على الرغم من مسؤولياته الكبيرة ، وقد كان لجهوده الحثيثة في متابعة فصول الرسالة و تشجيعه المستمرّ لي بالغ الأثر في تذليل العقبات و تجاوز المشكلات ،فله منّي شكر و عرفان ووفاء فقد كان بحقّ أخا كريما قبل أن يكون أستاذا ومشرفا .

و شكري الخالص وامتناني لأبي و أستاذي الأستاذ الأول المتمرس الدكتور محمد حسين علي الصغير لتفضّله بإسداء رأيه في اختيار الموضوع ، وقد أفدت من أرائه كثيرا إذ كانت كتبه و مؤلفاته نعم العون لي في كل خطوه من خطوات البحث ، فله مني فاضل الاحترام و التقدير و العرفان بالجميل.

كما أتقدم بالشكر لكل أساتذتي الذين كان لهم فضل المشورة وإسداء الرأي في خطوات بحثي ،ذاكرة منهم الشيخ د. صاحب نصّار و د.علي خضير حجي الذي كان نعم الأخ وهو يعينني بنصائحه السديدة.

وشكري الوافر وامتناني إلى والديّ لتشجيعهما وحثهما المستمر على إكمال الدراسة والشكر الجزيل إلى زوجي عدنان دوش لوقوفه معي في كل مراحل البحث، وعدم ادخاره جهدا في تقديم العون و التشجيع و المساعدة .

وشكري الوافر لكل من أسهم في ا إسداء نصيحة من الأهل و المقربين ومن ساعدني على طبع هذه الرسالة واخص بالذكر الأخ عادل دوش.

و أتقدم بشكري إلى اسر المكتبات العامة في النجف الاشرف كافة وبعض المكتبات الخاصة إذ ذلل القائمون عليها الصعوبات أمامي شاكره صبرهم عليّ طيلة مدة الكتابة فجزاهم الله خير الجزاء.

و الشكر و الثناء و الحمد أولا و أخرا لله رب العالمين

الباحثة

محتويات البحث

- **المقدمة**.....**١-٣**
- **التمهيد:**.....٤-٧
- أولا: معالم التفسير.....٤
- ثانيا: معاني القران.....٦

الفصل الأول :**معالم التفسير في ضوء معاني القرآن(التأثر و التأثير)**....٨-٥٤

- المبحث الأول: علم المعاني بين النشأة واعتماد المفسرين.....٩
- المعاني في اللغة و الاصطلاح.....١٥
- تأصيل علم المعاني.....١٩
- علم المعاني بين النحو و البلاغة و الأصول.....٢٢
- المبحث الثاني: مقاصد التفسير متأثرة بعلم المعاني ٢٥
- المبحث الثالث : اثر التفسير في تطوير علم المعاني.....٣٩

الفصل الثاني: تحقق السمة التفسيرية بمجالات علم المعاني... ٥٥-١٤٤

- المبحث الأول : السمة التفسيرية المتخصصة ب(الفصل و الوصل و الإيجاز والإطناب و المساواة و القصر) ٥٦
- أولا: الفصل و الوصل.....٥٦

١- الفصل و مواضعه.....٥٦

٢- الوصل و مواضعه.....٦٠

- بلاغة الوصل و بلاغة الفصل.....٦٤
- ثانيا: الإيجاز و الإطناب و المساواة.....٦٥

١- الإيجاز.....٦٦

ا- إيجاز القصر.....٦٦

ب- إيجاز الحذف.....٦٩

٢- الإطناب.....٧٢

- مواضع الإطناب.....٧٣
٣- المساواة.....٧٦
- ثالثا: القصر و أثره التفسيري.....٧٨
- طرق القصر ٨١
- تنزيل المجهول منزلة المعلوم ٨٣
- المبحث الثاني : السمة التفسيرية المتخصصة بموضوع الغياب و الحضور (الحذف و الذكر).....٨٨
- أولا : الحذف(الغياب).....٨٩
١- حذف المسند إليه.....٨٩
٢- حذف المسند أو تركه.....٩٣
٣- حذف المسند و المسند إليه ٩٥
٤- حذف المفعول.....٩٦
- ثانيا: الذكر (الحضور).....١٠٢
١- ذكر المسند إليه.....١٠٢
٢- ذكر المسند ١٠٣
٣- ذكر المفعول.....١٠٥
- المبحث الثالث: السمة التفسيرية المتخصصة بدلالات مباني المعاني ١٠٨
- (التقديم و التأخير- الخبر و الإنشاء).....١٠٨
- التقديم و التأخير و أثرهما في التفسير.....١٠٨
- أولا: التقديم ١٠٨
١- تقديم المسند إليه وأثره في التفسير.....١٠٩
٢- تقديم المسند. وأثره في التفسير.....١١١
٣- تقديم المفعول به وأثره في التفسير.....١١٣
٤- تقديم متعلقات الفعل وأثرها في التفسير ١١٦
٥-أغراض بلاغية أخرى للتقديم.....١١٨

- ثانيا:التأخير.....١٢٠
- (تأخير المسند أو المسند إليه).....١٢٠

- الخبر و الإنشاء و أغراضهما البلاغية و أثرهما في التفسير.....١٢٢
- أولا : الخبر.....١٢٢
- خروج الخبر على غير مقتضى الظاهر ١٢٢
- أغراض الخبر الأصلية و البلاغية ١٢٥
- ثانيا:الإنشاء وأثره في التفسير.....١٢٧
- الإنشاء الطلبي (١-أسلوب الأمر).....١٢٨
- المعاني البلاغية لصيغة الأمر ١٢٩

٢- أسلوب النهي ١٣٢

- أغراض النهي البلاغية ١٣٣

٣- أسلوب الاستفهام.....١٣٥

- الأغراض البلاغية للاستفهام.....١٣٥

٤- أسلوب التمني ١٣٨

- أغراض التمني البلاغية..... .....١٣٨

٥- أسلوب النداء..... ١٤٠

- المعاني البلاغية للنداء ١٤١
- التعبير بالخبر عن الإنشاء و بالإنشاء عن الخبر.....١٤٢

الفصل الثالث:الوظائف التفسيرية المتخصصة في علم المعاني١٤٥-١٩٣

- المبحث الأول:الوظيفة التفسيرية التشريعية.....١٤٧
- أولا:حجية الكتاب ١٤٨
- ثانيا :حجية

السنة.....١٥٠

- ثالثا :حجية الإجماع.....١٥٢
- رابعا حجية العقل.....١٥٤
- المبحث الثاني:الوظيفة التفسيرية الفقهية.....١٥٩
- أولا : العبادات.....١٦٠
- ثانيا :المعاملات.....١٦٩
- ثالثا: الإيقاعات.....١٧١
- رابعا :الأحكام.....١٧٣
- المبحث الثالث:الوظيفة التفسيرية العقائدية.....١٨٠
- أولا :التوحيد.....١٨١
- ثانيا: النبوة ١٨٣
- ثالثا : الإمامة.....١٨٥
- رابعا :العدل ١٩٠
- خامسا: المعاد.....١٩١

خاتمة البحث.....١٩٤

قائمة المصادر و المراجع.....١٩٦-٢٢٢

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين وآل بيته المنتجبين الطاهرين.

وبعد... فان الله سبحانه خلق الإنسان وميزّه بالعقل من سواه وجعل المعاني والبيان ميدانا ومراتبَ للرقي العقلي، ولا غرابة في ذلك، فثمّة صلة وثيقة بين التأمّل العقلي وتقلبات المعاني وقد جاء القرآن الكريم مبدعا في ذلك ومتحديا المواهب ومثبتا إعجازه في هذا الشأن، فتحرّكت عجلة البحث في معاني القرآن واستدارت حلقات الدرس، الأمر الذي أعطى علم المعاني ميزة التكريم، فبُوّبت أقسامه وفُصّلت أجزاؤه، إذ زاد البحث القرآني فيه من علوّ الشأن وعميق الدرس، فانتبه إليه المفسرون ورمقوه بنظرة احترام وتقدير ووجدوه رافدا مهما وطريقا علميا للوصول إلى مقاصد التفسير، من هنا كانت التفاتتي لهذا الموضوع بعد أن أشار عليّ السيد المشرف العلمي بدراسته، فقبلت به متشوقة وراغبة في البحث، وقد حاولت جاهدة إظهار ملامح التفسير في معاني القرآن الكريم، وكيف يمكن أن تكون المعاني طريقا موصلا إلى التفسير، وكيف لنا أن نخرج بحصيلة تفسيرية قوامها علم المعاني، الذي دأب المفسرون على أن لا يتركوه وهم يجولون في فضاءات النص القرآني، وقد وجدت إشارات ووقفات كثيرة عندهم اعتمدوا من خلالها على علم المعاني وجعلوه سببا للوصول إلى معنى النص القرآني.

وإذ قُسّم علم المعاني على مباحث أحوال الإسناد الخبري وأحوال المسند إليه وأحوال المسند وأحوال متعلقات الفعل وأساليب القصر والإنشاء والفصل والوصل والإيجاز والإطناب، فان ما أبتغيه هو الغاية التفسيرية الناتجة عن الدلالة التي تكوّنها هذه الأقسام، وكيف تسهم في تفسير النص القرآني، حيث تأتي معاني القرآن حاضنة لتلك السياقات القرآنية الكريمة، ومن ثم ماهية الملامح التفسيرية المتحققة في النص القرآني الكريم، وبعد التوكّل على الله كتبت موضوعي هذا راسمة لمنهجية من مقدّمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، مؤكدة السمة التفسيرية لبحثي أولا ونائبة به عن الدراسة البلاغية الصرفة.

فجاء التمهيد مختصّا بتوضيح عنوان البحث (معالم التفسير في معاني القرآن)، وبعده انتظمت الدراسة في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: جاء بعنوان: معالم التفسير في ضوء معاني القرآن الكريم (التأثر والتأثير)، ويشتمل على ثلاثة مباحث رئيسة،المبحث الأول تحت عنوان: (علم المعاني بين النشأة واعتماد المفسرين) وقد احتوى على نشأة علم المعاني وتأصيله، وجاء المبحث الثاني تحت عنوان: (مقاصد التفسير متأثرة بعلم المعاني) وبحثت فيه أهمية معرفته لمن أراد الغوص في تفسير النص القرآني، وجاء المبحث الثالث تحت عنوان (أثر التفسير في تطوّر علم المعاني) إذ وضحت أثر القرآن الكريم في تطوّر التأليفات التي تضمّنت علم المعاني.

وجاء الفصل الثاني: تحت عنوان: (تحقق السمة التفسيرية بمجالات علم المعاني) إذ لاحق الروافد التفسيرية التي اتّخذت علم المعاني طريقا موصلا إلى التفسير، وقد اشتمل على ثلاثة مباحث تضمّنت أغلب مفردات علم المعاني التي أسهمت في البناء التفسيري لآي القرآن الكريم، وهي: المبحث الأول بعنوان: السمة التفسيرية المتحققة بـ(الفصل والوصل ـ الإيجاز والإطناب والمساواة ـ القصر).

وكان المبحث الثاني بعنوان: السمة التفسيرية المتحققة بموضوع الغياب والحضور (الحذف والذكر).

والمبحث الثالث هو السمة التفسيرية المتحققة بدلالات مباني المعاني وتشمل (التقديم والتأخير ـ الخبر والإنشاء) أنموذجا. ونظرا لطول هذه المباحث وكثرة شواهدها وما فيها من نكت بلاغية وأسرار إعجازية، فقد عانيت من طول الفصل وأنا محدّدة بعدد معين من الأوراق، الأمر الذي اضطرّني إلى حذف جزء منها بغية الحفاظ على المنهجية البحثية الدقيقة المطلوبة.

أما الفصل الثالث فقد جاء تحت عنوان: (الوظائف التفسيرية المتخصّصة بعلم المعاني) حيث شمل:

المبحث الأول: (الوظائف التفسيرية التشريعية) (أصول التشريع) وبحثت فيه أثر علم المعاني في الآيات الكريمة الدالة على أصول التشريع من كتاب وسنّة وإجماع وعقل.

والمبحث الثاني بعنوان: (الوظيفة التفسيرية الفقهية) وأثر علم المعاني تفسيريا في الآيات الدالة على العبادات والمعاملات والإيقاعات والأحكام، والمبحث الثالث بعنوان: (الوظيفة التفسيرية العقائدية)، حيث يبحث عن أثر علم المعاني تفسيريا في الآيات القرآنية الموصلة إلى أصول العقيدة وانتهى البحث بخلاصة موجزة لما توصلتُ اليه من هذه الدراسة، وان التدرّج في هذا المباحث كان مقصودا، وإن تقديم أي مبحث أو تأخيره يسبب ارباكا في الخطة، لأن للبحث ثمرة وهي النتائج ولذلك كان الفصل الثالث قائما على ما تقدّمه من فصلين بمباحثهما، فأصبح هو ثمرة البحث، وهو ما أتوخاه في بحثي، فكان الفصلان الأولان بمثابة تدرّج علمي للوصول إلى غايتي المبتغاة وهي كيفية إسهام علم المعاني في تحقّق القصدية التفسيرية والوظائف المشار إليها.

وكانت مصادر دراستي متشرفة بالنصوص القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الأئمة المعصومين عليهم السلام فضلا عن مصادر البحث التي تنوّعت بين التفسير والبلاغة واللغة ومصادر الفقه والعقائد وحسب مقتضى الحاجة.

أرجو أن أكون قد وُفقت في إيصال فكرتي المتوخاة من هذا البحث قاصدة نبل الهدف لخدمة كتاب الله سبحانه وتعالى. مستعينة بربّي متوكلة عليه، فما كان حسنا فمنه سبحانه وبفضله وبوسيلة مطالعة كلام عباده الصالحين، وما كان ضعيفا فمني، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

أولا: معالم التفسير.

١-المعالم في اللغة:

معالم: جمع معلم، (وهو الأثر الذي يستدل به على الطريق)[١] ومنه الحديث: (تكون الأرض يوم القيامة كقرصة النقي ليس فيها معلم لأحد)[٢]. فهي الآثار الموصلة إلى طرق التفسير، وحين تكون بالمعاني، فان المعاني هي الطرق التي نستدل بها على التفسير.

٢- التفسير:

التفسير لغة: مصدر مشتق من الفسر أو السفر[٣].

والفسر بمعنى الإبانة وكشف المغطّى، والفعل منه كـ(ضرب ونصر)، فيقال فسَر الشيء يفسِره بالكسر ويفسُره بالضم، فسرا: إبانة[٤].

وكذلك يراه الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، انه من الفسر. وهو البيان والتفصيل[٥]. أو بمعنى التفسرة (وهي القليل من الماء الذي ينظر فيه الطبيب فيكتشف به المريض، فكما أن الطبيب بالنظر فيه يكتشف علة المريض، فكذلك يكشف عن شأن الآية وقصصها ومعناها)[٦]. أو انه مأخوذ من (السفر) وهو مقلوب الفسر، فيقال: أسفرت المرأة عن وجهها، إذا كشفته، وأسفر الصبح: إذا ظهر[٧].

ويقارن الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) بين السفر والفسر، فيستعمل الفسر للمعنى

---

[١] الصحاح، الجوهري:٥/ ٩٩٠ +لسان العرب، ابن منظور: ٤١٨/١٢+ مجمع البحرين، الطريحي: ٢٣١/٣.

[٢] تاج العروس، الزبيدي: ٤١٨/١٧+صحيح مسلم،مسلم النيسابوري:١٢٧/٨صحيح البخاري

[٣] ظ: القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ١١٠/٢.

[٤] ظ: لسان العرب، ابن منظور: ٥٥/٥+ ظ: القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ١١٠/٢.

[٥] ظ: كتاب العين، الفراهيدي: ٢٤٧/٧.

[٦] البرهان، الزركشي: ١٤٧/٢+ الإتقان السيوطي: ٤٥٩/٢.

[٧] ظ: مجمع البحرين، الطريحي: ٤٠١/٣.

العقلي، والسفر للمعنى الحسّي فيقول (الفسر والسفر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما، لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول، وجعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار، فقيل سفرت المرأة عن وجهها وأسفر الصبح)[٨].

واللفظ سواء كان سليما أو مقلوبا فدلالته واحدة في اللغة، ويعني كشف المغلق وتيسير البيان والإظهار من الخفي إلى الجلي[٩].

التفسير في الاصطلاح:يقول السيوطي (هو علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ)[١٠].

فجعل السيوطي التفسير شاملا لعلوم القرآن والأحكام الشرعية وما يحتاجه المفسر من لوازم التفسير بمعرفة طائفة من العلوم[١١].

وعرّفه صاحب الميزان (بأنه بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها)[١٢].

أو هو كما عرّفه الزرقاني: (علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية)[١٣].

فالمعنى الاصطلاحي: هو بيان مراد الله تعالى من قوله في كتاب الكريم، ويلتقي مع التفسير اللغوي وهو: إرادة الكشف والبيان (فالمفهوم الاصطلاحي منحدر عن الأصل اللغوي) وهو ما يرجّحه الدكتور الصغير[١٤]. وهو ما يميل إليه البحث.

---

[٨] مقدمة التفسير، الراغب الاصفهاني: ملحق تنزيه القرآن عن المطاعن، القاضي عبد الجبار: ٤٢٠+ مفردات غريب القرآن، الراغب الاصفهاني: ٣٨٠.

[٩] ظ: المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، د. محمد حسين الصغير: ١٦.

[١٠] الاتقان، السيوطي: ٤٦٢/٢.

[١١] ظ: المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، د. محمد حسين الصغير: ١٧.

[١٢] الميزان، السيد الطباطبائي: ٤/١.

[١٣] مناهل العرفان، الزرقاني: ٤/٢.

[١٤] ظ: المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، د. محمد حسين الصغير: ١٨.

فيكون معنى (معالم التفسير) هو آثار الكشف والبيان والظهور، ومن ضمن هذه الآثار هي مفردات علم المعاني، فكأنها أدلة ومعالم في طريق التفسير يُهتدى بها إلى المقصود من آياته تعالى للوصول إلى معرفة أسرار إعجاز كتابه الكريم.

ثانيا: معاني القرآن:

جاءت معاني القرآن عند الفراء (ت٢٠٧هـ) (هو كل ما يشكل في القرآن ويحتاج إلى بعض العناء في فهمه، وهو بإزاء معاني الآثار ومعاني الشعر أو أبيات المعاني)[١٥].

وان أوّل من صنّف في معاني القرآن من أهل اللغة هو أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ) في كتابه (مجاز القرآن)[١٦] الذي ضمّ بعض الإشارات البلاغية[١٧].

ولما كان التفسير يعين على فهم معاني القرآن، فقد قال الطبرسي (استقطب تفسير القرآن قسطا وافرا من اهتمام علماء المسلمين نظرا لدوره الكبير في مساعدته على فهم معاني القرآن الدقيقة ومفاهيمه العميقة)[١٨].وهذا يعني تصريحا ضمنيا بأهمية علم المعاني في الوصول إلى الغاية التفسيرية للنص القرآني .

وكذلك يراه غيره بأن التفسير هو (معاني القرآن)، إذ قال الاصبهاني في تفسيره (اعلم أن التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن وبيان المراد)[١٩]. وأيّد ذلك السيد الطباطبائي فعدّ التفسير هو معاني القرآن، فقال وهو يعدّد العلوم التي تبحث عن معاني القرآن (وفن يبحث عن معاني القرآن وهو المعروف بالتفسير)[٢٠]، فمن خلال التفسير يُتوصل إلى معرفة معاني القرآن الكريم٠

وفهم معاني القرآن لا تتأتى إلا لمن له بصيرة فذة وعلم وافر وصفاء قلب، وهذه

---

[١٥] **معاني القرآن، الفراء: ١١/١.**

[١٦] **ظ: ن.م: ١٢/١.**

[١٧] **ظ: مجاز القرآن، د. محمد حسين الصغير: ١٧.**

[١٨] **تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي: ٧/١.**

[١٩] **الاتقان، السيوطي: ٤٨١/٢.**

[٢٠] **القرآن في الاسلام، السيد محمد حسين الطباطبائي: ١١٤.**

الدرجة لا تتوفر إلا في الصفوة المختارة، وهم النبي ﷺ وأهل بيته المعصومين عليهم السلام - [٢١]فقد سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عمّن يسألونه في فهم معاني القرآن، فأجابهم عليه السلام (سلوا عن ذلك علماء آل محمد)[٢٢]. وقد وردت عن ذلك أخبار كثيرة بينت أن معاني القرآن لا يفهمها إلا أهل بيت نزل عليهم القرآن، ومن أخذ عنهم من الرواة والمحدثين والعلماء[٢٣].

وعن طريق معاني القرآن يمكن الوصول إلى معالم التفسير ثم التوصّل إلى إدراك سر الإعجاز القرآني، إذ يلج المفسرون إلى الإعجاز القرآني من كل الأبواب الموصلة إلى إدراكه، فقد قالت بنت الشاطئ (إن إعجاز القرآن يبقى أبدا، رحب المدى سخيّ المورد، كلما حسب جيل انه بلغ منه مبلغا امتدّ الأفق بعيدا وراء كل مطلب عاليا يفو□ت طاقة الباحثين)[٢٤]، وان شاء الله يوفق البحث في الولوج إلى الإعجاز بطرق احد هذه الأبواب وهو باب علم المعاني، وما يتضمنه من نكت بلاغية تُوصل إلى تفسير النص القرآني وإدراك إعجاز كلامه تعالى.

---

[٢١] ظ: تفسير أبي حمزة ، أبو حمزة الثمالي: ٦

[٢٢] بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار: ٢١٦.

[٢٣] ظ: بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٩/٨٢.

[٢٤] الإعجاز القرآني (بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني)، مدخل موجز إلى الإعجاز البياني للقرآن، د. بنت الشاطئ: ٢٠٥.

الفصل الأول

معالم التفسير في ضوء معاني القرآن (التأثر والتأثير)

- **المبحث الأول: علم المعاني بين النشأة واعتماد المفسرين.**
- **المبحث الثاني: مقاصد التفسير متأثرة بعلم المعاني.**
- **المبحث الثالث: أثر التفسير في تطور علم المعاني.**

المبحث الأول

علم المعاني بين النشأة واعتماد المفسرين

تُعدّ البلاغة مُقدّمة لدراسة كتاب الله تعالى وتفسيره، وإدراك ما فيه من خصائص (فهي أحقّ العلوم بالتعلّم وأولاها بالتحفّظ بعد المعرفة بالله تعالى، لأن الإنسان إذا أغفل عن علم البلاغة وأخلَّ بمعرفة الفصاحة، لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب، وما شحنه من الإيجاز البديع)[٢٥].

لذا اتخذها المفسِّرون وسيلة لفهم القرآن الكريم، وأخذوا ينبّهون إلى أهميتها (وهذا ما يتّضح في مقدمة تفسيري جامع البيان للطبري(ت٣١٠ هـ) ، والكشاف للزمخشري(ت٥٣٨ هـ)) فهي وسيلة إلى إدراك إعجاز القرآن الكريم[٢٦].

وهو ما يراه الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، فيقول: (فلا بدّ للمفسِّر من الإحاطة بشتى الفنون، والخوض بجملة من المعارف... ومنها الإشارات البلاغية التي لا يستطيع أخراجها إلا من أوتي نصيبا وافرا من العلم)[٢٧]، فقد جاء عن الرسول الكريم ﷺ (أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه)[٢٨]، فعن طريق البلاغة يتمكن المفسِّر من الوصول إلى أسرار معاني القرآن والإحاطة بمزاياه وفهم مراميه.

ولو لم تكن البلاغة قد وصلت إلى حالة النضج المعروفة لما جاء القرآن متحدّيا العرب بأساليبها ومعانيها وهم أهل فصاحة وبيان، ولما عجزوا عن الإتيان بآية من مثله وهم اقحاح مفوّهون في الكلام البليغ، قال تعالى: ﴿**قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾[٢٩].

لذا أختلف العلماء في النظرة إلى البلاغة، وربما نجد أن الإمام علي عليه السلام (ت٤٠هـ) أول من تحدّث عن البلاغة بقوله: (البلاغة إفصاح قول عن حكمةٍ مستغلقةٍ وإبانة عن

---

[٢٥] **الصناعتين، أبو هلال العسكري: ١.**

[٢٦] **ظ: جامع البيان الطبري، (المقدمة)+ ظ: الكشاف، الزمخشري، (المقدمة).**

[٢٧] **مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ١٣/١.**

[٢٨] **بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١٠٦/٨٩+ منية المريد، الشهيد الثاني: ٣٦٨.**

[٢٩] **الإسراء: ٨٨.**

مشكل)[٣٠] فمفهومها عنده ﷺ ذو بعدين: الأول يتعلق: بالإفصاح، والثاني عن الإشكال، فالإفصاح هو الإعراب والبيان والكشف عمّا يتلجلج في الصدور وما يدور في الأذهان من المعاني والحكم والآراء والتعبير عنها بألفاظها المحددة لها، ويعدّ هذا فتحا لإغلاقها وسبرا لأغوارها، فهو أمر يتعلق بالألفاظ والمعاني دفعة واحدة، والإبانة عن المشكل وهو ترجمة لاشتراط ائتلاف المعاني وتناسق العبارات وتراصُف فن القول بعيدا عن التعقيد المعنوي واللفظي والتنافر بين الكلمات والمضامين، إذ لا قيمة لأي نص مغلق أو تعبير مشكل[٣١].

ثم انه ﷺ ذكر في موضع آخر (ما رأيت بليغا قط إلا وله في القول إيجاز وفي المعاني إطالة)[٣٢]. وقوله هذا يقترب من رأي صحار العبدي (ت٤٠هـ) إذ عرّف البلاغة (بالإيجاز)[٣٣]. وعرّفها الإمام ﷺ في قول آخر (البلاغة إيضاح الملتبسات، وكشف عوّار الجهالات بأسهل ما يكون من العبارات)[٣٤]. وقريب منه قول الإمام الحسن ﷺ (ت٥١هـ) (البلاغة تقريب بعيد الحكمة بأسهل العبارة)[٣٥].

فهذا يؤكد بأن البلاغة توضّح ما يلتبس من الكلام وتميّز الجيد من الرديء

منه، وتكشف عن وجوه الحسن والقبح فيه وذلك بعبارة سهلة واضحة بيّنة، وإنها تقرّب معنى البعيد وتيسّره بعبارات سلسة قريبة من النفس، وهي كاشفة للغموض الذي يتوطن العبارة. وقد عرفها محمد بن الحنفية (ت٨١هـ) بقوله: (البلاغة قول تضطر العقول إلى فهمه بأسهل العبارة)[٣٦]، فهو إيضاح المعنى بأبسط وأسهل الألفاظ لتصل إلى ذهن السامع بيسر وسهولة.

---

[٣٠] الصناعتين، أبو هلال العسكري: ٥٢.

[٣١] ظ: أصول البيان العربي، د. محمد حسين الصغير: ١٧١ــ١٧٢.

[٣٢] الصناعتين: أبو هلال العسكري: ١٧٤.

[٣٣] ظ: البيان والتبيين، الجاحظ: ١/١٢٠.

[٣٤] الصناعتين، أبو هلال العسكري: ٥٢، والعوّار: كل ما أعل العين مثل الرمد والقذى.

[٣٥] م.ن.

[٣٦] الصناعتين، أبو هلال العسكري: ١٢.

وعرفها الإمام محمد الباقر عليه السلام (ت١١٤ هـ) بأنها: (تفسير عسير الحكمة بأقرب الألفاظ)[٣٧].ورآها خالد بن صفوان (ت١١٥هـ): (إصابة المعنى والقصد إلى الحجة)[٣٨].

ورآها إبراهيم الإمام (ت١٣٢هـ) بأنها (الجزالة والإطالة)[٣٩]،ورآها ابن المقفع(ت١٣٤هـ) بأنها الإيجاز، بقوله(الإيجاز هو البلاغة)[٤٠]، وفي موضع آخر عرّفها بأنها: (كشف ما غمض من الحق، وتصوير الحق في صورة الباطل)[٤١].

ورآها الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ): (بأنها كل شيء أدّى إلى قضاء الحاجة)[٤٢]، ويراها في مواضع أخرى: (البلاغة ما قرُب طرفاه وبعُد منتهاه)[٤٣]،فيما عرّفها خلف الأحمر (ت١٨٠هـ): (بأنها لمحة دالة)[٤٤].

أما جعفر بن يحيى البرمكي (ت١٨٧هـ) فقد ذكر البلاغة: (بمعنى أن الاسم يحيط بمعناك ويجلّى عن مغزاك، وتخرجه من الشركة، ولا تستعين عليه بطول الفكرة، ويكون سليما من التكلف، بعيدا عن سوء الصنعة، بريئا من التعقيد، غنيا عن التأمّل)[٤٥] فاللفظ يحصر جميع المعنى ويشتمل عليه، فإذا سمعت اللفظ عرفت أقصى المعنى من غير تأمُّل كثير. أما العتابي (ت٢١٦هـ) فقد رأى البلاغة: (كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسه ولا استعانة فهو بليغ)[٤٦] فيدلّ على البيان والوضوح.أما الأصمعي (ت٢١٦ هـ) فقال: (البليغ من طبّق المفصل وأغناك عن المفسَّر)[٤٧].

أما ابن الإعرابي (ت٢٣١هـ) فقد رأى البلاغة: الإيجاز في غير عجز والإطناب في

---

[٣٧] الصناعتين،العسكري:٥٢

[٣٨] العمدة، ابن رشيق: ١/٢٤٥.

[٣٩] م .ن.

[٤٠] الصناعتين، أبو هلال العسكري:١٤.

[٤١] م.ن: ٥٣.

[٤٢] العمدة،ابن رشيق: ١/٢٤٥.

[٤٣] م.ن .

[٤٤] م.ن: ١/٢٤٢.

[٤٥] الصناعتين، أبو هلال العسكري: ٤٢.

[٤٦] البيان والتبيين، الجاحظ:١/١٣٧.

[٤٧] م.ن:١/١٢٩.

غير خطل، (وكانت روايته هذه عن المفضّل الضبّي)[٤٨]، فيما عرّفها هو نفسه بأنها: (التقرب من البغية، ودلالة قليل على كثير)[٤٩].

وقال المبرد (ت٢٨٥هـ): (إن حق البلاغة إحاطة القول بالمعنى واختيار الكلام وحسن النظر حتى تكون الكلمة مقاربة أختها ومعاضدة شكلها، وان يقرّب بها البعيد ويُحذف منها الفضول)[٥٠].

فيشير إلى مناسبة الألفاظ للمعاني وتناسق سياق العبارة بملائمة الكلمات مع بعضها في الشكل والمضمون، ويكون الكلام مُفهما موجزا خاليا من التعقيد والحشو.

أما أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) فقد كانت البلاغة عنده من صفة الكلام لا من صفة المتكلم، وله رأيان ناضجان فيهما، **الأول**: إن الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وهو الإبانة والظهور.

أما **الثاني**: فإنهما مختلفان لأن الفصاحة تمام آلة البيان وهي مقصورة على اللفظ، والبلاغة إنهاء المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى[٥١].

أما ابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ) فلم يأتِ بالكلمة الفاصلة والتعريف الجامع، وإنما فرّق بينها وبين الفصاحة فقال: (الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ والبلاغة لا تكون إلا وصفا للألفاظ مع المعاني)[٥٢].

فالبلاغة هنا أوسع من الفصاحة لأنها تشمل اللفظ والمعنى معا.

أما عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١أو٤٧٤ هـ) فهو أيضا لم يفرّق بين الفصاحة والبلاغة، وقد عبّر بهما عن فضل بعض القائلين على بعض، فكانت الفصاحة والبلاغة والبراعة والبيان تأتي مترادفة عنده[٥٣].

---

[٤٨] **ظ: م.ن:١/١٢١.**

[٤٩] **العمدة، ابن رشيق: ١/٢٤٦.**

[٥٠] **البلاغة، أبو العباس المبرد: ٥٩.**

[٥١] **ظ: الصناعتين، أبو هلال العسكري: ٧ــ٨.**

[٥٢] **سر الفصاحة، ابن سنان: ٥٩.**

[٥٣] **ظ: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٣٥.**

ولم تأخذ البلاغة دلالتها المعروفة عند الرازي: (ت٦٠٦هـ) لكنه ربط بين الفصاحة والبلاغة بالمعنى[٥٤].

فيما رآها ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) شاملة للألفاظ والمعاني وهي أخصّ من الفصاحة، فعنده كل كلام بليغ فهو فصيح وليس كل كلام فصيح بليغا، وفرّق بينها وبين الفصاحة من وجه آخر غير الخاص والعام، وهي أن لا تكون إلا في اللفظ والمعنى بشرط التركيب[٥٥].فهو لم يفضّل اللفظ ولم يفضّل المعنى بل هما متساويان عنده للوصول إلى الكلام البليغ وتراكيبه.

وواضح أن هذه النصوص قد انتمى أصحابها، إلى بيئات ثقافية مختلفة فمنهم من كان لغويّا كالخليل والأصمعي وابن الأثير، ومنهم من كان متكلما كخالد بن صفوان ومنهم من كان كاتبا كجعفر بن يحيى ومنهم من كان شاعرا أو فيلسوفا، وهذا كله يؤكد (إن البلاغة نشأت من روافد فكرية وأدبية متعددة، ويفسّر التباين الملاحظ بين مختلف هذه التعريفات، وتعلن كل طائفة منها بجانب دون آخر)[٥٦]. فالمتأمل لتعريف الإمام علي عليه السلام يجده يلحّ على الوظيفة التعليمية ويتمسك بالناحية الثقافية، فلم تخرج البلاغة عنده عن معناها اللغوي: (الإفصاح والإبانة) فيما نجده في قوله الآخر يحدد العلاقة النفسية بين القائل وقوله فيقول: (وان لم يكن أحد فضّلهم، فالذي لم يقل رغبة ولا رهبة فهو قد كان أصحّهم بادرة وأجودهم نادرة)[٥٧].

فقد أشار إلى قضية من صميم خصائص اللغة، واعتمد في تعريفه على إظهار طاقة من طاقاتها الكامنة وهي: الطاقة الإيحائية[٥٨].

ولا نبعد وقفا عن ذلك، لأن أساس البلاغة هو تثوير الطاقات الإيحائية وتفعيل دوائر المعنى في النص الأدبي، بوصف البلاغة قضية من قضايا تفعيل الإبداع، حتى ولو كانت من الجانب النفسي، وليس بمستغرب أن نجد نقادنا القدامى قد رصدوا البلاغة من وجهة

---

[٥٤] ظ: نهاية الإيجاز، الرازي: ٩.

[٥٥] ظ: المثل السائر، ابن الاثير: ٦٩/١.

[٥٦] التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حماد صمود: ١١٢.

[٥٧] الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني: ٢٩٧/١٦.

[٥٨] ظ: التفكير البلاغي عند العرب، حماد صمود: ١١٤.

نفسية لأنها بأبسط ما يقال عنها: مراعاة لمقتضى الحال، ولا غرابة في ذلك فان بشر بن المعتمر (ت٢١٠هـ) يُعدّ بحق من اوائل من قعّد لأصول البلاغة العربية في صحيفته، وتُعدّ من أهم المراجع في تاريخ البلاغة ومن أوائل وثائقها وتستكشف لنا عن قمة النضج الذي توصلت إليه الذهنية العربية في توصيل البلاغة بسبلها الكثيرة، فضلا عن ذلك فقد أهتم بطاقاتها الشعورية وعالج قضايا الإبداع[٥٩].

فهو يؤكد بأن يأخذ الكاتب من نفسه ساعة نشاطه وفراغ باله لأنه يرى:قليل تلك الساعة أكرم جوهرا وأشرف حسنا وأحلى في الصدور وأحسن في الأسماع... لأن النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة كما تجود به مع المحبة والشهوة[٦٠].

ولا غرابة في ذلك في أن البلاغة تساعد على رسم معالم النفس وتهيئ الجو الملائم لراحة البال، فاختيار الوقت ومراعاة مقتضى الحال يساعدان على عملية المخاض الإبداعي، فضلا عن ذلك (فان الرغبة تجعل المبدع يلتحم مع تجربته الكاملة في الحياة شوقا في اقتحام الغامض بسبب باعث معين)[٦١].

فبشر بن المعتمر حين طلب من المبدع أن يختار اللحظة المؤثرة في أثناء عملية الإبداع، فان الرغبة الداخلية تنشق ويكون الباعث موجها لانفعالات المبدع.

وقد تتالى العلماء في النظرة إلى البلاغة، فالجاحظ (ت٢٥٥هـ) لم يعرّفها، إلا انه ذكر كثيرا من تعريفاتها وأعجبه قول أحدهم فقال عنه: (وهو من أحسن ما اجتبيناه ودوّناه ـ لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه فلا يكون لفظه إلى سمعك اسبق من معناه إلى قلبك...)[٦٢].فيتمكن الكلام البليغ من الولوج إلى القلب لفظا ومعنى ويستحسنه الشعور ويتقبله العقل ويأنس به.

المعاني في اللغة والاصطلاح:

---

[٥٩] ظ: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، د. عيد القادر فيدوح: ٢٤.

[٦٠] ظ: البيان والتبيين، الجاحظ: ١٦٥/١.

[٦١] أثر البواعث في تكوين الدلالة البيانية، د. صباح عنوز: ١٩.

[٦٢] البيان والتبيين، الجاحظ: ١٣٨/١.

المعاني لغة: جمع المعنى، والمعنى في أصله اللغوي عند الخليل بن أحمد الفراهيدي (معنى كل شيء محنته وحاله الذي يصير إليه) وهو ما نقله ابن منظور (ت٧١١هـ)[٦٣].

وقد عرّفه الأزهري عن أحمد بن يحيى (ثعلب) (ت٢٩١هـ) قال: (المعنى والتفسير والتأويل واحد)[٦٤] و (معنى كل كلام مقصده)[٦٥].

وعند الراغب (ت٥٠٢هـ): (المعنى إظهار ما تضمنه اللفظ وهو يقارن التفسير وان كان بينهما فرق)[٦٦]، وفي الصحاح معنى الكلام أي (فحواه)[٦٧]

وعند الطريحي (ت١٠٨٥هـ): (معنى الشيء وفحواه ومقتضاه ومضمونه كل ما يدل عليه اللفظ... وقولهم هذا بمعنى هذا أي مماثل له أو مشابه)[٦٨].

ومن التعريفات السابقة، يتبين أن المعنى في اللغة يُعنى بدلالة الألفاظ على مضامينها ومحتواها[٦٩].

المعاني في الاصطلاح:

علم المعاني احد علوم البلاغة (بوصفه مصطلحا أطلقه البلاغيون على مباحث بلاغية تتصل بالجملة أو ما يطرأ عليها من تقديم وتأخير أو ذكر وحذف أو تعريف وتنكير أو وصل وفصل أو إيجاز وإطناب ومساواة)[٧٠].

ويُعد السكاكي (ت٦٢٦هـ) من أوائل الذين استعملوا مصطلح المعاني في كتابه (مفتاح العلوم) إذ سمّى به قسما من موضوعات البلاغة[٧١]، وعرّفه بأنه (تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها من

---

[٦٣] لسان العرب، ابن منظور: ١٠١/١٥.

[٦٤] م.ن.

[٦٥] م.ن.

[٦٦] المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني: ٣٤٦.

[٦٧] الصحاح، الجوهري: ٢٤٤.

[٦٨] مجمع البحرين ، الطريحي: ٢٤٠/٣.

[٦٩] ظ: أصول البيان العربي، د. محمد حسين الصغير: ١٧٥.

[٧٠] البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب، د. كامل البصير: ٨٣.

[٧١] ظ: علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ٢٨.

الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره)[٧٢].

وكان لنظرية النظم التي تطوّرت على يد عبد القاهر الجرجاني[٧٣] أثر في تسمية موضوعات التقديم والتأخير والذكر والحذف والقصر والوصل والفصل بمعاني النحو أو النظم، إذ أن النظم عنده (تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض)[٧٤].

لكن السكاكي يُعدّ أول من أطلق مصطلح (علم المعاني) على الموضوعات التي اسماها عبد القاهر معاني النظم، مع انه لم يطلق على هذه العلوم أحد قبله[٧٥]، واستطاع من خلال جهود من سبقه (عبد القاهر والزمخشري والرازي) أن يحقق أمرين: أولهما أن ينفذ إلى عمل ملخّص دقيق لما نثره أولئك البلاغيون في كتبهم من آراء وما توصل هو إليه من أفكار، وثانيهما: صياغة تلك الآراء في صيغ مضبوطة مستعينا بقدرته في التعليل والتعريف والتقسيم والتفريع والتشعيب[٧٦].

أما علم المعاني عند القزويني (ت٧٣٩هـ) (فهو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال)[٧٧].

وأيده سعد الدين التفتازاني (ت٧٩١هـ) فقال: أي هو علم أو ملكة يقتدر بها على ادراكات جزئية وهي معرفة كل فرد من جزئيات أحوال اللفظ العربي، وفُسّر بأنه مطابق مقتضى الحال احترازا عن الأحوال التي ليست لها هذه الصفة مثل الإعلال والإدغام والرفع والنصب وما إلى ذلك، وكذلك المحسنات البديعية من التجنيس والترصيع مما يكون بعد رعاية المطابقة، ومقتضى الحال لظهور أن ليس علم المعاني إلا عبارة عن تصور معاني التعريف والتنكير والتقديم والتأخير والإثبات والحذف وغير ذلك[٧٨].

فالقدر الجامع بين تعريفي السكاكي والقزويني هو الغاية البلاغية من هذا العلم وهي

---

[٧٢] مفتاح العلوم، السكاكي: ٢٤٧.

[٧٣] قد سبقه إلى هذه النظرية عدد من العلماء.

[٧٤] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٩٣.

[٧٥] ظ: مفتاح العلوم السكاكي: ٢٤٧.

[٧٦] ظ: علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ٢٨.

[٧٧] الايضاح، القزويني: ٢٣.

[٧٨] ظ: مختصر المعاني، سعد الدين التفتازاني: ٢٧.

مراعاة الكلام لمقتضى الحال، وهذه هي مهمة علم المعاني إذ لا يكلم العالم بلغة الجاهل ولا السوقي بلهجة البدوي ولا نضع الظاهر موضع المضمر ولا المخاطب مكان المتكلم، ولا من صفته التعريف منكرا ولا من موقعه التقديم مؤخرا، والكلام هنا يكون عن تأدية المعنى الواحد بصور متعددة وبقوالب مختلفة[٧٩].

ويُعد الدكتور شوقي ضيف أن جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ) قد سبق السكاكي في ذكر مصطلحي علم البيان والمعاني[٨٠] في قوله: (ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان...)[٨١].

ثم جاء فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) فتحدّث عن الخبر متعرضا لذكر مصطلحي المعاني والبيان تصريحا فقال: (ولكن الخبر هو الذي يتصور بالصورة الكثيرة، وتظهر فيه الدقائق العجيبة والأسرار الغريبة من علم المعاني والبيان)[٨٢].

فلم يكن مصطلح المعاني غريبا عند هؤلاء العلماء بل استعملوه بكونه معروفا لدى المخاطبين ومتداولا بينهم، فالسكاكي استعمل عبارات: علماء علم المعاني وصناعة علم المعاني وأئمة علم المعاني، فتدلّ هذه العبارات على أن هذا العلم له علماء وصناعة وأئمة وقد كان معروفا قبل السكاكي[٨٣]. فقد ذكره السيرافي (ت٣٦٨هـ) وأحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) وعبد القاهر الجرجاني، الذي تحدّث مفصّلا عن هذا العلم[٨٤].

فالزمخشري قد فصّل فيه كثيرا ووقف على دقائقه حينما عرض وجوه البلاغة في قوله تعالى: ﴿ **وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[٨٥]بحث فيها عن الخبر والإنشاء

---

[٧٩] **ظ: أصول البيان العربي، د. محمد حسين الصغير: ١٧٧.**

[٨٠] **ظ: البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف: ٢٢١.**

[٨١] **الكشاف ،الزمخشري: ٧/١.**

[٨٢] **نهاية الإيجاز، الرازي: ٣٦.**

[٨٣] **ظ: أصول البيان العربي، د. محمد حسين الصغير: ١٧٨.**

[٨٤] **ظ: م.ن.**

[٨٥] **هود: ٤٤.**

والتقديم والتأخير[٨٦]، وختم ذلك بقوله: (ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤوسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله (ابلعي، واقلعي) وذلك وإن كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت إليه بإزاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور)[٨٧].

ومهما يكن من أمر فإن علم المعاني الذي يتناول مسائل المعاني التي أقرّها علماء البلاغة ويظهر أسرارها هي التي تقف وراء التركيب الجملي وتعالج أحوال الجملة ومتعلقاتها وتخرج عن مقتضى الظاهر وتعالج ارتباطها بغيرها لا تعدو أن تظهر عن حدود الخبر والإنشاء وأساليب كل منهما المعروفة.

تأصيل علم المعاني:

هناك فضل كبير لسيبويه (ت١٨٠هـ) وأستاذه الخليل بن احمد الفراهيدي في تأصيل علم المعاني، فقد تضمّن كتاب سيبويه كل أساليب هذا العلم من إسناد وخبر وإنشاء وذكر وحذف ووصل وفصل وإيجاز وإطناب، وقد عالج قضايا هذا العلم بصورة بلاغية[٨٨]، وقد اتّكأ عليه البلاغيون في هذا المجال، ويعدّ كتابه كتابا نحويا لكنه عالج فيه قضايا علم المعاني، مما يتوضّح أن هذه القضايا لها علاقة مباشرة بالنحو أكثر منها إلى البلاغة، فقضايا الإسناد والجملة الخبرية والإنشائية بنوعيها (الطلبي وغير الطلبي) تُعتبر قضايا نحوية، لكنها علقت بعلم من علوم البلاغة[٨٩]. ففضل سيبويه على علم البلاغة كبير لا يمكن غض النظر عنه، يقول الدكتور عبد القادر حسين في هذا الصدد: (فإذا كان عبد القاهر هو الذي يُنسب إليه ابتكار نظرية النظم، لأنه بسطّها وفصّلها وطبقّها على أبواب جمّة من البلاغة، فان سيبويه هو الذي أمسك المصباح بكلتا يديه وأنار الطريق أمام عبد القاهر إلى الغاية المنشودة، أو بعبارة أخرى، إذا كان النظم قد أصبح على يد عبد القاهر بمثابة شجرة عظيمة شاهقة متعددة الأغصان مثقلة بالثمار، فان سيبويه هو الذي ألقى

---

[٨٦] **ظ: الكشاف، الزمخشري: ٢/٣٨٢ــ٣٨٣.**

[٨٧] **م.ن: ٢/٣٨٣.**

[٨٨] **ظ: أصول البيان العربي، د. محمد حسين الصغير: ١٨٨ــ١٨٩.**

[٨٩] **ظ: م.ن.**

البذرة قبل أن تبرز الشجرة أمام العيون بمئات السنين)[٩٠].

فنظرية النظم عند عبد القاهر تُعنى بمعاني النحو، ومعاني النحو هي أصل علم المعاني، فيتّضح بذلك فضل سيبويه وأستاذه الخليل على هذا الفن[٩١]. وبعد سيبويه كتب كثير من العلماء عن علم المعاني منهم: الفراء (ت٢٠٧هـ) في كتابه (معاني القرآن) وأبو عبيدة (٢١٠هـ) في كتابه (مجاز القرآن) والجاحظ (ت٢٥٥هـ) في كتابيه (الحيوان، والبيان والتبيين)، وابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) في كتابه (تأويل مشكل القرآن) والمبرد (ت٢٨٥هـ) في كتابه (الكامل)، وثعلب (ت٢٩١هـ) في (قواعد الشعر)، وابن المعتز (٢٩٦هـ) في (البديع)، وقدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) في (النقدين) والقاضي الجرجاني (ت٣٦٦هـ) في (الوساطة)، والحسن بن بشر الآمدي (ت٣٧٠هـ) في (الموازنة بين الطائيين) والرماني (ت٣٨٦هـ) في النكت، والخطابي (ت٣٨٨هـ) في (بيان القرآن) والحاتمي (ت٣٨٨هـ) في (الرسالة الموضحة) وابن جني (ت٣٩٢هـ) في (الخصائص، وسر صناعة الإعراب) وأبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) في (الصناعتين) والشريف الرضي (ت٤٠٦هـ) في (تلخيص البيان) و(المجازات النبوية) وابن رشيق (ت٤٥٦هـ) في (العمدة)، وابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ) في سرّ الفصاحة، وغيرهم من العلماء الذين كتبوا عن علم المعاني وكانت جهودهم متناثرة بين النحو والبلاغة والنقد الأدبي[٩٢].

وقد استعمل هؤلاء العلماء مفردات علم المعاني في مؤلفاتهم، يقول ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) وقد استخدم مفردات لعلم المعاني والبيان (وللعرب المجازات في الكلام ومعناها طرق القول ومآخذه ففيها الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير والحذف والتكرار والإخفاء والإظهار والتعريض والإفصاح والكناية والإيضاح ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الاثنين والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم وبلفظ العموم لمعنى الخصوص، مع أشياء كثيرة في أبواب المجاز)[٩٣].

---

[٩٠] اثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين: ١١٣ــ١١٤. نقلا عن أصول البيان العربي، د. محمد حسين الصغير: ١٩٠.

[٩١] ظ: أصول البيان العربي، د. محمد حسين الصغير: ١٩٠.

[٩٢] ظ: م.ن : ١٩١.

[٩٣] تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة: ١٥.

أما ابن فارس فقد عقد في كتابه (ألصاحبي) بابا عن علم المعاني أسماه (معاني الكلام) فقال: (وهي عند أهل العلم عشرة: خبر واستخبار وأمر ونهي ودعاء وطلب وعرض وتحضيض وتمنٍ وتعجب)[٩٤].

فيتبين أن هؤلاء الأعلام قد ارسوا مصطلحات علم المعاني في مفرداتهم. وقد ذكر أبو هلال العسكري في كتابه (الصناعتين) مباحث عن الإيجاز والإطناب والمساواة في مجال التعريف والتطبيق[٩٥]. وأشار إلى الخبر والوصف في صورة الاستفهام[٩٦] وأقام أصول القول في الفصل والوصل من تنقيح وتحقيق وشواهد وأمثلة[٩٧].

أما عبد القاهر الجرجاني فيعدّ بحق مؤسِّس هذا العلم ومصوّر مباحثه ومجدّد معالمه[٩٨]، فهو حينما أرسى فكرة النظم في كتابه (دلائل الإعجاز) وأكّد ارتباطها بمعاني النحو كان يهدف إلى التمهيد لـ(علم المعاني) بما فيه من فصل ووصل وتقديم وتأخير وحذف وذكر واظهار واضمار وتعريف وتنكير وخبر وإنشاء وإيجاز وإطناب، وان لم يقل إن هذه مادة علم المعاني، فالفضل يعود له وحده في ابتكار هذا العلم ودراسة مسائله وسبر أغواره، وكان مجال تطبيقه القرآن الكريم والشعر العربي والأمثال العربية[٩٩].وكان أسلوبه سهلا واضحا مسترسلا لأنه رجل قوي الحجة واضح الدليل[١٠٠]. وقد أفاد من ثقافته الموسوعية فصبّها قالبا متميّزا يتمكن من القلوب ويستهوي النفوس، وقد أشار إلى تعلق هذه المعاني بعلم النفس وتأثيرها في نفسية المخاطب، وهذا ما أثبتته الدراسات الحديثة فيما بعد[١٠١].

علم المعاني بين النحو والبلاغة والأصول:

---

[٩٤] الصاحبي، ابن فارس: ١٣٣.

[٩٥] ظ: الصناعتين: أبو هلال العسكري: ١٧٣ــ١٩٠.

[٩٦] ظ: م.ن.

[٩٧] ظ: م.ن: ٤٣٨ وما بعدها.

[٩٨] ظ: أصول البيان العربي، د. محمد حسين الصغير: ١٩٤ــ١٩٥.

[٩٩] ظ: عبد القاهر وجهوده في البلاغة، د. احمد احمد بدوي: ٣٦٩.

[١٠٠] ظ: م.ن: ٣٧٣.

[١٠١] ظ: م.ن: ٣٧٤.

عند التتبع لأحوال علم المعاني من خبر وإنشاء وما يتضمّنه الخبر من مسند ومسند إليه وأحوال الإنشاء الطلبي وغير الطلبي من أمر ونهي واستفهام وتمنٍّ ودعاء، أو من تعجب وترجٍّ ومدح وذم، والجملة الاسمية والفعلية، ومن تنكير وتعريف وذكر وحذف وتقديم وتأخير نجد أنها تعود إلى الإعراب والناحية الإعرابية في الجملة وهذه المباحث تعود إلى علم النحو، ولو أنها وُضعت ضمن علم المعاني لكنها تعود إلى النحو ولو احتوت على لمسة بلاغية[١٠٢].

أما بعض تفريعات علم المعاني مثل حروف المعاني كأدوات الاستفهام فهي تُدرس في النحو بالإضافة إلى علم الأصول، فقد درسها علماء الأصول في موضوع المعنى الحرفي حينما تستعمل هذه الألفاظ في غير معانيها الموضوعة لها أو في معانيها بالذات وفي دلالاتها كافة[١٠٣].

وكذلك بالنسبة للأمر والنهي فإنهما يُدرسان بوصفهما أصلا في النحو للدلالة على الطلب، وكذلك تُدرس في علم الأصول لاستنباط الأحكام الشرعية. بواسطتها، وخروج الأمر لغير صيغة الطلب مثل الرجاء أو التهديد أو التعجيز أو السخرية أو الاهانة أو التسوية فانما دلّت على ذلك بطبيعة صيغتها النحوية ودلالتها الاستعمالية، كما تفيد قرائن الأحوال[١٠٤]، وكذلك الحال بالنسبة لصيغة النهي فإنها تتبع صيغة الأمر في حالاتها[١٠٥].

أما بالنسبة للفصل والوصل والإيجاز والإطناب والمساواة، وهي من أقسام علم المعاني فإنها تشتمل على مباحث بلاغية مهمة، والبليغ كان يعرف من معرفته بأحوال الفصل والوصل، فقد قال الجاحظ: (إن البلاغة معرفة الفصل والوصل)[١٠٦].

وقول المأمون على لسان أبي هلال العسكري: (إن البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كاللآلي بلا نظام)[١٠٧].

---

[١٠٢] ظ: أصول البيان العربي، د. محمد حسين الصغير: ٢٠٥ــ٢٠٨.

[١٠٣] ظ: دراسات في أصول الفقه، محمد كلانتر: ١/٣٣ــ٥٨.

[١٠٤] ظ: تهذيب الاصول، السيد عبد الاعلى السبزواري: ١/٤٥ــ٧٩.

[١٠٥] ظ: أصول البيان العربي،د. محمد حسين الصغير: ٢١٠.

[١٠٦] البيان والتبيين، الجاحظ: ١/١١١.

[١٠٧] الصناعتين، أبو هلال العسكري: ٤٣٨.

فتكون مباحث الفصل والوصل مباحث بلاغية كما يقول الجرجاني: (اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد أخرى، من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتّى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخلّص، والاّ قوم طُبعوا على البلاغة وأوتوا فنّا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد)[١٠٨].

فقد ذكر في قوله هذا الفصل والوصل أو العطف وترك العطف وهي من أسرار البلاغة والتي طُبع العرب عليها فطريا.

أما الإيجاز والإطناب فهما مبحثان بلاغيان، لأن أثرهما الخارجي ينصبّ حول الشكل في النص الأدبي في تأديته للمعنى المراد، إذ يدور حول زيادة الألفاظ في الإطناب واختزالها في الإيجاز، وهذان المدركان بعيدان عن معاني الإعراب[١٠٩].

والبلاغة تحتاج إلى الإيجاز كما تحتاج إلى الإطناب، وهما ليس لهما علاقة بالنحو بل هي تعود إلى البلاغة لقربها منها ولصوقها بها وان كانت لا تخلو من لمسات نحوية وملامح إعرابية، إلا أنها مباحث بلاغية.

أما مباحث الإسناد ومتعلقات الفعل، وقضايا التقديم والتأخير، وغيرها فهي مباحث نحوية تعود إلى علم النحو[١١٠] فلذلك، أن فنون علم المعاني تتأرجح بين البلاغة والنحو والأصول، وإن عُدَّت كلها مباحث بلاغية.

ويرى البحث أن المباحث التي تخص النحو والإعراب، فهي تُدرس في علم المعاني على أساس ما تؤثره في النص، وماذا يستوحى منها من دلالات معنوية وليس في حركاتها وإعرابها أو لماذا قُدِّمت أو أخرت مثلا، أو هل هذا التقديم جائز أم واجب، أما بالنسبة للمباحث الأصولية فعندما تدرس الأمر والنهي وأساليبهما فان هدف دراستها هو استنباط الحكم الشرعي منها بأسلوب أصولي بعيد عن البلاغة، أي أن تحصيل العلم في غايته، والغاية من دراسة مباحث علم المعاني بلاغيا هي معرفة تأثيرها في رسم الملامح

---

[١٠٨] **دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٢٢٢.**

[١٠٩] **ظ: أصول البيان العربي، د. محمد حسين الصغير: ٢١٦.**

[١١٠] **ظ:أصول البيان العربي،د.محمد حسين الصغير: ٢٢٥.**

التفسيرية للنص، واستخلاص المعنى المراد بوساطة هذه المباحث، وهذا ما نتوخى أن يتوضح في هذه الدراسة.

المبحث الثاني

مقاصد التفسير متأثرة بعلم المعاني

يُعد علم المعاني من العلوم التي أسهمت في تطور آليات التفسير القرآني، لأن علم البلاغة يشتمل على دلالات تستطيع أن تجلّي القصد عن السياق القرآني، فالقرآن نصّ عربي قد جاء على وفق نظام اللغة العربية، فكل ما يرتبط بنظام العربية يكون له دور وأثر في فهم القرآن وتفسيره[١١١].

وقد ذكر الزمخشري وهو يتحدث عن التفسير بقوله: (ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما أزمنة وبعثته على تتبع مظانها، همّة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله ﷺ)[١١٢].

وقد أكد السكاكي هذا الرأي بقوله: (أن الواقف على تمام مراد الحكيم تعالى وتقدس من كلامه مفتقر إلى هذين العلمين كل الافتقار فالويل كل الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل)[١١٣].

فالقولان يدلان على تأثير علمي المعاني والبيان في تفسير النص القرآني، ولا بدّ للمفسر من الغوص في حقيقة هذين العلمين واستخراج مكنوناتهما، والمفتقر لهما مفتقرٌ لأوليات التفسير والسير فيه.

ويؤيّد هذا الكلام صاحب الطراز بقوله: (إن علم المعاني من أجلّ العلوم قدرا لأنه يستولي على استخراج أسرار البلاغة من معادنها، وهو الغاية التي ينتهي إليها فكر النـُظار والضالّة التي يطلبها غاصّة البحار، وعليه التعويل في الاطلاع على حقائق الإعجاز)[١١٤].

ولعلم المعاني تخصُّص دقيق في التفسير، فهو وسيلة لإظهار خصائص البلاغة

---

[١١١] **ظ: تفسير سورة الحمد، السيد محمد باقر الحكيم: ٥٨.**

[١١٢] **الكشاف، الزمخشري: ٧/١.**

[١١٣] **مفتاح العلوم، السكاكي: ٢٤٩.**

[١١٤] **الطراز، العلوي: ١٣.**

القرآنية، التي لا غنى للمفسر عنها، فيشكّل علم المعاني مع علم البيان وسيلتين لإظهار إعجاز القرآن الكريم، ولا بدّ للمفسر من اقتنائهما[١١٥].

وقال القرطبي في مقدمة تفسيره، محذرا: (ان يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة، وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير، فمن لم يحتكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية، كثر غلطه ودخل في زمرة من فسّر القرآن بالرأي)[١١٦]. ثم يأتي بمثل من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا**﴾[١١٧] والآية فيها حذف، وتقديره:(آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها). فالناظر إلى العربية يظن أن المراد به إن الناقة كانت مبصرة ولا يدري بماذا ظلموا، وأنهم ظلموا غيرهم وأنفسهم، فهذا من الحذف والإضمار،وأمثال هذا في القرآن كثير)[١١٨].

ففهم مراد الله تعالى يكون بالغوص في أساليب علم المعاني لأن عدم الوصول إلى فهم المراد باللفظ يكون تارة بسبب الحذف وتارة بإبدال شيء مكان شيء وإبدال حرف بحرف أو اسم باسم أو فعل بفعل أو بسبب التكرار والإطناب أو الاختصار والإيجاز أو غيرها من أفانين علم المعاني[١١٩].

يقول الطبرسي: (إن البليغ المتفنن في بيانه قد يسلك لاعتبارات بلاغية مسالك الاختصار والإيجاز أو يرد موارد الإطناب والتطويل أو يعتمد على الحذف في بعض الأحوال، استنادا إلى قرائن ظاهرة أو خفيّة تتفاوت الأفهام في إدراكها، إلا من راضت البلاغة نفسه وكيّفت ذهنه وأسّست مملكته)[١٢٠].

فأثر علم البلاغة في تطوُر آليّات التفسير أثرا عظيما لأنه مُستودع سرّه ومُظهر

---

[١١٥] **ظ: أصول التفسير وقواعده، خالد العك: ٤٣.**

[١١٦] **تفسير القرطبي، القرطبي: ٢٤/١ (المقدمة).**

[١١٧] **الاسراء: ٥٩.**

[١١٨] **ظ: تفسير القرطبي، القرطبي: ٣٣/١.**

[١١٩] **ظ: أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك: ٢٠١.**

[١٢٠] **مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٢٢/١.**

جلالـه، وبـه يُعرف إعجـاز القرآن وتظهر خصائصه البيانيـة التـي أعجزت العرب حتـى حـــارت عقـــولهم وقـــصرت عنـــه جهابـــذتهم وفحـــولهم[١٢١]، حتـــى اضـــطرّ ذلكم المتكبر الجاحد والصلف المعاند الوليد بين المغيرة إلـى أن يقول فـي مقالتـه المـأثورة: (والله لقد سمعت من محمد كلامـا، مـا هو من كـلام الإنـس، ولا من كـلام الجن، وإن لـه لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق)[١٢٢].

وبذا يُعلم مـا للبلاغـة من تـأثير ، لجلالـة حضوتها، وعظيم منزلتهـا وإنهـا لا تـدانيها منزلة علم آخر. ويعوّل علـى علم المعـاني فـي الاطـلاع علـى حقـائق إعجـاز القرآن الكريم وجمال أسلوبه التعبيري من خـلال أسـاليبه المختلفـة للوصـول إلـى مـا يمكن الوصـول إليـه من قصدية النص القرآنـي الكريم،مايتوصـل بـه إلـى القول بالإعجـاز[١٢٣] ،والمفسِّر البعيد عن معرفة أساليب المعاني ربما يقع في الخطـأ، فـي تبيـان مـراد الله تعـالى، وكمـا ذكـر عبـد القاهر الجرجاني: (إن الكلام إن أجري على ظاهره ربما يقع في الشرك، ففي قولـه تعـالى: ﴿ **قُلْ ادْعُوا اللَّـهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَـا تَدْعُوا فَلَـهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾[١٢٤]، فـإن أخـذَ الكلام في ظاهره يوقع في الشرك فيكون إلى إثبات مدعوَّين، وإن قُدّر محـذوف فـي الكـلام أي: (ادعـوه الله وادعـوه الـرحمن) (وادعـوا بمعنـى الـذكر بالاسـم ولـيس الـدعاء)، فبتقـدير المحذوف (وهو من أساليب المعاني) يُعرف المراد من قوله تعالى[١٢٥].

فـلا غنـى للمفسر عن معرفـة أسـاليب علـم المعـاني للكشف عن خفايـا معـاني القرآن الكريم، وهذا ما آمن به الزمخشري حينما قال فـي مقدمـة تفسيره بقولـه : (فالفقيـه وإن بـرز علـى الأقران فـي علـم الفتوى والأحكـام، والمتكلم وإن بزّ أهل الدنيا فـي صـناعة الكـلام، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم احد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعـاني

---

[١٢١] **ظ: علم البلاغة، احمد مصطفى المراغي: ٦.**

[١٢٢] **الكشاف، الزمخشري: ٦٣٦/٤ (تفسير سورة المدثر).**

[١٢٣] **ظ: أساليب البيان، السيد جعفر الحسيني: ٤.**

[١٢٤] **الإسراء: ١١٠.**

[١٢٥] **ظ: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٣٧٥.**

وعلم البيان، وتمهّل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما أزمنة)[١٢٦].فهو قد اعتنى بعلم المعاني عناية واسعة (لأن اللذين سبقاه وهما عبد القاهر الجرجاني وعبد الجبار المعتزلي قد علّلا به الإعجاز في القرآن)[١٢٧]، فنراه في تفسيره (الكشاف) كثيرا ما يعتمد على أساليب علم المعاني، ونراه مثلا يسوق علم المعاني لخدمة تبيان مراد الله تعالى في تفسير الآيتين الأوليين من سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ **الم *ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾[١٢٨] ،ويحاول الربط بين تأليف الكلام وتعليل روعته البلاغية، ملاحظا أن معنى (ذلك الكتاب) انه (هو الكتاب الكامل) بإدخاله ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر ليدل على أن التركيب يفيد الحصر (وهو من أساليب المعاني)، وواصفا الكتاب بالكامل ليدلّ على حصر الكمال فيه (باعتبار اللام للجنس)، يقول: (كأن ما عداه من الكتب في مقابله ناقص، وانه هو الذي يستأهل أن يسمى كتابا...)[١٢٩]، ويقف عند قوله تعالى: ﴿ **لاَ رَيْبَ فِيهِ**﴾ بنفي الريب عن الكتاب، وفي تقديم (الريب) إزالة لكل شك فيه؛ لأنه حق وصدق لا باطل وكذب، ولو قُدّم الظرف، كما قُدِّم في قوله تعالى: ﴿ **لاَ فِيهَا غَوْلٌ**﴾[١٣٠]، لدلّ المعنى أن هناك كتابا آخر فيه ريب (والكتب كلها سماويّة مُنزلة من الله تعالى وهي بعيدة عن الريب) ،لذا أخّر الظرف، ثم يبين قوله تعالى: ﴿ **هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (والمتقون مهتدون)...)[١٣١]،وهذا القول أما لزيادة الهداية أو إنهم صائرون إلى الهدى بسبب التقوى، ففي الكلام حذف وإيجاز[١٣٢].وهكذا نراه يوظّف أساليب المعاني لتفسير كلام الله تعالى، ثم يطيل في شرح تعلق العبارات بعضها ببعض بموجب حسن النظم[١٣٣].

ولما كانت أساليب المعاني تدخل في صميم التفسير، فإن ابن سنان قد قال : (إن الكلام البليغ يجب أن يوضّح، كيف يكون الإيجاز مختارا ومتى يكون الإطناب

---

[١٢٦] **الكشاف الزمخشري: ١/٧.**

[١٢٧] **البلاغة تطور تاريخ، د. شوقي ضيف: ٢٢٢.**

[١٢٨] **البقرة: ١، ٢.**

[١٢٩] **الكشاف، الزمخشري: ١/٤٢.**

[١٣٠] **الصافات: ٤٧.**

[١٣١] **ظ: الكشاف الزمخشري: ١/٤٤.**

[١٣٢] **ظ: البلاغة، تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف: ٢٢٣.**

[١٣٣] **ظ: م.ن: ٢٢٤.**

مرضيا)[١٣٤]،ففي قوله تعالى: ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ**﴾[١٣٥] ،فكل كلمة من هذه الكلمات الكريمة في مقام كلام كثير وفيها من الإحكام والإيجاز[١٣٦]. فالآية جامعة لكل مكارم الأخلاق بألفاظ موجزة من غير حذف: (وهو ما يسمى بإيجاز القصر)،وعن الإمام الصادق عليه السلام : (أمر الله تعالى نبيه الكريم بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لها من هذه الآية)[١٣٧]، فعِبر تقليل اللفظ جاء المعنى متكاثرا ،وأدّى معنى كل مكارم الأخلاق ،لأن في العفو الصفح عمن أساء والرفق في كل الأمور والمسامحة والإغضاء، وفي قوله (وأمر بالعرف) صلة للأرحام ومنع اللسان عن الكذب والغيبة وغضّ الطرف عن كل مُحرّم، وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وكظم الغيظ [١٣٨].

أما في قوله تعالى: ﴿ **فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[١٣٩]، أسلوب آخر من أساليب المعاني، وهو الإسهاب في وصف هؤلاء الذين يحبهم الله ويحبونه، وهذا هو أسلوب الإطناب، الذي تفرّد بخصيصة الإعجاز فهو إطناب ولكن ليس من زيادة في النص، وفيه معانٍ عديدة يدخل احدها وهو (الاحتراس) في توضيح تفسير الآية الكريمة، وهو قوله: (أعزّة على الكافرين) فهذه العبارة التي أكمل بها الكلام وضحت المقصود من قوله تعالى: ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾ يقول القزويني، (إنهم من تواضعهم ذللوا رؤوسهم وخفضوا أجنحتهم مع شرفهم وعلوّ منزلتهم وفضلهم على المؤمنين)[١٤٠]، ولو لم تأتِ عبارة (أعزة على الكافرين) لتُوهم أنّهم أذلة على المؤمنين لضعفهم، ولكن بأسلوب الاحتراس، توضّح شأنهم وظهرت منزلتهم.

ويتوضّح اثر علم المعاني في توجيه الدلالة التفسيرية بأسلوب آخر من أساليبه لمعرفة تفسير آية أخرى، ففي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ**

---

[١٣٤] **سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي: ٢١/١.**

[١٣٥] **الأعراف: ١٩٩.**

[١٣٦] **ظ: العمدة، ابن رشيق: ٨٢/١.**

[١٣٧] **رواه الزمخشري في الكشاف: ١٨٣/٢، والقرطبي في تفسيره: ٣٤٥/٧.**

[١٣٨] **ظ: الطراز، العلوي: ٢٦٢.**

[١٣٩] **المادة: ٥٤.**

[١٤٠] **الايضاح، القزويني: ١٥٧.**

الْعُلَمَاءُ﴾[١٤١]،فبأسلوب القصر والتقديم توضّح مراد الله تعالى، (بقصر الفاعلية وتقديم المفعول)[١٤٢]،فقصَر الخشية من الله على العلماء، لأنهم من بين جميع العباد الذين نالوا المقام الرفيع من الخشية[١٤٣]، فهم من أكثر الناس معرفة بالله تعالى، لذا كانوا أشدّهم خشية منه، فخشيتهم على قدر معرفتهم[١٤٤]،فمن خلال أسلوب القصر وهو قصر خشية العلماء من الله وحده للتنويه بشأنهم وتعظيم منزلتهم، ونفي الخشية عن كل ما عداهم[١٤٥]، وفي تقديم المفعول انحصر هذا المعنى، ولو قدّم الفاعل لانقلب المعنى وصار: (أنهم يخشون الله ويخشون غيره)[١٤٦] (وهذا هو ليس المراد من قوله تعالى). وبذلك أدّى علم المعاني واجبه وأثره في توضيحه الدلالة التفسيرية، وهنا نقرّ أنه لا غنى للمفسر عنه في الوصول إلى الدلالة المبتغاة ففي قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ *يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾[١٤٧] ،نجد في قوله: (يخادعون الله) لم تأتِ الواو العاطفة، يقول السكاكي: (لأنها إيضاح لحالهم حيث كانوا يوهمون الناس بألسنتهم بأنهم (مؤمنون) وإيمانهم كان ظاهريا، فهم في حكم المخادعين)[١٤٨].(وان هذه المخادعة ليست شيئا غير قولهم(آمنّا))[١٤٩] . فترك العاطف أبان الغرض من الآية الكريمة وأوضح الكلام الذي قبله، وظهر تأثيره واضحا في توجيه الدلالة التفسيرية للآية المباركة ،وجلّى فائدة الفصل(وهو من أساليب المعاني).

وفي قوله تعالى: ﴿ **أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ**﴾[١٥٠] ، لم تعطف الجملتان لتسجل عليهم الغفلة فكأنهم هم والبهائم شيء واحد، فكانت الجملة الثانية

---

[١٤١] **فاطر: ٢٨.**

[١٤٢] **تفسير شبر، عبد الله شبر: ٤١٣.**

[١٤٣] **ظ: الامثل، في كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: ٧٣/١٤.**

[١٤٤] **ظ: حقائق التأويل، الشريف الرضي: ٥٧.**

[١٤٥] **ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٢٣٢.**

[١٤٦] **اساليب المعاني، السيد جعفر الحسيني: ١٥٢.**

[١٤٧] **البقرة: ٨ــ٩.**

[١٤٨] **مفتاح العلوم، السكاكي: ٣٧٧.**

[١٤٩] **دلائل الاعجاز،عبدالقاهرالجرجاني:٢٢٨ .**

[١٥٠] **الاعراف :١٧٩**

مقرّرة لما في الأولى فهي من العطف بمعزل[١٥١]، ولو عُطفت الجملتان لكان الغافلون هم غير (الذين كالأنعام) وهذا ليس هو مراد الله تعالى[١٥٢]. وبذلك أدى الفصل خدمة كبيرة في الوصول إلى المراد من الآية الكريمة، فجعل علم المعاني بأساليبه لخدمة تفسير كلام الله تعالى، واستعمال (الواو) في مواضعها لها معانٍ كثيرة وتأثير في تفسير النصوص ففي قوله تعالى: ﴿ **أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ**﴾[١٥٣]،عُطفت الجملتان، لأن لكل منهما جزاءً خاصاً، فهم على هدى من ربهم أولا ،وفي هذا تصحيح لمسيرتهم، وهم مفلحون ثانيا ،وفي هذا تحقيق للغاية والنتيجة الطبيعية التي نالوها[١٥٤]، فالواو وضّحت الصفتين، فالهدى من صفاتهم والفلاح صفة أخرى لهم جزاء لأعمالهم، لأنهم المؤمنون إيمانا كاملا[١٥٥]. فالواو لم تسقط من الكلام بأسلوب الوصل (وهو من أساليب المعاني) لتفيد أنهم جمعوا الهدى والاستقامة مع الفوز الأبدي في الجنّات والخلود.

فالواو عندما تربط الجملتين (الوصل) تفيد كمال اتصاف الموصوفين بكل صفة منها على حدة، وعندما تُترك وتأتي الصفات بلا عطف (الفصل) فإنها تفيد كمال اجتماعها في الموصوف وكأنّها صفة واحدة[١٥٦]،وبذلك حقّق الوصل أثره التفسيري في الوصول إلى الدلالة المبتغاة من النص، ويكون أحيانا في علم المعاني دليل على إثبات شيء في قوله تعالى كما في الآية الكريمة: ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾[١٥٧] في الآية حذف أي (خلقهن الله)، وفي جوابهم دليل على تفرُّد الله تعالى بالخالقية[١٥٨]، وكما ذكر السيد الطباطبائي، أن الحذف قد أفاد إثبات توحيد الخالق، وألقى الحجة على الذين يجعلون مع الله أربابا متعددة، ويدل على هذا سرعة إجابتهم، فالآية فيها

---

[١٥١] ظ: البرهان، الزركشي: ١٠٦/٤.

[١٥٢] ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٢٤٣.

[١٥٣] لقمان: ٥.

[١٥٤]ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٢٤٣.

[١٥٥] ظ: الامثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي: ١٠/١٣.

[١٥٦] ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٣٥٠.

[١٥٧] لقمان: ٢٥.

[١٥٨] التفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ٢٧/٦.

احتجاج على الربوبية والتوحيد وإشارة إلى المعاد وتبكيت لهم على جحودهم[١٥٩].

فالحذف أفاد توكيد الخالقية لله تعالى واعتراف المنكرين له بذلك، وبذلك حقّق هدفه التفسيري وأبان عن المراد، وأحيانا يكون في الحذف تنبيه إلى أمر أو إغراء به، كقوله تعالى: ﴿ **نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا**﴾[١٦٠]، ففي حذف الفعل والفاعل زيادة اختصاص للمفعول وهما (ناقة الله) و(سقياها) كأنه أراد (ذروا ناقة الله واحذروا سقياها)[١٦١]، وبالحذف تركز المعنى على المراد والتنبيه له والتحذير منه، فأظهر الحذف الاهتمام بالمفعول، فكان هنا دالة، لها أثرها التفسيري في الوصول إلى الدلالة التي هي غرض الآية.

وفي اثر علم المعاني في تفسير النصوص الكريمة، بتقديم الكلمات بعضها على الآخر،(وفي تقديمها اثر في التفسير)، ففي قوله تعالى في سورة النمل: ﴿ **لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**﴾[١٦٢]،وفي سورة (المؤمنون) قال تعالى:﴿ **لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**﴾[١٦٣]، في الآية الأولى قدّم (وُعدنا هذا) أي البعث[١٦٤]؛لان الكلام قد سيق من أجله فتركّز الاهتمام عليه لذلك قدّم[١٦٥]. أما في الآية الثانية، قدم (نحن وآباؤنا) وهم المبعوثون للدليل على أهميتهم، وأنهم هم المقصودون من الآية وليس البعث، فاختلاف التقديم في الآيتين دليل على أن المقدّم هو الغرض المتعمّد بالذكر[١٦٦]. وذلك بإظهار أهمية البعث في الآية الأولى، وأهمية المبعوثين في الآية الثانية، كما ذكر الجرجاني[١٦٧].

ومن أساليب المعاني المؤثرة في تفسير النصوص هو التنكير، فله أثر في إيضاح المعنى، ففي قوله تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ**

---

[١٥٩] ظ: الميزان، السيد الطباطبائي: ٢٦٨/٤.

[١٦٠] الشمس: ١٣.

[١٦١] علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ١٤٤.

[١٦٢] النمل: ٦٨.

[١٦٣] المؤمنون: ٨٣.

[١٦٤] التبيان الطوسي: ١١١/٨.

[١٦٥] ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٣١٠+ظ: البلاغة العربية، د. عبد العاطي غريب: ١٣٨.

[١٦٦] ظ: الكشاف، الزمخشري: ٣٦٨/٣.

[١٦٧] ظ: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٩٣.

الْأَقْصَى﴾[١٦٨]،يقول الزمخشري: (جاءت (ليلا) نكرة وذلك لتقليل مدة الإسراء وانه أسرى به في بعض الليل (وليس الليل كله) من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة، فالتنكير دلّ على معنى البعضية)[١٦٩].

أما إذا جاءت النكرة في سياق النفي فإنها تعمّ،وهذا ما ذهب إليه عبد القاهر[١٧٠]، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾**[١٧١]، فكلمتا (دابة، طائر) أفادتا العموم بدليل (في الأرض، يطير بجناحيه) زيادة في التعميم والإحاطة[١٧٢].

ومن الأساليب التي تؤثر في تفسير النص، خروج الكلام على غير مقتضى الظاهر، كتنزيل غير المنكر منزلة المنكر في الجملة الخبرية وتأكيدها بمؤكّد أو أكثر. ففي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾**[١٧٣]،الخطاب للرسول ﷺ فهو ليس منكرا بأنه لا يستطيع إسماع الموتى (وهم الذين لا يستجيبون إلى دعوته) ولا إسماع من به صمم (وهم الذين لا يدركون الأصوات كأنما فقدوا السمع)[١٧٤]، ولكنه من شدة حرصه على هدايتهم مجهدا نفسه في إبلاغهم ما أنزل إليه ومتطلعا إلى استجابتهم وإقلاعهم عن الضلال والكفر، فقد نزّل منزلة من يعتقد انه يستطيع إسماعهم وهدايتهم، ونُزّل منزلة المنكر عدم قدرته على إسماعهم، فألقى إليه الخبر مؤكدا[١٧٥]، فتنزيل غير المنكر منزلة المنكر، وتوكيد الكلام له هو من مقتضيات علم المعاني الذي أفاد في رسم ملامح النص، وأوضح فيه تعالى بأن الرسول ﷺ مهما كان متشوقا إلى هداية قومه واستجابتهم لدعوته فانه لا يمكنه هدايتهم لأنهم كالموتى وكالصمّ الذين لا ينتفعون بدعوة

---

[١٦٨] **الاسراء: ١.**

[١٦٩] **الكشاف الزمخشري: ٢/٦٢١ــ٦٢٢.**

[١٧٠] **ظ: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني:٢٨٨.**

[١٧١] **الانعام: ٣٨.**

[١٧٢] **ظ: الكشاف، الزمخشري: ٢/٢٠.**

[١٧٣] **النمل: ٨٠.**

[١٧٤] **ظ: التبيان، الشيخ الطوسي: ٨/١١٦+ ظ: معاني القرآن، النحاس: ٥/٢٧١.**

[١٧٥] **ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٤٥.**

الداعي[١٧٦].

ومنه أسلوب الالتفات، مما جاء بكثرة في النصوص القرآنية، ففي قوله تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ**﴾[١٧٧] في الآية التفات من الخطاب إلى الغيبة في قوله تعالى: (وجرين بهم) فأنهم حينما كانوا في الفلك وكانوا موجودين اقبل الله تعالى عليهم وخاطبهم، ولما ذهبت بهم الريح بعيدا عن مقام الخطاب، ناسب الحال طريق الغيبة[١٧٨]. فالالتفات احد أساليب المعاني يؤثر في تفسير النص وتبيان أثره في الانتقال من حال إلى حال أخرى ،ففي قوله تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ *إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ *اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾[١٧٩] في الآيات الأولى الكلام للغيبة إلى قوله تعالى: (مالك يوم الدين) ثم تحوّل إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾، فبعد ما حمد المؤمن ربه واعترف بربوبيته ورحمته الغامرة وملكه ليوم الدين، وقعت هذه المعاني في نفسه وازداد قربا من الله تعالى فخاطبه معلنا اختصاصه بالعبادة ومدّ العون بخطاب الحاضر الذي لا يغيب عنه طرفة عين[١٨٠].

ومن أساليب المعاني التي تؤثر في تفسير النصوص من مباحث الإنشاء. خروج الاستفهام إلى غير معناه الأصلي كقوله تعالى:﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ**﴾[١٨١] فالاستفهام لا يقصد منه السؤال بقصد الإجابة، ولكن (فيه معنى التقرير والتوبيخ والتعجيب)[١٨٢].وفي قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا**﴾[١٨٣] فهم لم يكن قصدهم الاستفهام منه وإنما استهزاء وسخرية به؛ لأنه ترك عبادة أصنامهم[١٨٤].

---

[١٧٦] **ظ: مجمع البيان، الطبرسي: ٧٠/٨.**

[١٧٧] **يونس: ٢٢.**

[١٧٨] **ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٣٩٩.**

[١٧٩] **الفاتحة: ١ــ٦.**

[١٨٠] **ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٢١٢+ ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٤٠٠.**

[١٨١] **البقرة: ٤٤.**

[١٨٢] **الكشاف، الزمخشري: ١٣٦/١+ تفسير شبر، عبد الله شبر: ٤٦.**

[١٨٣] **هود: ٨٧.**

[١٨٤] **ظ: تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي: ١٨٦/٢+ ظ: البرهان، الزركشي: ٣٤٣/٢.**

وكذلك في خروج الأمر إلى غير معناه الحقيقي، كقوله تعالى: ﴿ **كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾[١٨٥]، لم يرد منهم أن يكونوا قردة، فهم لا يمكنهم تحويل أنفسهم،وجاء في المجمع: (انه صيّرهم كذلك لا أنه خاطبهم وأمرهم به)[١٨٦]،ولكنه خرج إلى معنى التسخير أو التكوين أو التحويل[١٨٧].وهو إيحاء إلى أن الأمر ينزل بهم في أسرع لحظة وهم صاغرون أمامه[١٨٨]، وفيه دلالة على فورية المسخ الذي تمّ بأمر إلهي، فالله يفعل ما يشاء إن أراد شيئا ﴿ **وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[١٨٩].

أو خروج النداء لغير معناه في التنبيه، ففي قوله تعالى: ﴿ **يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ**﴾[١٩٠]، فلم يُرد منه دعوة الحسرة كي تقبل، وإنما هو تلهُّف وتوجُّع وحسرة من الرجل المؤمن على قومه لما يصيبهم من عذاب في يوم القيامة[١٩١]، فأسلوب النداء ابرز ما بداخله من شدة الحسرة عليهم بعد ما استهزءوا بالرسل ولم يصدّقوا بهم.

فأفادتنا مباحث علم المعاني بما فيها من فصل ووصل وتقديم وتأخير وحذف وذكر إلى التوصّل إلى مراد الله تعالى من الآيات الكريمة، وبهذا يتجلى لنا أن التفسير لا غنى له عن علم المعاني ومعرفة أسراره كي يبتعد المفسّر عن الغموض والشك ويفهم مقاصد الله تعالى في كتابه الجليل.

وخلاصة البحث: أننا وجدنا أركان علم المعاني كلها أصبحت دوالا ينفذ المفسرون من خلالها إلى القصدية المبتغاة بوصفها الغرض التفسيري المنشود وهنا نتلمس أيضا الأثر الكبير لعلم المعاني في توجيه الدلالة التفسيرية والوصول إلى ما أراده الخالق سبحانه من النص القرآني.

---

[١٨٥] البقرة: ٦٥.

[١٨٦] مجمع البيان، الطبرسي: ٩٨/٧.

[١٨٧] ظ: البليغ في المعاني والبيان والبديع، الشيرازي: ١٣٤.

[١٨٨] ظ: من بلاغة النظم العربي، عبد العزيز عرفة: ٧٧/٢.

[١٨٩] البقرة: ١١٧.

[١٩٠] يس: ٣٠.

[١٩١] ظ: الكشاف، الزمخشري: ١٣/٤.

وإن المتأمل والباحث العلمي ليؤيد قاطعا بأن تلك الدلالات الناتجة لم تتحقق إلا بالأساليب التي خصّها الله سبحانه لكل قول. ومن هنا ندرك أيضا قابلية تلك الأساليب العائدة لعلم المعاني على توجيه المعنى، ومن ثم الوصول إلى مراد الله سبحانه،ومن ثم القدرة على توجيه التفسير الذي لا يرى بدا من الحمل على تلك الأساليب بوصفها هي وحدها القادرة على إيصال المعنى التفسيري للوصول إلى الغاية ،وهنا يتحقق الإعجاز القرآني.

المبحث الثالث

أثر التفسير في تطور علم المعاني

كان العرب قبل مجيء الإسلام في حالة من الرقي البياني واللغوي(فالعربي تهزّه الكلمة العذبة وتطربه العبارة الفصيحة)[١٩٢]،يقول السيد الطباطبائي:(ما من شك بأنّ العرب بلغت من البلاغة في الكلام مبلغا لم يذكره التاريخ لغيره من الأمم المتقدّمة عليهم والمتأخرة عنهم في كمال البيان وجزالة النظم ووفاء اللفظ)[١٩٣]، فكلامهم كان مستقيما بلا لحن ولا اضطراب ولا فساد[١٩٤]،وقد أشار القرآن الكريم إلى اقتدارهم على البيان وحسن تصرفهم فيه، قال تعالى:﴿ **وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ**﴾[١٩٥]، وقال مصوِّرا قدرتهم على الجدل والحجاج:﴿ **فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ**﴾[١٩٦]،وأيضا قال:﴿ **مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾[١٩٧]،وقال مخاطبا رسوله الكريم ﷺ :﴿ **وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا**﴾[١٩٨].

وكانت أشعارهم وخطبهم متضمّنة لأساليب البلاغة من فصل ووصل وإيجاز وإطناب وحذف وذكر وغيرها،ولكن هذه الفنون لم تكن متميزة عن بعضها،وترد في أشعارهم بلا تكلف ولا تصنّع، فكان لها الأثر الواضح في إظهار المعنى وإيضاح جماله وحسنه[١٩٩].ونرى هذا ممثلا في قول طرفة بن العبد في الإطناب:

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الغمام وديمةٌ تهمي[٢٠٠]

ففي جملة(غير مفسدها) وهي من أسلوب الاحتراس* (أحد أساليب علم المعاني)

---

[١٩٢] نظرات معاصرة،د. محمد حسين الصغير:٧٥

[١٩٣] الميزان، السيد الطباطبائي:٦٨/١.

[١٩٤] ظ:المصباح ،الدمشقي:١٨.

[١٩٥] البقرة:٢٠٤.

[١٩٦] الأحزاب:١٩.

[١٩٧] الزخرف:٥٨.

[١٩٨] مريم:٩٧.

[١٩٩] ظ: المصباح، الدمشقي:١٨.

[٢٠٠] ديوان طرفة بن العبد:٦٢.

توضّح معنى سقي الديار من المطر الغزير، ولكنه من دون إفساد معالمها[٢٠١]،فيدل هذا على أن أساليب البلاغة في كلامهم تأتي جريا على السليقة العربية وعلى نهج العرب في الإنشاء والقول[٢٠٢]،من دون أن تكون لها أسماء ومسمّيات، بل كانت تقوم على الفطرة والسليقة.

وجاء القرآن الكريم كتاب العربية الأكبر وأثرها الأدبي الأعظم، الذي خلّد العربية وخلد معها، فصار فخرها وزينة تراثها[٢٠٣].

فحينما نزل القرآن، كان الناس مشدودين له ،سواءاً منهم من آمن به أم من لم يؤمن،وذلك لحسن نظمه وبديع لفظه،وجمال صوره، وحتى المعارضون له كانوا يتنصتون له مسترقين السمع مصغين إلى قراءة رسول الله ﷺ ،وهذا دليل على إعجابهم بالكتاب وإدراكهم لعظمته ووقوعهم في أسر بيانه[٢٠٤].

فالعرب برغم تبصّرهم بالبلاغة وفنونها وتمييزهم الكلام البليغ عن غيره، فقد انبهروا بالقرآن وبلاغته وعجزوا عن الإتيان بمثلها، قال تعالى:﴿ **قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾[٢٠٥] وما كلام الوليد بن المغيرة(الذي مرّذكره) حينما استمع إلى رسول الله ﷺ إلا شاهدٌ على ذلك، فعرف أن هذا الكلام فيه من العلو والتميّز ما لا يمكن أن يأتي به بشر،ففي كلامه دلالة على بلاغة القرآن وإعجابهم بها، وأنهم كانوا على معرفة ببلاغة القول وفصاحة البيان[٢٠٦].

وحينما قامت حركة التفسير في بداية ظهور الإسلام، كان التفاعل الحضاري قائما

---

* **الاحتراس: (هو أن يؤتى به في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه)، الايضاح، القزويني: ١٥٦.**

[٢٠١] **ظ:أساليب المعاني، جعفر الحسيني:٥٠٦.**

[٢٠٢] **ظ:المصباح، الدمشقي:٢٠**

[٢٠٣] **ظ: دائرة المعارف الإسلامية،أمين الخولي:٣٦٦**

[٢٠٤] **ظ: المصباح، الدمشقي: ٢٣.**

[٢٠٥] **الاسراء: ٨٨.**

[٢٠٦] **ظ: البلاغة تطور وتاريخ،شوقي ضيف:٥٩**

بين كتاب الله وعلم البلاغة العربية، فنهوض هذا العلم وقيامه(فضلا عن نشوئه) ،كان من أجل إثبات بلاغة القرآن ، فكل بلاغة دونها،وكل بليغ لا يصل اليه ولا يواكب تلاطم أمواجه، فالبلاغة في أصولها وفروعها وتضاعيفها مستندة إلى القرآن في ينابيعه الأولى، حيث أنها نشأت بتأثير هذا الدين، وبها تحدّى القرآن القوم، فهلكت فيه النفوس وأريقت المهج وقُطعت الأرحام وذهبت الأموال[٢٠٧].

فكان القرآن الكريم دافعا قويا ورافدا في التأليفات البلاغية والبيانية ،التي تهدف إلى خدمة الكتاب العزيز، فقامت دراسات بلاغية عظيمة هدفت إلى الوقوف على خصائص الجمال في النص القرآني، ومواطن التعبير عنها، والسرّ البلاغي فيها، وما يثيره في النفس الإنسانية من خلق تأثير شعوري ووجداني وانفعالي[٢٠٨].

فكانت آياته البيّنات الشاهد البلاغي الرفيع[٢٠٩]،(فنشأ علم المعاني غضّا يانعا موصول الأسباب بإعجاز القرآن،ومضى العلماء والبلغاء يبحثون في سر هذا الإعجاز عن طريق البلاغة)[٢١٠].

ويعدّ الإمام علي عليه السلام حاويا للبلاغة كلها في خطبه وأقواله التي جمعت في نهج البلاغة ، لكونه مقتبسا من أغصان القرآن الكريم ومن خواص كلام الله تعالى، ومتضمِّنا من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة، وجواهر العربية، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية، فهو عليه السلام مَنشأ البلاغة ومولدها، ومنه ظهر مكنونها وعنه أخذت قوانينها، وبكلامه استعان كل واعظ وبليغ[٢١١].

فقد ضمّن عليه السلام خطبه كل ما جاء في القرآن الكريم من تفسير للآيات القرآنية وما احتوته من كنوز البلاغة وفنونها.

---

[٢٠٧] **ظ:بيان اعجازالقرآن،الخطابي:٢١**

[٢٠٨] **ظ: البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف:١٩٣**

[٢٠٩] **ظ: البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب:١٩**

[٢١٠] **علم المعاني، محمود أحمد نحله:٥**

[٢١١] **ظ: قواعد البلاغة، الشيخ مصطفى النوراني: ١٢ــ١٣**

فمن خطبة له ﷺ يحث الناس على الجهاد، قال:(أيها الناس، إن الله عز وجل قد دلكم على تجارة تنجيكم من العذاب وتشفى لكم على الخير،إيمان بالله ورسوله وجهاد في سبيله،وجعل ثوابه مغفرة الذنوب ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر...)[٢١٢].

فكأنها تفسير لقوله تعالى في خروج الاستفهام إلى معنى التشويق والترغيب،قال:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ *)تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ**﴾[٢١٣]،وهكذا في خطبه ﷺ يمضي بأفصح الكلمات وأبلغها، مضمّنا كلام الله تعالى،ومعاني آياته.

وقد سار على نهجه من بعده أئمة أهل البيت عليهم السلام فنظموا لآلئ المعاني والبيان وسردوا عقود الإيجاز والإطناب والمساواة بضوء التبيان[٢١٤]، فهم هداة الناس إلى علوم الله تعالى، ومن أجلّها علوم البلاغة التي رست ملامحها بخطبهم وأقوالهم عليهم السلام.

وفتح علم المعاني فضاءً واسعا للمفسّرين من أجل التأليف والتنقيب فيه فظهر دور مهم لهم في علم المعاني، إذ راحوا يخوضون غمار البحث في كل دقائقه، مما أسهم في تطويره. فقد تحدّث الفرّاء في كتابه(معاني القرآن) عن مسائل علم المعاني كالتقديم والتأخير والإيجاز والإطناب، وتطرّق إلى المعاني التي تفيدها بعض الأساليب كأدوات الاستفهام التي تخرج عن معناها الحقيقي(في طلب الفهم)، ويستشهد بقوله تعالى: ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ**﴾[٢١٥]،يقول:(وقوله: كيف تكفرون...على وجه التعجب والتوبيخ لا على الاستفهام المحض، أي:ويحكم كيف تكفرون)[٢١٦] ،(فالفرّاء سمّى هذا الاستفهام بأنه استفهام غير

---

[٢١٢] **مستدرك نهج البلاغة، الميرجهاني:١/٣٤، الخطبة الحادية عشرة.**

[٢١٣] **الصف:١٠ــ١١**

[٢١٤] **ظ: قواعد البلاغة، الشيخ مصطفى النوراني:٢٨**

[٢١٥] **البقرة:٢٨**

[٢١٦] **معاني القرآن،الفراء:١/٢٣**

محض)[٢١٧]،فصار الاستفهام عنده يفيد معانيٍ بلاغية أخرى غير المعنى الحقيقي[٢١٨].

فمن(قوله تعالى)توصّل إلى المعنى البلاغي للاستفهام وما أفاده حينما خرج من معناه الحقيقي، فكانت الآية الكريمة خير شاهد على ذلك، وكانت إحدى آيات القرآن الكريم مدعاة إلى أن يؤلف أبو عبيدة (مجاز القرآن)،وهي قوله تعالى:﴿**طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ** ﴾[٢١٩].

وعُدّ كتابه من كتب التفسير واللغة والبلاغة، فقد حوى بعض الآراء والأفكار البلاغية ذات القيمة[٢٢٠]،(وقد فسّر القرآن فيه على أساس البلاغة بالإشارة إلى فنونها وأساليب تعبيرها)[٢٢١].

والمجاز عنده: هو التفسير وبيان الطرق التي يسلكها القرآن في التعبير عن المعاني، أو هو ما تؤول إليه الألفاظ من المعاني[٢٢٢]،وقد أشار فيه إلى أساليب علم المعاني كـ(الالتفات) وإن سمّاه(مجازا) فهو عنده ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد، ثم تركت وحُولت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب، كقوله تعالى:﴿ **حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ**﴾[٢٢٣]،أي بكم[٢٢٤].فالمجاز عنده أوسع من المعنى الاصطلاحي بحيث يشمله،وغيره[٢٢٥].

فالمفسرون هم الذين وضعوا أسس البلاغة التطبيقية، من خلال التطبيق البلاغي على أرفع وأسمى نموذج لغوي، ألا وهو القرآن الكريم،وفي هذا التطبيق ثمره ونفع للدرس البلاغي، فمن خلال التطبيق على آيات القرآن الكريم ،تنفتح فضاءات واسعة

---

[٢١٧] علم البديع، بسيوني عبد الفتاح:٢٣

[٢١٨] ظ: المصباح،الدمشقي:٥٨

[٢١٩] الصافات:٦٥

[٢٢٠] ظ: فنون التفسير البياني، د. توفيق الفيل: ١٧.

[٢٢١] البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب:٢٣

[٢٢٢] ظ: المصباح،الدمشقي:٦٢

[٢٢٣] يونس:٢٢

[٢٢٤] ظ: مجاز القرآن ،أبو عبيدة:٣/١

[٢٢٥] ظ: المصباح، الدمشقي:٥٩+ظ: فنون التصوير البياني، د. توفيق الفيل: ١٧

للمعرفة البلاغية، ويجد المفسر مناخا ملائما لتطبيقاته، حيث حوت آيات الذكر الحكيم كل ما يحتاجه المفسر من أساليب علم المعاني كالفصل والوصل والمضمر والمظهر والإيجاز والإطناب والاستفهام والنداء وغيرها مما يهيئ جوا ملائما للخوض في معرفة أساليبه البلاغية، وإمعان التفكر والنظر في مكنونات آياته،وهذا التطبيق على النصوص القرآنية يعطي روعة في التحليل وجمالا في التعبير، ويجعل المفسر مرتبطا بالنص، فالبلاغة التي ترتبط بالقرآن الكريم ستبقى خالدة مدى الدهر، وسيكون للمفسِّر ثراء فنيّ في مجال استنباط المعاني الفنية والوقوف على روعة التصوير البياني الذي لا مثيل له[٢٢٦].

وإن ما كتبه الفراء وأبو عبيدة في القرآن في المراحل الأولى لنشوء علم التفسير، يعدّ هو الأساس الأول للدراسات البلاغية التطبيقية(التي سيُكتب لها الخلود بخلود النص القرآني الذي اقترن به)[٢٢٧].

وفي هذه المرحلة، لم يكن علم المعاني علما مستقلا بذاته، بل كانت علوم البلاغة(المعاني والبيان والبديع) متداخلة مع بعضها[٢٢٨].

ومن بعد الفراء وأبي عبيدة، ألف الجاحظ كتابا في التفسير أسماه(نظم القرآن)(لم يصل إلى أيدي الباحثين)،وذكر في كتبهم وقد استخرج فيه كنوز العبارة القرآنية، وذكر أن مرجع الإعجاز في القرآن الكريم يعود إلى نظمه وأسلوبه العجيب المباين لأساليب العرب في الشعر والنثر وما يطوي من سجع[٢٢٩].

ثم ألّف ابن قتيبة (تأويل مشكل القرآن)،واستعمل فيه التنظيرات البلاغية من التقديم والتأخير والحذف والتكرار والإخفاء والإظهار وغيرها من أساليب المعاني[٢٣٠].

ثم ألف علي بن عيسى الرماني(ت٣٨٦ هـ)رسالة (النكت في إعجاز

---

[٢٢٦] ظ: المصباح، الدمشقي:٥٩ــ٦٠

[٢٢٧] م.ن:٦٢

[٢٢٨] ظ:م.ن : ٧٥

[٢٢٩] ظ: علم المعاني ،محمود أحمد نحله:١٣

[٢٣٠] ظ: نظرات معاصرة، د. محمد حسين الصغير:٧٤

القرآن)،وذهب إلى(أن القرآن معجز ببلاغته وهو أعلى طبقات الكلام)[٢٣١]، فردّ أوجه الإعجاز القرآني إلى سبع جهات: منها البلاغة بفنونها[٢٣٢].

ووضّح حمد بن سليمان الخطابي(ت٣٨٨ هـ)في رسالته(بيان إعجاز القرآن)، بأن إعجاز القرآن يرجع إلى حسن نظمه وتأليفه مضمّنا أصحّ المعاني، فقال:(إنما يتقوّم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور في غاية الشرف والفضيلة...)[٢٣٣]،فهو يعدّ الإعجاز في القرآن من النظم العجيب،وهو ما قرّره عبد القاهر الجرجاني فيما بعد في دلائله[٢٣٤].

ثم ألف أبو هلال العسكري، كتابه(الصناعتين)، فهو يرى أن إعجاز القرآن يتأتّى من حسن التأليف وبراعة التركيب، وما شحنه من إيجاز بديع واختصار لطيف، وما ضمّنه من الحلاوة، وجلله من رونق الطلاوة، مع سهولة كلماته وجزالتها وعذوبتها وسلاستها إلى غيرها من المحاسن التي عجز الخلق عنها، وتحيّرت عقولهم فيها[٢٣٥]،فالبلاغة هي دليل الإعجاز عنده.

ومن المتكلمين ،ألف بعده أبو بكر الباقلاني(ت٤٠٣هـ) في(إعجاز القرآن)،وقد أرجع إعجاز القرآن إلى ثلاثة أمور: منها ما فيه من بداعة النظم،والتأليف العجيب، والتناهي في البلاغة إلى الحدّ الذي يُعلم عجز الخلق عنه[٢٣٦]،ولكنه لم يستطع أن يبيّن شيئا من أسرار هذا النظم البديع،والتأليف المتناهي في البلاغة،وإن مهّد له الطريق،وهيّأ له الأذهان[٢٣٧].واشتهر بأنه(أول من بسّط القول في البلاغة القرآنية)[٢٣٨].

يقول الباقلاني،وهو منفعل بجمال القرآن واصفا إحساسه وعجزه عن وضع اليد على

---

[٢٣١] ظ: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القاهر: ١.

[٢٣٢] ظ: علم المعاني ،محمود أحمد نحله:١٣

[٢٣٣]ظ:م.ن :١٤

[٢٣٤] ظ: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني:٣٩١

[٢٣٥] ظ: الصناعتين، أبو هلال العسكري، المقدمة:١

[٢٣٦] ظ: إعجاز القرآن، الباقلاني:٣٣

[٢٣٧] ظ: علم المعاني ،محمود أحمد نحله:١٤

[٢٣٨] الإعجاز البياني للقرآن،د. بنت الشاطئ:١٠٠

منابع الجمال القرآني قائلا:(فأما نهج القرآن ونظمه وتأليفه ورصفه، فإن العقول تتيه في جهته، ويحار في بحره، وتضلّ دون وصفه)[٢٣٩]. ثم يقول:(وهو أدقّ من السحر، وأهول من البحر، وأعجب من الشعر...)[٢٤٠].فنراه يتيه في هذا البحر عاجزا كغيره من تدبر وجوه الإعجاز فيه.

وألّف السيد الشريف الرضي (تلخيص البيان في مجازات القرآن)وكتاب(المجازات النبوية) الذي جمع فيه من بلاغة الرسول ﷺ وبديع قوله، وخالص نصحه،وحلو ألفاظه، يقيم فيها صرح البلاغة العربية في قراءتها واستخراج فنون القول وبدائع الحديث النبوي الشريف منها[٢٤١].

ثم ألف القاضي عبد الجبار المعتزلي(ت٤١٥هـ)،(المغني في أبواب التوحيد والعدل)، وكان جزء منه خاص(بإعجاز القرآن) الذي ربطه بمعاني النظم، فقال:(اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة)[٢٤٢]،فله فضل السبق إلى وضع أسس نظرية النظم[٢٤٣].

فظهرت في كتابات كل هؤلاء ملامح وبصمات كتاب الله في ثنيّات جوهر البلاغة وأسسها[٢٤٤]، فطوّرت البلاغة وفتحت لها آفاقاً رحبة وشواهد ثرة من كتاب الله تعالى، فتعد نشأتها في أحضان الإعجاز القرآني.

وظلت فنون البلاغة متداخلة مع بعضها تستعمل في كتب التفسير والكلام لحين مجيء عبد القاهر الجرجاني بكتابه(دلائل الإعجاز)، فكانت جهوده عظيمة في توضيح فكرة النظم وارتباطها بمعاني النحو، وفكرته عن النظم تعدّ تمهيدا طبيعيا لما تعارفوا عليه

---

(٢٣٩) إعجاز القرآن، الباقلاني:٧٩

(٢٤٠) م.ن:١٨٤

(٢٤١) ظ: المجازات النبوية، الشريف الرضي:١

(٢٤٢) علم المعاني، محمود أحمد نحله:١٤

(٢٤٣) ظ:م.ن:١٥

(٢٤٤) ظ: نظرات معاصرة،د. محمد حسين الصغير:٧٤

فيما بعد باسم(علم المعاني)[٢٤٥]،(فهو يبحث بكل تفريعاته الجمالية والأسلوبية،ويعدّ عمله الحجر التأسيسي لمفاهيم علم البلاغة مستمدة من القرآن الكريم ،فهو بذلك يكون الفكر المخطط الرائد لجملة هذه الأفكار،والمنظّر المتمكن من هذا الفن)[٢٤٦]. يقول أحمد بدوي:(ولا ريب في أن الفضل في ابتكار هذا العلم يعود إلى عبد القاهر الجرجاني وحده، فإن مسائل هذا العلم لم تُدرس قبله ولم تُعالج على هذا النحو...ولعلّ تمعّن عبد القاهر في الحديث عن معاني النحو،وأن النظم ليس شيئا سوى توخي هذه المعاني ،هو الذي أوحى بتسمية هذا العلم بـ(علم المعاني)..)[٢٤٧]،فيرى عبد القاهر أن إعجاز القرآن والانبهار به، لم يتأتَّ من الألفاظ المفردة، وإنمّا يكون في تراكيب ونظم وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها[٢٤٨].ويرى أيضا أن مراعاة التلاؤم بين معاني الكلمات المقررة تلاؤما يساعد على أداء المعنى المقصود بجمال وقوّة ويتم نظم هذه المعاني نظما متلائما بالاستعانة بعلمي النحو والبلاغة[٢٤٩].

فيقول في مسألة النظم،التي تعني عنده معاني النحو:(ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو، وأحكامه فيما بين الكلم)[٢٥٠].

ففي قوله تعالى:﴿ **وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[٢٥١]،يوضّح عبد القاهر،كيف أن مسألة النظم(التي هي معاني النحو) يتجلى فيها الاعجاز،فيقول:إنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع الى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وإن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة...ثم يقول:فتأمل، هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها،وأفردت لأدت من

---

[٢٤٥] ظ: اصول البيان العربي،د.محمد حسين الصغير: ٢٠

[٢٤٦] نظرات معاصرة،د. محمد حسين الصغير: ٧٤

[٢٤٧] عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، أحمد أحمد بدوي: ٣٦٩

[٢٤٨] ظ: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٣٩

[٢٤٩] ظ:م.ن: ٨٣

[٢٥٠] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٨٤

[٢٥١] هود: ٤٤

الفصاحة ما تؤدّيه،وهي في مكانها من الآية.قل(ابلعي) واعتبرها وحدها، من غير النظر إلى ما قبلها وما بعدها،وكذلك سائر الكلمات...ثم يوضح مبدأ العظمة،فيقول: ثم في: أن النداء كان بـ(يا) دون أي، نحو(يا أيتها الأرض)،ثم في إضافة الماء إلى الكاف، دون أن يُقال(ابلعي الماء) ثم أن اتبع نداء الأرض وأمرها بما هو شأنها، نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصّها، ثم أن قيل:و(غيض الماء) فجاء الفعل على صيغة(فُعِل) الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر آمر وقدرة قادر،ثم إضمار السفينة قبل الذكر حينما قال(واستوت على الجودي) لما في الإضمار من الفخامة والدلالة على عظم الشأن...ثم يقول، أفترى الشيء من هذه الخصائص التي تملؤك بالإعجاز وروعته، وتحضرك عند تصورها هيبة،وكل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب،ومن هذا يتوضح أن اللفظ لا يتفاضل على غيره إلا بملائمة معاني الألفاظ مع غيرها[٢٥٢].

ومن هذا يتضح أن عبد القاهر أراد أن يثبت أن إعجاز القرآن ليس بفصاحة ألفاظه المفردة، بل في تراكيب معانيه وانضمام بعضها إلى بعض. فهو حين تصدّى لبيان إعجاز القرآن كان بمعزل عن الاشاعرة والمعتزلة ووقف من الإعجاز موقف الاستيعاب ثم النقد ثم الاختيار،فقد أحاط بجهودهم في تفسير الفصاحة أو النظم،وردّ إعجاز القرآن إليه، ثم حاججهم وناقشهم،وخلص إلى نظرية يمكن بها الوصول إلى الأسس التي يفضل بها كلام كلاما، ثم يتعاظم هذا الفضل، حتى يصل إلى الغاية التي لا تدرك وهي الإعجاز،فقد وصل عبد القاهر بمنهجيته المنطقية وعقله النافذ وإحساسه المرهف وقدرته البارعة على النقد والتحليل إلى ما وصل إليه النقاد وعلماء اللغة المحدثون[٢٥٣].

فلعبد القاهر فضل تفسير نظرية النظم، التي وضع أسسها قبله القاضي عبد الجبار وإيضاح معالمها وتطبيقها على نماذج كثيرة من القرآن ،وجعلها مصدرا ثرّا لعلم المعاني،الذي استخرجه السكاكي فيما بعد[٢٥٤].

وبعد عبد القاهر، جاء جار الله الزمخشري(ت٥٣٨هـ)وبحث في علمي المعاني

---

[٢٥٢] ظ: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني:٤٥ــ٤٦

[٢٥٣] ظ: علم المعاني ،د.محمود أحمد نحله:١٩

[٢٥٤]ظ :م.ن:١٥

والبيان بالاستفادة مما وضعه عبد القاهر في أسس نظرية النظم، وجاء في مقدمة تفسيره(الكشاف): (...الا رجل قد برع في علمي المعاني والبيان) فيعتبر علمي المعاني والبيان الأصل القويم في معرفة التفسير لكتاب الله، ولا يصل أحد إلى حقائق التفسير إلا من نبغ في هذين العلمين[٢٥٥].

يقول شوقي ضيف:(إن الزمخشري أوّل من ميّز بين البيان والمعاني،وجعلهما أهم عدّة لمن يريد أن يفسّر التنزيل،إذ من دونهما لا تستقيم الدلالات ولا تتضح الإشارات،ولا لطائف ما في الذكر الحكيم من الجمال البلاغي المعجز الذي عنت له وجوه العرب وخرّوا ساجدين)[٢٥٦].

وقد أتقن الزمخشري هذين العلمين ومضى يطبقهما على آي الذكر الحكيم، فلا يمرّ بصورة من صورهما إلا ويعتصر فيها دلالة بلاغية، يتوضح فيها المراد من كلامه تعالى، (فالبلاغة عنده وسيلة لدراسة كتاب الله تعالى وتفسيره وفهمه ومن **ثم** إدراك إعجازه)[٢٥٧].وتنصبّ عناية الزمخشري أكثر ما تكون على بيان نسق النظم أو الأسلوب في القرآن، وتآخي العبارات مع بعضها فتأخذ بعضها بعنق بعض[٢٥٨]، ثم يأخذ بإظهار النواحي البلاغية لكل آية، وكيف أنها تتناسق مع بعضها،وتتعلق عباراتها وألفاظها تعلقا يكشف في ثناياه عن جميع وجوه النظم التي تحدّث عنها عبد القاهر[٢٥٩].

فقواعد عبد القاهر طبّقها الزمخشري في كشافه،وهي قواعد علم المعاني من فصل ووصل وإيجاز وإطناب وخبر وإنشاء،وغيرها[٢٦٠]،واعتصر ما فيها من نكت بلاغية تصور ما في كتاب الله من عظمة وأسرار، توصل إلى القول بإعجازه[٢٦١].

---

[٢٥٥] ظ: الكشاف، الزمخشري:١٦/١

[٢٥٦] البلاغة تطور وتاريخ،شوقي ضيف:٢٢١

[٢٥٧] المبادئ العامة لتفسير القرآن ،د.محمد حسين الصغير:٧٢

[٢٥٨] ظ: الكشاف الزمخشري: ٤٦/١.

[٢٥٩] ظ: البلاغة تطور وتاريخ،شوقي ضيف:٢٢٤.

[٢٦٠]ظ:م.ن :٢٢٥ــ٢٣٥.

[٢٦١]ظ: فنون التصوير البياني، د. توفيق الفيل: ٢٥.

وبعد الزمخشري، لم يُضف البلاغيون كثيرا إلى ما أضافه، ولم يستنفذوا كل ما ضمّنه الزمخشري في تفسيره من دقائق بلاغية،ومعانٍ إضافية، فلم يستوفِها من جاء بعده[٢٦٢].

وحتى عندما ألف الرازي كتابه(نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز)،فقد اعتمد فيه على علوم البلاغة أيضا، فهو يقول عن الخبر:(الخبر هو الذي يتصوّر بالصور الكثيرة وتظهر فيه الدقائق العجيبة والأسرار الغريبة من علم المعاني والبيان)[٢٦٣]،فتعتبر الفترة التي ألف فيها هي مرحلة التعقيد والجمود بالنسبة إلى البلاغة[٢٦٤]،وكتابه عبارة عن قواعد جافة لا أثر فيها للذوق الأدبي[٢٦٥].

وبقيت المباحث البلاغية بعده مترابطة، غير مستقلة عن بعضها إلى حين مجيء السكاكي، فألف كتاب(مفتاح العلوم)، فقسّم البلاغة إلى معان وبيان ومحسنات(البديع)، يقول أحمد مطلوب:(إن السكاكي أوّل من قسّم البلاغة إلى معان وبيان ومحسنات، وهو أوّل من أطلق على الموضوعات المتعلقة بالنظم مصطلح(علم المعاني)..)[٢٦٦].

(وقد استفاد السكاكي من دراسة عبد القاهر ،ولكنه جعل البلاغة في(مفتاح العلوم) علما يُحصّل وصنعة تُضبط بقواعد منطقية)[٢٦٧]،فحُوّلت البلاغة من فن إلى علم له قواعده ونظرياته، ويعتبر هذا خطرا في تاريخ البلاغة،لأنه بداية طور الجمود فيها،وهو ما يفسد هذا الفن بتحوله إلى علم له قوانينه،وقد صُبّ في قوالب منطقية جافة باعدت بينه وبين الوظيفة الأساسية للبلاغة من إمتاع النفس وإرهاف الحس وتنمية الذوق والقدرة على الخلق والإبداع[٢٦٨].

---

[٢٦٢] ظ:البلاغة تطوروتاريخ ،د.شوقي ضيف :٢٥٥ــ٢٥٦

[٢٦٣] نهاية الايجاز، الرازي:٣٦

[٢٦٤] ظ: البلاغة تطور وتاريخ،شوقي ضيف:٦

[٢٦٥] ظ: علم المعاني ،د.محمود أحمد نحله:١٦

[٢٦٦] مصطلحات بلاغية، أحمد مطلوب:٥٦

[٢٦٧] الاعجاز البياني للقرآن، بنت الشاطئ:١٢٩

[٢٦٨] ظ: علم المعاني، عبد العزيز عتيق:٢١

فالبلاغة لا تحكمها قواعد أو قوانين جامدة، فهي تنفتح على آفاق رحبة في مجال التفسير القرآني لتظهر جماله وتأثيره ومن ثم إعجازه.

وقد استطاع السكاكي تمييز هذه العلوم عن بعضها، وانتهى إلى تعريف علم المعاني بقوله:(علم المعاني: هو تتبع خواص تراكيب الكلام على ما تقتضي الحال ذكره)[٢٦٩].

فلقد كانت نشأة علم المعاني مرتبطة ارتباطا وثيقا بفكرة إعجاز القرآن الكريم، بالنظم التي وضع القاضي عبد الجبار أساسها، وكان لعبد القاهر الجرجاني فضل ظهورها وإيضاح معالمها ووضعها في إطار نظرية متكاملة الجوانب هي نظرية النظم، ثم استطاع السكاكي من بعد أن يستخرج منها علما قائما برأسه هو(علم المعاني)[٢٧٠].

فنشأة هذا العالم وتطوره تعود إلى القرآن وإعجازه، وظلت البلاغة جامدة، تتلخص في شروح المفتاح وتلخيصاته والنظر إلى تقسيماته ومتقيّدة بالجمود الفكري والتعقيدات والتقسيمات إلى أن جاء جمع من المعاصرين الذين كتبوا عن بلاغة القرآن ، فحققوا الصورة الفنية للقرآن التي ترسم المواقف، وتصوّر المشاهد وتشخّص العقليات[٢٧١]، فأعطوا للبلاغة صورة حية نابضة بعيدة عن الجمود والتعقيد، ومنهم الشيخ أمين الخولي (ت١٣٨٦هـ)الذي جعل التفسير كاشفا عن إعجاز القران البياني في (مناهج تجديد في التفسير و الأدب و النحو) [٢٧٢] و تبعته الدكتورة عائشة عبد الرحمن في: التفسير البياني للقرآن الكريم والإعجاز البياني للقرآن الكريم، التي جعلت من الصور القرآنية صور حية مفعمة بالحياة ، (حيث وقفت عند بعض السور القصار مفسّرة و موضّحة ومبينة ما في كلام الله تعالى من روعه و بيان و تأثير في النفوس) [٢٧٣] والدكتور محمد حسين علي الصغير في الصورة الفنية في المثل القرآني(دراسة نقدية بلاغية)[٢٧٤]، لا يستغني عنها من له حظ في دراسة البلاغة القرآنيةوالبحث فيها، وكتب أحمد بدوي(من بلاغة

---

[٢٦٩] مفتاح العلوم، السكاكي:٢٤٧

[٢٧٠] ظ: علم المعاني ،د.محمود أحمد نحله:١٨

[٢٧١] ظ: المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم ،د.محمد حسين الصغير:١٠٦

[٢٧٢] ظ: الإعجاز القرآني (ملامح الإعجاز في القران العظيم)، د.محمد حسين الصغير:٥٥٨

[٢٧٣] م.ن (التفسير الأدبي و الإعجاز) ، احمد مطلوب :٥٨

[٢٧٤] ظ:المبادئ العامة لتفسير القران الكريم ،د.محمد حسين الصغير :١٠٧

القرآن)يستوحي فيه من الآيات الكريمة كل مباحث البلاغة.فسيبقى القرآن الكريم الرافد الرئيس للبلاغة،ويظل عطاؤه لها وارفا معطاءً.

ومما تقدم نجد أن القرآن الكريم قد أثر في تطوير الدراسات البلاغية وأسهم إسهاما جادا في نموها،ومن ثم تفرعها، إذ جعلت تلك الدراسات العقل الإسلامي يفكر في تقسيم الجزئيات،وصولا إلى المقصد التفسيري،وظلت البلاغة من العلوم التي تولى غرسها المسلمون جيلا بعد جيل في سبيل فهم كتابهم والذبّ عن دينهم،وصحب ذلك تطور للمباحث البلاغية بتأثير الدين وتوجيه الباحثين، وما أراد المفسرون توضيحه للوصول إلى المراد الرباني والحكمة الإلهية.

الفصل الثاني
تحقق السمة التفسيرية بمجالات علم المعاني

المبحث الأول: السمة التفسيرية المتخصصة بـ:

أولا: الفصل والوصل.

ثانيا: الإيجاز والإطناب والمساواة.

ثالثا: القصرُ.

المبحث الثاني:السمة التفسيرية المتخصصة بموضوع الغياب و الحضور(الحذف و الذكر)

المبحث الثالث:السمة التفسيرية المتخصصة بدلالات مباني المعاني (التقديم و التأخير _ الخبر و الإنشاء)

المبحث الأول

:السمة التفسيرية المتخصصة بـ(الفصل و الوصل-الإيجاز و الإطناب و المساواة-القصر)

أولا (الفصل والوصل)

١ـ الفصل ومواضعه:

الفصل: (هو ترك العطف)[٢٧٥]. والفصل ترك هذا العطف أما لأنهما متّحدتان مبنى ومعنى أو بمنزلة المتحدتين أو لا صلة بينهما في المبنى والمعنى[٢٧٦]. يقول عبد القاهر الجرجاني: (وترك العطف يكون أما للاتصال إلى الغاية أو الانفصال إلى الغاية)[٢٧٧].

مواضعه وتأثيرها في تفسير النصوص القرآنية:

أـ كمال الاتصال: بأن يكون بين الجملتين اتحاد تام فتكون الجملة الثانية توكيدا للأولى أو بدلا منها أو بيانا لها[٢٧٨]. فتكونان كالشيء الواحد الذي لا يحتاج إلى عطف لأن الشيء لا يُعطف على نفسه[٢٧٩].

ففي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾[٢٨٠]. جملة (لا يؤمنون) تأكيد وتقرير لقوله تعالى: ﴿ **سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ**﴾ فلم تُعطف عليها لأن الكلام عن الكافرين وأوصافهم فالإنذار وعدمه عندهم سواء فكأن قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم مغطّاة فلن يفلح فيهم الإنذار[٢٨١]،

فالنص القرآني قائم على ميزة الفصل الذي لا يركن إلى العطف ولا يجانبه فتلاءم ذلك مع محتوى الآية تفسيريا وأعاننا على استنتاج واضح مفاده: انه لو وصلت جملة (لا

---

[٢٧٥] مفتاح العلوم، السكاكي: ٣٥٧.

[٢٧٦] ظ: أساليب المعاني في القرآن، السيد جعفر الحسيني: ٢٠١.

[٢٧٧] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٢٤٣.

[٢٧٨] ظ: أساليب المعاني، السيد جعفر الحسيني: ٢٠٥.

[٢٧٩] ظ: الإيضاح، القزويني: ١٢٠.

[٢٨٠] البقرة: ٦.

[٢٨١] ظ: الكشاف، الزمخشري: ١/٥٥ــ٥٦.

يؤمنون) لما أدّى المعنى نفسه في إنذار الكافرين، وهذا يختلف عن حال المؤمنين في الآية التي سبقتها في قوله تعالى: ﴿ **أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ**﴾[٢٨٢]. فوُصلت الآيتان ﴿ **أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى**﴾، ﴿ **وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ**﴾.لما فيهما من زيادة صفة إلى المؤمنين[٢٨٣].

ب ـ كمال الانقطاع بلا إيهام: (أي انقطاع الصلة بين الجملتين انقطاعا تاما، كأن تكون إحدى الجملتين خبرا والأخرى إنشاءً (أو العكس) لفظا ومعنى أو معنى فقط أو لفظا فقط)[٢٨٤].

ففي قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[٢٨٥].

جملة (لا تستوي) خبرية، وجملة (إدفع) إنشائية، فاختلافهما سبب في عدم وصلهما، والحسنة والسيئة متفاوتتان، لذا فهما منقطعتان تمام الانقطاع، فيفصلان، وجاء في الكشاف: إن من أساء إليك فأحسن له ومن يتصف بهذه الصفة فقد أوتي درجة من الصبر عظيمة، وعن ابن عباس (**بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**)، الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة[٢٨٦].وقد حقق كمال الانقطاع عبر الجملتين المختلفتين غرضه التفسيري، والمعنى المراد لا يمكن أن يؤدّى إلا بهذا الأسلوب المعنوي الذي أبان لنا مغزى الآية وحقق الملمح التفسيري الذي عُني بتفسيرها على وفق أسلوب علم المعاني.

وفي كلام الله تعالى نجد في كثير من النصوص أن الجملتين موصولتان رغم اختلافهما خبرا وإنشاءً لفظا ومعنى، فكلامه تعالى هي القاعدة التي يأخذ منها البشر أحكامه ويسير على هداها، وقد حاول الزمخشري جاهدا أن يطبّق قاعدة الفصل على آيات القرآن ودفع ما قد يظن انه يخالف هذه الظاهرة، ففي قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا**

---

[٢٨٢] **البقرة: ٥.**

[٢٨٣] **ظ: الكشاف، الزمخشري: ٥٦/١.**

[٢٨٤] **الإيضاح، القزويني، ١٢٠+ علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٣٦٦.**

[٢٨٥] **فصلت: ٣٤.**

[٢٨٦] **ظ: الكشاف، الزمخشري: ١٩٥/٤.**

لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[٢٨٧] قرن تعالى عبادته بطاعة الوالدين والإحسان إليهما فوُصلت الجملتان رغم اختلافهما خبرا وإنشاءً، فذهب الزمخشري إلى أن (لا تعبدون) إخبار في معنى النهي أي (لا تعبدوا)[٢٨٨] وهذا ما أيّده السكاكي في مفتاحه[٢٨٩] وهذا التعبير أبلغ من صريح النهي لما فيه من المسارعة إلى الفعل والانتهاء منه، فهو يخبر عنه[٢٩٠].

فالفصل في موضعه، والوصل في مقامه، قد جلّى كل منهما المعنى وأوضح التفسير، وان المعنى لا يصلح إلا بوضع كل منهما في مكانه[٢٩١].

وهذا ما خرج لنا به علم المعاني من فائدة، فلولا معرفة الفصل من الوصل لما توضّح المراد ولما توصّل به إلى معرفة الكلام المعجز، فكان علم المعاني دليلنا لتفسير الآيات الكريمة، وفق ما أراده الله تعالى للتعرف على سبل إعجازه.

جـ ـ شبه كمال الاتصال: أن تكون الجملة الأولى متضمّنة لسؤال تقع الجملة الثانية جوابا له، فيقطع بينهما ويُعرف هذا الفصل بـ(الاستئناف البياني)[٢٩٢].

ففي قوله تعالى: ﴿ **قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ**﴾[٢٩٣].

جملة: ﴿ **يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ** ﴾ كأنها متضمنة لسؤال وهو: كيف لا يكون من أهلي وهو ابني، فجاء قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ**﴾ فكأنه جواب للجملة الأولى، فلم تعطف عليها لأن الجواب لا يُعطف على السؤال[٢٩٤]. (وفي جوابه إيذان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب)[٢٩٥]. وفي الأسلوب قوّة في الكلام وجودة في البلاغة لما فيه من

---

[٢٨٧] **البقرة: ٨٣.**

[٢٨٨] **ظ:الكشاف،الزمخشري:١٦٠**

[٢٨٩] **ظ: مفتاح العلوم، السكاكي: ٣٦٧.**

(٤) ظ :الكشاف،الزمخشري:١/ ١٥٩-١٦٠
(٥)ظ:الايضاح،القزويني:١١٨

[٢٩٢] **ظ:م.ن: ١٢٤+ ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٣٧١.**

[٢٩٣] **هود: ٤٦.**

[٢٩٤] **ظ: الإيضاح، القزويني: ١٢٤+ظ:علم المعاني،بسيوني عبد الفتاح:٣٧١**

[٢٩٥] **الكشاف، الزمخشري:٢/٣٨٤**

محاسن من إيجاز الكلام وترابط وتناسق العبارات[٢٩٦]، كما قرّره الزمخشري من أن الجمل التي يقرر بعضها بعضا تتناسق من داخلها ويأخذ بعضها بعنق بعض، وهذا التناسق الداخلي أقوى في ترابطها من ذكر حروف النسق، ولذا كان اعتباره ادخل في البلاغة من غيره[٢٩٧] ووقوعه بعد الحكاية (قال) مما يحرّك السامع ليعلم مصيرهم وما يؤول إليه أمرهم[٢٩٨].

د ـ شبه كمال الانقطاع (التوسط بين الكمالين مع المانع من الوصل):

وهو أن تسبق الجملة بجملتين يصح عطفها على الأولى لوجود المناسبة بينهما ولا يصح عطفها على الثانية لوجود مانع، فيُترك الوصل دفعا لتوهم العطف على الثانية، فتكون الجملة الثالثة بمنزلة المنقطعة عن الأولى بهذا الحائل[٢٩٩].

في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ *اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ**﴾[٣٠٠] فإنهم إذا اختلوا بشياطينهم حدّثوهم بسخريتهم من المؤمنين وقالوا لهم إنّا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم، وقولهم: (إنما نحن مستهزئون) توكيد لقولهم، أي إننا ثابتون على اليهودية[٣٠١]. (والاستهزاء بمعنى السخرية والاستخفاف)[٣٠٢] والله متعالٍ عن القبيح، فاستهزاؤه بهم هو إظهاره وكشف نفاقهم وإدخال الهوان والحقارة عليهم[٣٠٣]، فلم تُعطف جملة (الله يستهزئ بهم) على ما قبلها حتى لا تكون من مقولتهم، وجاءت الجملة فعليّة لتدل على التجدّد والحدوث وقتا بعد وقت فالعذاب النازل بهم يتجدد في كل حين[٣٠٤].

ويذكر السكاكي: (إن القطع هنا للوجوب فلو عُطف لكان المعطوف عليه إما جملة

---

(٢٩٦) ظ: الطراز، العلوي: ٥٤١.

(٢٩٧) ظ: الكشاف، الزمخشري: ٤٦/١

(٢٩٨) ظ: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٢٣٥.

(٢٩٩) ظ: الإيضاح، القزويني: ١٢٣+ ظ: أساليب المعاني، السيد جعفر الحسيني: ٢٢٤.

(٣٠٠) البقرة: ١٤ــ١٥.

(٣٠١) ظ: الكشاف، الزمخشري: ٧٤/١+ظ:تفسيرجوامع الجامع،الطبرسي:٧٥/١+ظ:الامثل،الشيرازي:٩٤/١

(٣٠٢) ظ:جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي: ٧٥/١.

(٤)ظ:الميزان،السيد الطبطبائي:٢٢٧/٩

(٥)ظ:الكشاف،الزمخشري:٧٤/١-٧٥

(قالوا) وإما (إنا معكم) وكلاهما لا يصح)[٣٠٥]. فلو عُطف على جملة (قالوا) لشاركه في اختصاصه بالظرف المقدّم (إذا خلوا إلى شياطينهم) وهو ليس بمراده تعالى، ولو عُطف على جملة (إنا معكم إنما نحن مستهزءون) لشاركه في حكمه وهو كونه من قولهم، وهذا أيضا ليس بمراده تعالى فاستهزاؤه بهم متصل في شأنهم لا ينقطع بكل حال سواء خلوا إلى شياطينهم أم لم يخلو إليهم[٣٠٦]. وهذا ما أفاده القطع من معنى فلو وُصل لما عُرف مراده تعالى وهو ما أفادنا به علم المعاني من بيان غرضه سبحانه والذي لا يُعرف إلا بهذا الأسلوب.

٢ـ الوصل و مواضعه:

(هو عطف المفرد على المفرد والجملة على الجملة لصلة بينهما في المبنى والمعنى أو دفعا للبس يمكن أن يحصل)[٣٠٧]. (والوصل يكون بالواو خاصة دون سائر حروف العطف)[٣٠٨]. لأنها مختصة بمطلق الجمع فقط، أما الحروف الأخرى فلها معانٍ غير الجمع[٣٠٩].

وهذا الجمع بين الجملتين لا بدّ أن يكون بينهما تناسب، فان لم يكن فالكلام فيه إخلال وليس ذا فائدة[٣١٠]، فالواو تزيد الكلام اشتباكا وقوة حتى لو كانت الجملتان مختلفتي المعنى[٣١١].

مواضع الوصل وتأثيرها في تفسير النصوص القرآنية:

أ ـ **التوسط بين الكمالين**: (كمال الاتصال وكمال الانقطاع) مع عدم وجود مانع من

---

(٦)مفتاح العلوم،السكاكي:٣٧١

(٧)ظ:م.ن.

(٨)دلائل الاعجاز،الجرجاني:٢٢٣

(١)الايضاح،القزويني:١١٩

(٢)ظ:مفتاح العلوم،السكاكي:٣٨١+ظ:تلخيص المفتاح،القزويني:١٠٨،(فحروف العطف.الفاء،ثم،بل)ليس لها صفات الواو

[٣١٠] ظ: دلائل الإعجاز، الجرجاني: ٢٢٥+ ظ: الإيضاح، القزويني: ١١٩.

[٣١١] ظ: دلائل الإعجاز، الجرجاني: ٢٢٦.

الوصل: أي اتفاق الجملتين خبرا وإنشاءً لفظا ومعنى أو معنى فقط[٣١٢].

ففي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ *وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**﴾[٣١٣]، الكلام عن حال المؤمنين وحال الكافرين في يوم القيامة، وهو يوم الجزاء عن أعمال الدنيا[٣١٤]، فالجملتان خبريتان لفظا ومعنى وكلماتهما متناسبتان، وبينهما تقابل (الأبرار، الفجار) (النعيم، الجحيم) وهذا التقابل يُعطي صورتين متضادتين، حيث أن كلاً منهما توضّح الأخرى وتؤكّد معناها في النفس[٣١٥]. فالآية الأولى بيّنت جزاء المهتدين البررة، والثانية بينت حال التائهين الضالّين، وبينهما تنافٍ تام في الصفات، وهذا التضاد والتنافي سبب لاقتضاء الوصل بينهما حتى لا يجمع بينهما في الذهن لو زال العاطف[٣١٦].

وحتى يميّز جزاء كل منهما في يوم الحساب، فالوصل أبان المعنى ووضّحه وأكدته أداة التوكيد ليتضح المعنى في النفس ويُعرف الفرق بين الجزائين.

وقد توصل الجملتان وهما مختلفتان في الخبر الإنشاء، ولكنهما تُخرجان مخرجا واحدا ففي قوله تعالى: ﴿ **إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ**﴾[٣١٧].

جملة (إني اشهد الله) خبرية لفظا ومعنى، وجملة (أشهدوا) انشائية لفظا خبرية معنى أي (أشهدكم) (فهما خبريتان معنى)، وفي الآية عدول* من صيغة الخبر إلى صيغة الأمر للتمييز بين خطاب هود عليه السلام لله تعالى وخطابه لقومه فعبّر عن خطاب الله تعالى بصيغة الخبر وهي أجلّ وأوقر للمخاطبة لأنه إشهاد صحيح وثابت، وعبّر من جانبهم بصيغة الأمر التي تتضمن الاستهانة بدينهم وقلة المبالاة بهم[٣١٨]. فالعطف أفاد أن شهادتهم هي غير شهادة الله تعالى، وقد جاءت الجملتان بأسلوبين مختلفين للتغاير بينهما، واتّضح

---

[٣١٢] ظ: الايضاح، القزويني: ١٢٧.

[٣١٣] الانفطار: ١٣ــ١٤.

[٣١٤] ظ: الكشاف، الزمخشري: ٧٠٣/٤.

[٣١٥] ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٢٣٨.

[٣١٦] ظ: تفسير الالوسي، الآلوسي: ١٢٦/١.

[٣١٧] هود: ٩.

*** العدول: (أن يعدل المتحدث من معنى إلى آخر باستعمال لفظ لغير ما وضع له في أصل اللغة)، شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الاستراباذي: ١١٢/١+ لسان العرب، ابن منظور: ٣٦٥/١٤.**

[٣١٨] ظ: الانتصاف فيما تضمنه الكشاف، احمد بن منير الاسكندري: ٣٨٨/٢+ ظ: البرهان، الزركشي: ٣٣٦/٣.

المعنى بوصل الجملتين رغم اختلافهما خبرا وإنشاءً فكان للواو تأثير واضح في المعنى وفي الفرق بين الشهادتين.

ب ـ كمال الانقطاع مع الإيهام: حينما تختلف الجملتان خبرا وإنشاءً ويوهم الفصل بينهما بخلاف المعنى المراد يجب الوصل بينهما كقولنا: (لا وعافاك الله) فان فُصل يوهم بان الدعاء على السائل وليس له[٣١٩].

جـ ـ **أن يُراد إشراك الجملة الثانية مع الأولى في المحل الإعرابي**: فتُعطف الجملتان (كعطف المفردات) عطفا جائزا لا واجبا[٣٢٠].

ففي قوله تعالى: ﴿ **يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ**﴾[٣٢١] فالله عالم بما يدخل في الأرض من كنوز وأمطار وأموات، وما يخرج من نبات وعيون ومعادن وأموات حين النشر وما ينزل من السماء من أمطار وملائكة وكتب مرسلة وما يصعد اليها من ملائكة وأعمال العباد، وهذه كلها صور متحركة متضادة تحرّك الذهن وتجعل النفس متأملة فيها، وكل منها تشارك الأخرى في الحكم الإعرابي، فعُطفت لتنتهي إلى العطف الواصل بالجملة الاسمية (وهو الرحيم الغفور) الدالّ على الثبات والدوام[٣٢٢] (فالعطف جعلهما كالنظيرين والشريكين)[٣٢٣]. وفي عطف الجملة الاسمية (وهو الرحيم الغفور) فائدة، فالرحمة تشمل الجميع والمغفرة تخصّ بعضا منهم[٣٢٤].

فالوصل جمع كل هذه الأمور ليعطيها حكما إعرابيا واحدا (وهو نصبها على المفعولية) وليبين أن رحمته تعالى تشملها كلها، ولو لم تُعطف لما أدّى هذه المعنى والشمول.

ولكن لا ينطبق هذا الحال على جميع آياته تعالى فأحيانا توضع الواو وفي أحيان

---

[٣١٩] ظ: الطراز، العلوي: ٥٤٣+ ظ: الإيضاح، القزويني: ١٢٦.

[٣٢٠] ظ: الإيضاح، القزويني: ١١٩.

[٣٢١] سبأ: ٢.

[٣٢٢] ظ: الكشاف، الزمخشري: ٥٤٩/٣.

[٣٢٣] البرهان، الزركشي: ٤٠/١.

[٣٢٤] ظ: م.ن: ٢٤٩/٣.

أخرى تُحذف، ففي قوله تعالى في الآيتين الكريمتين: ﴿ **وَإِذْ نَجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يذبحون أبْنَاءَكُمْ**﴾[٣٢٥] وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ**﴾[٣٢٦]. في سورة البقرة (الآية الأولى) ترك العاطف لأن قوله (يذبّحون) بيان لقوله يسومونكم وتوضيح لمعنى السوم، وهو حيث طرح الواو جعل التذبيح تفسيرا للعذاب وبيانا له[٣٢٧]، أما الآية الثانية في سورة إبراهيم فقد عُطف بالواو (ويذبحون أبناءكم) لأنه أوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كأنه جنس آخر وهو ما كان مأمورا به تخويفا لهم بقوله: ﴿**وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ**﴾[٣٢٨][٣٢٩]، فذكر الواو يعني مشاركة الآية لما قبلها في الحكم وحذفها يعني استئناف الكلام.

وتبرز هنا فائدة الوصل في بيان الملمح التفسيري في بيان مراد الله تعالى لأنهم كانوا يُعذبون بأنواع العذاب سوى الذبح، والوصل أدّى هذا المعنى أي انه زيادة على تعذيبهم لهم فأنهم يذبّحون أبناءهم، فالمعنى تغيّر بوجود العاطف وأوضح مراد الله تعالى في قوله، وهذا ما أفادنا به هذا المسلك من مسالك علم المعاني.

بلاغة الوصل وبلاغة الفصل:

في القرآن الكريم، تأتينا نصوص فيها وصل، وأخرى غير موصولة، ولكل منهما بلاغة عالية، وتناسق إبداعي عجيب، وربط متسق.

ففي قوله تعالى عن جزاء المؤمنين ومصير الكافرين في يوم القيامة، قال: ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**﴾[٣٣٠]. وقال تعالى: ﴿ **وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**﴾[٣٣١] فحال المؤمنين

---

[٣٢٥] **البقرة: ٤٩.**

[٣٢٦] **ابراهيم: ٦.**

[٣٢٧] **ظ: الكشاف، الزمخشري: ١٤١/١+ ظ: البرهان، الزركشي: ٣٧/٣.**

[٣٢٨] **ابراهيم: ٥.**

[٣٢٩] **ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٢٤٤- ٢٤٥.**

[٣٣٠] **الزمر: ٧٣.**

[٣٣١] **الزمر: ٧١.**

أنهم سعدوا بجزائهم الذي وعدهم الله به وحصلوا على النعيم المقيم، فعندما جيء بهم إلى الجنة كانت أبوابها مفتوحة لهم، (وهنا يكمن سر العطف بالواو) فتذهب النفس في تقدير ما وراء هذه الواو وتتأمل بما لا يحيط به الوصف ولا يسعه العقل من فتح هذه الأبواب وما يمكن أن يُرى من داخلها[٣٣٢] لقول رسول الله ﷺ : (لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)[٣٣٣]، فالأبواب مفتوحة لهم تشريفا وتكريما لمقدمهم، كالمستضيف المحب الذي يفتح أبواب بيته للضيوف قبل وصولهم ويقف عند الباب بانتظارهم[٣٣٤].أما حال الكافرين في الآية الثانية حينما جيء بهم إلى جهنم فكانت أبوابها مغلقة لا تفتح إلا عند مجيئهم كأبواب السجون المغلقة لا تفتح إلا أمام المتهمين حتى تواجههم بصنوف العذاب وألوان الآلام، فهنا حُذفت الواو، وهذا ما يشير إلى شدة مواجهتهم للعذاب فكأنها تبهتهم وتفاجئهم به من رعب ووحشة[٣٣٥] فنرى أن مجيء الواو يغيّر المعنى ويؤثر في تفسير النصوص سواءأكان المعطوفان جملتين أم مفردين، فلها في كل موضع معنى ومغزى بلاغي وليس وضعها أو حذفها سواء، فهي توضع لسبب وتُحذف لسبب وهذا ما يوصلناإليه علم المعاني، وبابه في الفصل والوصل، وهو ما نبتغيه من بحثنا هذا للوصول إلى مراد الله تعالى والتعرف على أسرار إعجاز قرآنه العظيم.

ثانيا:الإيجاز والإطناب والمساواة:

من معالم البلاغةالتي أهتمّ بها البلاغيون ووضعوا لها حدودا وأقساما، وعند نزول القرآن الكريم رأوا في آياته أسلوبا موجزا بليغا يحيّر العقول وآخر فيه اطنابا عجيبا، فلكل أسلوب موضعه، وقد أشار ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) إلى ذلك فقال: (ولو كان الإيجاز محمودا في كل الأحوال لجرّده الله تعالى في القرآن، ولكنه أطال تارة للتوكيد وحذف تارة للإيجاز وكرّر تارة للإفهام)[٣٣٦]. فمن المعاني التي عرضها القرآن الكريم (جزاء الأعمال وان الإنسان مُجزى بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشرا) قال تعالى عند مساواة اللفظ والمعنى:

---

[٣٣٢] ظ: البرهان، الزركشي: ١٠٦/٣.

[٣٣٣] وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٤٧٦/١٠+ مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ١١/١١.

[٣٣٤] ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيرازي: ١٦٧/١٥.

[٣٣٥] ظ:م ، ن : ١٦٣/١٥.

[٣٣٦] أدب الكاتب، ابن قتيبة الدينوري: ٥/١.

﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه *وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه**﴾[٣٣٧] وقال تعالى بالمعنى نفسه في طريق الإيجاز: ﴿ **كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ**﴾[٣٣٨] وبطريق الإطناب. ﴿**وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾[٣٣٩].

١ـ الإيجاز: هو التقصير[٣٤٠] أو التقليل[٣٤١] أو الاختصار[٣٤٢] في بلاغة، وفي الاصطلاح: هو (جمع المعاني الكثيرة تحت الألفاظ القليلة مع الإبانة والوضوح)[٣٤٣]

وهو قمّة البلاغة فالكلام كلما أوجز صار أكثر بلاغة على أن يؤدي المعنى المراد، فحينما سمع رسول الله ﷺ رجلا يقول لآخر (كفاك الله ما أهمك) قال: (هذه البلاغة)[٣٤٤] فأعجب ﷺ بقلة كلمات العبارة وشمولها معنىً كثيرًا، واعتبر أن البلاغة كلها تتمثل في الاختصار وعدم الإطالة[٣٤٥]، وللإيجاز دور في استنباط الدلالة القرآنية تفسيريا بوصفه رافدا بلاغيا مهما وأحد أعمدة علم المعاني، وسنتابع هذا الاثر له فيما يأتي:

دأب البلاغيون على تقسيم الإيجاز إلى نوعين هما:

أـ إيجاز القصر: هو الدلالة على المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، أي تضمين العبارات القليلة القصيرة معاني كثيرة[٣٤٦]. وسمي (إيجاز البلاغة)[٣٤٧] لما فيه من بلاغة القول

---

(٣٣٧) الزلزلة: ٧ــ٨.

(٣٣٨) الطور: ٢١.

(٣٣٩) الكهف: ٢٩.

(٣٤٠) مجمع البحرين، الطريحي: ٤٨٦/٤.

(٣٤١) تاج العروس، الزبيدي: ١٦٥/٨.

(٣٤٢) لسان العرب، ابن منظور: ٤٢٧/٥.

(٣٤٣) دلائل الإعجاز، الجرجاني: ٢٩٣+ العمدة، ابن رشيق: ٢٥+ الصناعتين، العسكري: ١٧٣+ الإيضاح، القزويني: ١٣٩.

(٣٤٤) الصناعتين، أبو هلال العسكري: ١٧٣.

(٣٤٥) ظ: م .ن .

(٣٤٦) ظ:الإيضاح،القزويني:١٤٣ .

المتأتية من قصر الكلمات وقلتها، وقد زخر القرآن الكريم بآيات الإيجاز لأن كلامه قمة البلاغة والبلاغة هي الإيجاز.

فعند بدء الدعوة العلنية للإسلام نزل قوله تعالى: ﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ**﴾[٣٤٨] ثلاث كلمات اشتملت على أمر الرسالة وشرائعها وأحكامها[٣٤٩]. والصدع في اللغة الشقّ[٣٥٠]. وذكر السيوطي: انه استعير من كسر الزجاج لأن تأثير الصدع أبلغ من تأثير التبليغ، فقد لا يؤثر التبليغ ، و الصدع يؤثر جزما[٣٥١]. (وجاء بمعنى الإظهار عند الفراء)[٣٥٢] ، فأراد أصدع

بالأمر أي: اظهر دينك وفرّق جمعهم وكلمتهم بأن تدعوهم إلى التوحيد فإنهم يتفرقون[٣٥٣]، فقد أهلك الله المستهزئين بك وبالقرآن[٣٥٤]. واجمع المفسرون على أن في الآية إيجازاً بديعاً يتأتى من قصر الكلمات، ومعناها الكثير، فعلى قلة الكلمات نراها جمعت أمر الدعوة كلها، ولا يتأتّى هذا المعنى بكلمات أقل من هذه فبذلك تتضح البلاغة القرآنية العالية في هذا النوع من الإيجاز وهذا ما يدلل على سر الأعجاز القرآني.

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾[٣٥٥] روعة في الإيجاز لبلاغته الواضحة المتأتية من معناه الكثير مع اللفظ القليل ولا حذف فيه، فالإنسان إذا علم انه متى قتل قُتِل ارتدع عن القتل،و بارتفاع القتل حياة لأناس كثيرين[٣٥٦]، وفضل الآية كثير على ما كان عندهم من قول (القتل أنفى للقتل) لأنها أوجز كلاما بقلة حروفها وسلامتها من التكرار، (فانه يُعد من عيوب الكلام)، وليس فيها تقدير محذوف (كما في قولهم): (أي أنفى

---

[٣٤٧] جواهر البلاغة، احمد الهاشمي:٢٢٤

[٣٤٨] الحجر: ٩٤.

[٣٤٩] ظ: البرهان، الزركشي: ٢٦٦/٣.

[٣٥٠] لسان العرب، ابن منظور: ٨٥/١٠.

[٣٥١] ظ: الاتقان، السيوطي: ١٢١/٢.

[٣٥٢] مختار الصحاح، محمد عبد القادر: ١٩٠.

[٣٥٣] ظ: فتح القدير، الشوكاني: ١٤٣/٣.

[٣٥٤] ظ: الدر المنثور، السيوطي: ١٠٦/٤.

[٣٥٥] البقرة: ١٧٩.

[٣٥٦] ظ: الإيضاح، القزويني: ١٤٣.

للقتل من تركه)، وفيها تصريح بالمطلوب وتوضيح للقصاص فيكون أزجر للنفس[٣٥٧]. فالقصاص يعطي الحياة ،لأن الإنسان إذا همَّ بالقتل فذكر القصاص ارتدع فكان ذلك سببا للحياة، وان القاتل يُقتل هو فقط خلافا لفعل الجاهلية حيث كانوا يتفانون بالطوائل[٣٥٨]. فالإيجاز أعطى للآية دلالة قوية في المعنى ووضوح في الهدف وتأثير كبير في النفس مما توحيه هذه الكلمات من تحريك للذهن وإعمال للفكر في تقدير المعنى، وبذلك يعطي ثماره في تفسير النص، وهذا ما نبتغيه من بحثنا في تبيان ما يخبئ الإيجاز من مزايا تؤثر في توضيح النصوص وتقودنا إلى معرفة مراد الله تعالى وسرّ إعجاز الكتاب العزيز. وللمثل القرآني حيّز في إيجاز القصر، ففي قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ**﴾[٣٥٩]، فهذه الألفاظ القليلة شرحت حال المؤمنين وبيّنت حال الكافرين، ووضحت سمات أهل الجنة وفروقها عن صفات أهل النار[٣٦٠]، فأفاد الإيجاز في الاستغناء عن توضيح هذه الصفات في كلام الله بالتعبير الكثير، وأوجز أوصافهم بأقل الكلمات.

ولدينا آيات كثيرة في كتاب الله المبارك حفلت بإيجاز القصر لا يسعها البحث[٣٦١]. وفيها تتبين الملامح التفسيرية التي يظهرها إيجاز القصر عن طريق الإيحاء لأنه يترك على اطراف المعاني ظلالا خفيفة يشتغل بها الذهن ويعمل فيها الخيال حتى تبرز وتتلون وتتسع ثم تتشعب إلى معان أخرى يتحملها اللفظ بالتفسير أو التأويل[٣٦٢]، (والتنبُّه لهذا الايجاز عسرٌ يحتاج إلى فضل تأمّل)[٣٦٣] فهو لا يُحذف منه شيء بل يوحي إلى السامع أو يشير إليه إن هناك حذفا فالتنبه اليه أمر صعب، ولا يستنبط ذلك إلا من رست قدمه في ممارسة علم البيان وصارت له خليقة وملكة في درايته[٣٦٤]. وهذه البلاغة لا تكون إلا في

---

[٣٥٧] ظ: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٢٩٠+ ظ: الإيضاح، القزويني: ١٤٣ــ١٤٤.

[٣٥٨] ظ: التبيان، الشيخ الطوسي: ١٠٤/٢+ ظ: فقه القرآن،القطب الراوندي: ٤٠١/٢، والطوائل: جمع طائلة وهي العداوة، ظ: مجمع البيان، الطبرسي: ٤٩١/١.

[٣٥٩] هود: ٢٤.

[٣٦٠] ظ: الصورة الفنية في المثل القرآني، د. محمد حسين الصغير: ٢٢٢.

[٣٦١] منها الأنعام :٨٢، يونس:٢٢، المؤمنون:٢، ق:١٦-٢٢

[٣٦٢] ظ: دفاع عن البلاغة، احمد حسن الزيات: ٩٩.

[٣٦٣] المثل السائر، ابن الأثير: ٦٧/٢.

[٣٦٤] ظ : المثل السائر،ابن الاثير:٦٧/٢.

الكتاب العزيز حيث يستحيل على الإنسان الإتيان بمثل ألفاظه لتدل على المعنى نفسه[٣٦٥]، وهذا ما نتوصل إليه للانبهار بسر إعجازه من خلال هذه الألفاظ القليلة والمعنى المتكثّر فيها. فيتضح لنا أثر هذا الأسلوب في علم المعاني في رسم الملمح التفسيري للنص القرآني لما فيه من قيم بلاغية وتعبيرية توحيه كلماته القصيرة الموجزة.

ب ـ إيجاز الحذف:

هو التعبير عن المعاني الكثيرة في عبارة قليلة، بحذف شيء من التركيب[٣٦٦]، مع عدم الإخلال بتلك المعاني[٣٦٧]. وقد شبه هذا الحذف بالسحر لتأثيره في النفوس، ولأن الذكر فيه لا يكون فصيحا مثل الحذف[٣٦٨].

ولا بدّ لهذا الحذف من وجود داعٍ يدعو له، وقرينة ترشد إليه وتعيّنه[٣٦٩]. والمحذوف أما أن يكون حرفا أو كلمة أو جملة أو أكثر، فمن حذف الكلمة، في قوله تعالى: ﴿ **وَاسْأَلْ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا**﴾[٣٧٠] أي أهل القرية وأصحاب العير[٣٧١]. (بحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه)، فحذف المضاف له غاية في التفسير، لا يظهر لو ذكر، فهو يشير إلى شهرة السرقة وذيوعها وكأنهم يريدون أن أمر السرقة قد اشتهر وذاع صيته إلى حد أن لو سُئِلت الجمادات لأجابت والحيوانات لنطقت وأخبرت[٣٧٢]. فكأن المسؤول هنا هي القرية بجمودها والحيوانات بعدم عقلانيتها للمبالغة في ذيوع السرقة وقد دلّنا العقل على وجود محذوف في الآية[٣٧٣]، واستطاع الحذف هنا أن يوجّه الدلالة التفسيرية ويرسم لنا ملامحها من خلال تنبيه الذهن إلى إفادة هذا الحذف وتأثيره في معنى النص، وأحيانا يكون الحذف لجواب الاستفهام، ففي قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا**

---

[٣٦٥] **ظ: البلاغة والتطبيق، احمد مطلوب: ١٨٥.**

[٣٦٦] **ظ: الإيضاح، القزويني: ١٤٥.**

[٣٦٧] **ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٣٩٧.**

[٣٦٨] **ظ: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٤٦.**

[٣٦٩] **ظ: جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي: ٢٢٤.**

[٣٧٠] **يوسف:٨٢.**

[٣٧١] **ظ: الإيضاح، القزويني: ١٤٥.**

[٣٧٢] **ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٣٩٩.**

[٣٧٣] **ظ:علم المعاني،بسيوني عبدالفتاح: ٤٠٥.**

مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[٣٧٤] جواب الاستفهام محذوف تقديره (لا يرانا من أحد) بدليل قولهم (ثم انصرفوا) فالحذف أشار إلى حذرهم ومبلغ حيطتهم، وكأن الجواب كان همسا في الآذان وليس أصواتا مسموعة[٣٧٥]. وهم بنظراتهم تغامزوا استهزاءً يريدون الهرب خوف الفضيحة[٣٧٦]. فالله تعالى أعلم بنفوسهم وما يتهامسون به، فصرف قلوبهم عن الانشراح وحرمهم من الاستبشار والسرور الذي يكون عليه المؤمنون بذلك الحال، وهم يستمعون إلى كلام الله تعالى[٣٧٧]. فدليل الحذف هو سؤالهم ثم انصرافهم كأنهم اطمأنوا بأن لا يراهم أحد، والحذف أفادنا بأنهم إن حضروا أو لم يحضروا فهو سواء عند الله تعالى لأنه صرف قلوبهم عن الاستماع لآياته وانشراح صدورهم بها فلا موجب لذكر من يراهم، ولو ذكر جواب الاستفهام لما أدّى الغاية البلاغية والغرض المراد من قوله تعالى، فالنفس تبقى متأملة لحالهم وهم يتساءلون فيما بينهم إن كان رآهم راءٍ وكيف كان انصرافهم وتسللهم، وهذا ما خرج إليه الحذف من فائدة في تفسير النص وتبيان ملامحه.

ومن حذف الجملة قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنْ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[٣٧٨] أي (يقولان ربّنا)[٣٧٩] فالحذف أثر في المعنى فكأنه صوّر لنا المشهد حيّا بارزا وكأننا نراه الآن ونشاهد إبراهيم وإسماعيل وهما يقولان (ربنا تقبل منا) وفي الانتقال من الخبر إلى الدعاء أعجاز فني يكمن وراء الحذف[٣٨٠]، فحذف الجملة أوجز الكلام وأدّى إلى النفس المعنى البلاغي وتأثيره، فيها فتتخيل إبراهيم وإسماعيل وهما يرفعان القواعد ويدعوان الله تعالى بالقبول الحسن، ويدل على أن الدعاء وسيلة الإنسان في أي حال يكون عليها فالله يسمعه ويستجيب له.

ويكثر حذف أكثر من جملة خاصة في القصص القرآني ليستغني به عن تفصيلات

---

[٣٧٤] **التوبة: ١٢٧.**

[٣٧٥] **ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٤٠٢.**

[٣٧٦] **ظ: تفسير شبر، عبد الله شبر: ٢١٥.**

[٣٧٧] **ظ: مجمع البيان، الطبرسي:١٤٦/٥.**

[٣٧٨] **البقرة: ١٢٧.**

[٣٧٩] **ظ: معاني القرآن، الفراء:٧٨/١+ ظ: الكشاف، الزمخشري: ١٨٦/١.**

[٣٨٠] **ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٤٠٢.**

جزئية كثيرة يتخطّى بها للوصول إلى العناصر الجوهرية في القصة، وفيها فائدة في تحريك مشاعر المخاطب وإثارة ذهنه، فيتأمل تلك المشاهد المطويّة، فيقف عليها متدبرا متأملا[٣٨١].كقوله تعالى﴿**وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ*يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ**﴾[٣٨٢].

ويدخل المثل القرآني في هذا النوع من الحذف، ففي قوله تعالى: ﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ**﴾[٣٨٣]، أي ومثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً، فاختصر وحذف[٣٨٤]، يقول القرطبي: (انه هنا نهاية الإيجاز)[٣٨٥]. والمحذوف من الكلام، لا بد أن يُقدّر بقرينة، فهو يُقدّر أما من سياق الكلام أو عن طريق العقل أو العادة (أو بالعقل والعادة معا)[٣٨٦]، ويرى بعض البلاغيين، انه لا حذف في الآيات الكريمة، ولا يستطيع احد تقدير المراد من قوله تعالى، تقول الدكتورة بنت الشاطئ في هذا المعنى: (لا يمكن لبشر أن يقدّر المحذوف في أقواله تعالى، وهو الذي عجز عن الإتيان بآيةٍ من مثله، فالذي يقدّر يكون قد جاوز قدره تحت تأثير منهجهم في وجوب تقدير كل محذوف، وهو إن جاز في النحو استكمالا لقواعد الصنعة، فليس بجائز في البلاغة التي هي فن القول ذلك لأنه حين يقتضي المقام الحذف لسر من أسرار البيان فلا وجه لتقدير المحذوف، والا أضاع التعبير مقومات أصالته البيانية)[٣٨٧]. والبحث يميل إلى رأي بنت الشاطئ لما فيه من فكر وذوق، فالإنسان مهما أوتي من علم ودقّة لا يمكن له فهم مراد الله تعالى، أو سبب مجيء النصوص بهذه الألفاظ أو بهذا الأسلوب البلاغي الذي لا يرقى له إنسان. وان كثيرا من القواعد لا يمكن أن تُطبق على آيات القرآن الكريم، بل إن آيات القرآن هي القاعدة الأصل التي ينبغي للإنسان أن يسير على هداها وأصولها وقواعدها، ولا يستطيع من له دقة وبراعة في الصنعة أن يجزم بأن هذا هو مراد الله تعالى

---

(٣٨١) **ظ:م.ن:٤٠٣**

(٣٨٢) **يوسف:٤٥، ٤٦.**

(٣٨٣) **البقرة: ١٧١.**

(٣٨٤) **ظ: الصورة الفنية في المثل القرآني، د. محمد حسين الصغير: ٢٢٣.**

(٣٨٥) **الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٢١٤/٢.**

(٣٨٦) **ظ: الاتقان، السيوطي: ١٥٧/٢.**

(٣٨٧) **التفسير البياني للقرآن الكريم، د. بنت الشاطئ: ٣١.**

إلا من وهب الله له قلبا سليما، قال تعالى: ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾[٣٨٨]

٢ـ الإطناب:

الإطناب لغة: أطنب في الشيء إذا بالغ فيه، وأطنبت الريح إذا اشتدت في هبوبها، وأطنب في السير إذا اشتدّ فيه[٣٨٩].

وفي الاصطلاح: عرّفه ابن الأثير فقال: (هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة)[٣٩٠]. أو هو تأدية المعنى المراد بألفاظ زائدة عليه لفائدة، فان لم تكن الزيادة لفائدة كان حشوا أو تطويلا[٣٩١].

والإطناب في القرآن الكريم لم يحفل بالزيادة ولم يأتِ للمبالغة، لأن كلام الله تعالى بليغٌ أساسا ولا زيادة فيه، ولكن التطويل في اللفظ القرآني تنظره دلالة لا يمكن أن تتحقق للمخاطب إلا إذا ركنت إلى رافد من روافد علم المعاني دون سواه، وهو الإطناب، فوجود الأخير يصبح ضرورة تتحقق للمخاطب على مختلف مستوياته حين تتحكم أمور عدّة تقتضي هذا النوع من علم المعاني ليصبح دالة على رسم الملمح التفسيري للنص القرآني الكريم الذي حفل به. وهذا ما سيتبين من خلال البحث.

مواضع الإطناب:

الإيضاح بعد الإبهام: فالمعنى إذا ألقي مجملا تشوقت النفس إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح ليكون شعورها به تامّا، والعلم إذا جاء للنفس شيئا فشيئا فستشعر بلذة قوية عند حصولها عليه بعد شعورها بالألم للجهل به[٣٩٢]. فمن قوله تعالى لغرض تفخيم

---

(٣٨٨) آل عمران: ٧.

(٣٨٩) ظ: تاج العروس، الزبيدي: ١٨٧/٢+ ظ: القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ٩٨/١+ ظ: لسان العرب، ابن منظور: ٥٦٢/١.

(٣٩٠) المثل السائر، ابن الاثير: ٨٦/٢.

(٣٩١) ظ: دروس في البلاغة، الشيخ معين العاملي: ١٠٧.

(٣٩٢) ظ: الإيضاح، القزويني: ١٥١+ ظ: علم المعاني، عبد العزيز عتيق: ١٥٧+ ظ: البلاغة والتطبيق، احمد مطلوب: ٢٠٣+ ظ: أصول البيان العربي، د. محمد حسين الصغير: ٢٢٤.

الأمر وتعظيمه قال: ﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأمر أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاَءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ**﴾[٣٩٣]. فقوله تعالى: (ذلك الأمر) مبهم، تتشوق النفس إلى معرفته، وقوله: (إن دابر هؤلاء) تفسير لذلك الأمر تفخيما لشأنه وإيضاحا وتقريرا له في نفس السامع[٣٩٤].

ويذكر الزركشي عن إيضاح هذا الأمر (انه يُري المعنى في صورتين (المبهمة والموضحة) ليكون ألذ للنفس واشرف عندها وأقوى لحفظها وذكرها)[٣٩٥].

ولا يخفى اثر التفصيل والإيضاح (وهو من الإطناب) في تفسير الآية الكريمة وتبيان ملامحها وبان هذا الملمح لا يتم إلا بهذا النوع من علم المعاني الذي أثر في تفسير النص.

وللإطناب أغراض بلاغية كثيرة[٣٩٦] (لا يسعها البحث) منها: الإيغال: (من أوغل في الأمر: إذا أبعد الذهاب إليه)[٣٩٧]. (وهو أن يستوفي معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه ثم يأتي بالمقطع فيزيد معنى آخر يزداد الكلام به وضوحا وشرحا وتوكيدا)[٣٩٨]. ففي قوله تعالى: ﴿ **اتَّبِعُوا مَنْ لاَ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾[٣٩٩] الكلام في قوله تعالى عن الرجل الذي آمن بنبينا محمد ﷺ وهو قد عاش قبله بستمائة سنة، وبلغه خبر الرسل فأتاهم مسرعا وآمن على يديهم، وعندما سمع قومه به قتلوه، فهو قد أتى لهم ناصحا بأن يتبعوا المرسَلين، وان تبعوهم لا يخسرون معهم شيئا من دنياهم ويحفظون دينهم فينتظم لهم خير الدنيا والآخرة[٤٠٠]، جملة (وهم مهتدون) أوغلت في معنى الكلام والمعنى يتم بدونها، ولكن مجيئها فيه زيادة حث لهم على الإتباع[٤٠١]. وهذا لا يتأتى إلا بهذا النوع من الإطناب كي يتوضح مراده تعالى لتثبيت المعنى في النفوس، وكما جاء في الإتقان:

---

[٣٩٣] الحجر: ٦٦.

[٣٩٤] ظ: الإيضاح القزويني: ١٥٢.

[٣٩٥] البرهان، الزركشي: ٤٧٧/٢.

[٣٩٦]ظ: الإيضاح، القزويني: ١٥٢ــ١٥٨+ ظ: الاتقان، السيوطي:٢ /١٤٢ وما بعدها.

[٣٩٧]لسان العرب، ابن منظور: ٧٣٢/١١.

[٣٩٨] الصناعتين، العسكري: ٣٨٠.

[٣٩٩] يس: ٢١.

[٤٠٠] ظ: الكشاف، الزمخشري: ١٠/٤.

[٤٠١] ظ: الإيضاح، القزويني: ١٥٣.

(فالرسول مهتدٍ لا محالة ولكنها في حث العباد على إتباعهم والترغيب فيه)[٤٠٢].

فنرى أن الإطناب رسم لنا الملمح التفسيري المقصود من الآية الكريمة ولا يتحقق المراد إلا به.

ومن أغراض الإطناب: الاعتراض:هو أن يُؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلي، المعنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لفائدة بلاغية: كالتنزيه والتعظيم والتنبيه والتحسّر والدعاء وغيرها[٤٠٣].

وقد أشار إليه ابن جني (ت٣٩٢هـ) في مواقعه وفائدته البلاغية ودلالته النفسية وانه قد جاء بكلام العرب وجرى عندهم مجرى التوكيد[٤٠٤].

ومن أمثلته في التحسّر قوله تعالى على لسان أم مريم: ﴿ **قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ**﴾[٤٠٥] في قوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى**﴾ اعتراض وقع بين قولي امرأة عمران، (أي ليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبتها لها)[٤٠٦].

أي أن البنت لا تكون رسولا، وهي قد بُشّر زوجها بأن يهبه الله ذكرا مباركا سويا يبرئ الأكمه والأبرص ويكون رسوله إلى بني إسرائيل[٤٠٧].

فالله تعالى أعلم بما وضعت وهو يعلم ماذا ستكون هذه المولودة وما سيكون من شأنها ومن الذي ستنجبه فهي سيدة نساء عالمها، فقوله هذا تعظيم لما وضعت، (فكانه يقول سبحانه انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله به، من عظم شأنه وعلو قدره)[٤٠٨].

فجملة الاعتراض بيّنت شأن المخلوق المولود ووضحته وانه حتى لو كان أنثى

---

[٤٠٢] الاتقان، السيوطي: ١٩٨/٢.

[٤٠٣] ظ: الإيضاح، القزويني: ١٥٨+ظ: الاتقان، السيوطي:١٤٣+ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٤٢٠.

[٤٠٤] ظ: الخصائص، ابن جني: ٣٣٥/١.

[٤٠٥] آل عمران: ٣٦.

[٤٠٦] ظ: الكشاف، الزمخشري: ٣٥٠/١+ ظ: التفسير الاصفى، الفيض الكاشاني: ١٤٨/١+ ظ: تفسير الميزان، الطباطبائي: ١٦٩/٣..

[٤٠٧] ظ: الكافي، الكليني: ٣٥/١+ ظ: بحار الانوار، العلامة المجلسي: ١١٩/٥٢.

[٤٠٨] ظ: الكشاف، الزمخشري: ٣٥٠/١.

فسيكون لها شأن عظيم ويكون منها الذكر الموعود، ولولا هذا الأسلوب لما جاء معنى بلاغي في الآية وكأنه مواساة لأم مريم وطمأنينة لها بأنها ولدت بعين الله ورعايته وبأنه سيأتيهم بما وُعدوا ويكون له الشأن العظيم بين الناس، فالاعتراض لا يكون زيادة في الكلام بل هو ربط له وتبيان وتوضيح في تفسير النص الكريم وبيان مراده تعالى. وبهذا أدّى الإطناب دوره في خدمة السياق القرآني وتبيان إعجاز كلامه تعالى.

وللمثل القرآني إسهامة في الإطناب في كتابه تعالى ففي قوله تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قال من يحيي العظام وهي رميم *قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ *الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنْ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ**﴾[٤٠٩] أبان فيه الدلائل الحسية والوجدانية والعقلية التي تقطع لهجة العناد وتوقف هدير المجادلة بما لا مزيد عليه[٤١٠] .

وهكذا أفادنا الإطناب في تبيان الملامح التفسيرية للنصوص القرآنية فالكلام ازداد به وضوحا وتوكيدا وقوة وتماسكا وحافظ على ربط العبارات ونسقها وهو قد تحوّل إلى منحى إعجازي، وهنا تكمن بلاغته حيث يستعمل في المواضع المقتضية له من أجل إظهار مراد الله تعالى في كل موضع يستعمله ولا يصح الكلام بدونه، فالإيجاز كان في مواضعه بلاغة ما بعدها بلاغة، والإطناب أيضا في مواضعه غاية البلاغة، وسنلحظ هذا الأمر أيضا في المساواة إن شاء الله.

٣ـ المساواة:

(هو أن يأتي اللفظ بمقدار أصل المراد لا ناقصا عنه بحذف أو غيره، ولا زائدا عليه بتكرير أو تتميم أو اعتراض)[٤١١] وهو كما قال العسكري: (إن ألفاظه قوالب لمعانيه فلا يزيد بعضها على بعض)[٤١٢]،ويعده صاحب الطراز من مصطلحات فرسان البيان ويطلق

---

[٤٠٩] يس: ٧٨ــ٨١.

[٤١٠] ظ: الصورة الفنية في المثل القرآنية، د. محمد حسين الصغير: ٢١٨.

[٤١١] الإيضاح، القزويني: ١٣٩+ البليغ في المعاني والبيان والبديع، الشيرازي: ١٥٨.

[٤١٢] الصناعتين، العسكري: ١٧٩.

عليه بـ(متعارف الاوساط)[٤١٣] فهو متوسط بين الإيجاز والإطناب وهذا ما يراه العسكري أيضا[٤١٤]. وتأتي المساواة احترازا من التطويل وتفاديا للإضافات غير المجدية وذلك بموافقة اللفظ للمعنى المحدد له[٤١٥].

وهو ذات قيمة جمالية بلاغية اعتمدها النقد البلاغي مقياسا فنيا بما فيها من توازن بين الفكرة والتعبير عنها[٤١٦].

والمتأمل لهذا الركن المهم من علم المعاني يجده قد أصبح رافدا اعجازيا ويسهم إسهاما واضحا في رسم الملامح التفسيرية للنص القرآني الذي احتواه، ولننظر هذا في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ**﴾[٤١٧] فمعنى (وما تقدموا لأنفسكم) أي ما تعطوه للفقراء والمساكين من أموال أو غيرها تنفقونها في طاعة الله فإنكم حتما ستجدون ثوابها وجزاؤها بما ينفعكم في آخرتكم ويحط من سيّئاتكم[٤١٨]، (والمراد بالخير هو مطلق الطاعة)[٤١٩]، (وكل عمل يرضاه الله ورسوله)[٤٢٠] فعن الإمام العسكري عليه السلام: (وما تقدموا لأنفسكم من مالٍ تنفقونه في طاعة الله، فان لم يكن لكم مال فمن جاهكم تبذلونه لإخوانكم المؤمنين تجرّون به إليهم المنافع وتدفعون به عنهم المضارّ تجدوه عند الله)[٤٢١] والإسلام في هذا يلغي النظرة الفردية للإنسان ويجعله ينظر إلى المادة على أساس الجماعة فيعطي مجالا لاستغلال الأموال للصالح العام من أجل المكاسب الأخروية، ويقوم إيمان الإنسان بدور ايجابي في اطفاء البواعث الأنانية للملكية الفردية[٤٢٢]. فكان معنى الآية مساويا لألفاظها لا يزيد عنه ولا ينقص ولا يمكن حذف كلمة منه أو زيادتها

---

[٤١٣] ظ: الطراز، العلوي: ٥٤٨.

[٤١٤] ظ: الصناعتين، العسكري: ١٧٩.

[٤١٥] ظ: أصول البيان العربي، د. محمد حسين الصغير: ٢٢٥.

[٤١٦] ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٤٢٧.

[٤١٧] البقرة: ١١٠.

[٤١٨] ظ: بحار الانوار، العلامة المجلسي: ٢٩٩/٧+ ظ: الينابيع الفقهية، علي أصغر مروارید: ١٥/١٢.

[٤١٩] الميزان، الطباطبائي: ٧٣/٢.

[٤٢٠] جامع البيان، الطبري: ٦٨٦/١.

[٤٢١] تفسير الإمام العسكري، المنسوب إلى الإمام العسكري: ٥٢٠+ مستدرك سفينة البحار، الشاهرودي: ٤٤٣/٨.

[٤٢٢] ظ: اقتصادنا، السيد محمد باقر الصدر:٥٤٢..

عليه فذاك يكون إخلالا بالمعنى.

فبهذا حققت المساواة الإيضاح وإظهار المعنى وأوصلت الغاية المنشودة من النص وحملت وظيفة افهامية لا يمكن أن تتحقق إلا عبرها، فكانت مسلكا اعجازيا مشيرا إلى رقي التعبير القرآني.

نستنتج مما تقدم أن لكل مقام مقالا فالإيجاز في موقعه جيد والإطناب في مورده حسن، وهذا ما تقتضيه البلاغة، فقد يقتضي المقام حذف الكلمات واختصارها أو تقتضي إشباع القول وإطالة الكلام وأحيانا لا تقتضي أيّامنهما فيجيء اللفظ مساويا للمعنى، فلم يخطئ ابن الإعرابي حينما سُئل عن البلاغة فقال: (البلاغة: الإيجاز في غير عجز والإطناب في غير خطل)[٤٢٣]، ورأينا أن لكل أسلوب تأثيره في تبيان ملامح التفسير القرآني ويؤثر تأثيرا واضحا في معنى الآيات للوصول إلى مراد الله تعالى ويتجلّى لنا أنه لولا هذا الأسلوب من أساليب علم المعاني لما أدى المعنى المطلوب والغرض الرباني، وهذا ما يوصلنا للقول بإعجاز القرآن الكريم وهو ما نتوخاه من هذا البحث.

ثالثا: القصر واثره التفسيري:

القصر لغةً: (الحبس)[٤٢٤]. يقال: قصرتَهُ، أي: حبستَهُ، وهو مقصور، أي: محبوس، وقوله تعالى: ﴿ **حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ**﴾[٤٢٥] أي محبوسات، قد قصرن طرفهن على أزواجهن، فالمرأة القاصرة الطرف هي التي تحبس طرفها على بعلها وتخصّه به فلا تمدّه إلى غيره[٤٢٦].

وفي الاصطلاح: (هو تخصيص شيء بشيءبطريق مخصوص وحصره فيه) [٤٢٧]. فالشيء الأول هو المقصور، والشيء الثاني هو المقصور عليه، فان أريد بالأول الصفة

---

[٤٢٣] الصناعتين، أبو هلال العسكري: ١٩٠.

[٤٢٤] لسان العرب، ابن منظور: ٩٧/٥+ تاج العروس، الزبيدي: ٣٩٨/٧.

[٤٢٥] الرحمن: ٧٢.

[٤٢٦] ظ: لسان العرب، ابن منظور ٩٩/٥+ ظ: مجمع البحرين، الطريحي: ٤٤٥/٣.

[٤٢٧] البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب: ١٦٩+ علم المعاني، درويش الجندي: ١٢٧.

كان الثاني هو الموصوف وبالعكس، (والصفة هي الصفة المعنوية لا اللفظية)[٤٢٨].

والقصر نوعان: قصر حقيقي وقصر إضافي، وهذا باعتبار غرض المتكلم.

وكل منهما أما قصر الموصوف على الصفة أو قصر الصفة على الموصوف[٤٢٩].

والقصر الحقيقي: هو ما كان الغرض منه اختصاص المقصور بالمقصور عليه بحيث لا يتعداه إلى غيره أصلا (أي أن المنفى عنه عام) وهو أما تحقيقي أو إدعائي فالمقصور مختص بالمقصور عليه مُنفى عن كل ما عداه[٤٣٠]. مثل اختصاص الغيب والعلم بالله وحده فقط من دون سواه، في قوله تعالى: ﴿ **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ**﴾[٤٣١].

والمفاتح هي الخزائن في قول أكثر المفسرين[٤٣٢]، وغلب على ظن الشيرازي إنها المفاتيح وليس الخزائن لأن الهدف بيان علم الله فتكون المفاتيح وسائل لمعرفة مختلف الذخائر (وهو عنده الأنسب بالآية)[٤٣٣]. والمراد أن مفاتح الغيب عنده وليس عند غيره وعلمها مقصور عليه مُنفى عن كل ما عداه[٤٣٤]. وتكرار القصر أفاد تأكيد هذه الحقيقة وتقريرها وهي أن العلم بالغيب مختصّ به تعالى لا يتعداه إلى أحدٍ من خلقه[٤٣٥].

وهذا المعنى لا يتأتى إلا بهذا الأسلوب القوي والمؤثر من أساليب علم المعاني فعلم الله حقيقة منحصر به موقوف عليه، (وليس لأحد من خلقه أن يدّعي علمه وعمومها يشمل الأنبياء والأوصياء)[٤٣٦]. فكل ما عدا الله تعالى منفي عنه العلم بالغيب لذا يكون هذا

---

[٤٢٨] ظ: علم المعاني وأساليبه البلاغية، د. طاهر عبد الرحمن قحطان: ١٢٧.

[٤٢٩] ظ: الإيضاح، القزويني: ٩٨.

[٤٣٠] ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٢٢٩.

[٤٣١] الانعام: ٥٩.

[٤٣٢] ظ: مجمع البيان الطبرسي: ٧٠/٤+ ظ: التفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ١٢٥/٢ + ظ: فتح القدير، الشوكاني: ١٨٦/٤.

[٤٣٣] ظ: الأمثل في كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: ٣١٤/٤.

[٤٣٤] ظ: الكشاف، الزمخشري: ٢٩/٢.

[٤٣٥] ظ: علم المعاني ،بسيوني عبد الفتاح: ٢٢٩.

[٤٣٦] ظ: علم الإمام، الشيخ محمد حسين المظفر: ٥٧.

القصر حقيقيّا تحقيقيّا[٤٣٧]. بقصر صفة علم الغيب على الله تعالى وحده (الموصوف)[٤٣٨].

أما القصر الحقيقي الادعائي (وهوان يختص المقصور بالمقصور عليه بحيث لا يتعداه إلى غيره إدعاءً ومبالغة وليس على المطابقة الحقيقية للواقع)[٤٣٩]. مثلما جاء في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[٤٤٠] قصرت خشية الله على العلماء وهذا لا يعني أن غير العالم لا يخشى الله، بل يجوز أن يكون غيرهم أشد خشية لله منهم (والسياق ينبّه إلى ذلك) ولكن المقصود أن خشية غيرهم غير معتدٍّ بها لعلو شأنهم وامتياز مكانتهم[٤٤١] فقصرت خشية الله عليهم خاصة دون غيرهم[٤٤٢] من باب المبالغة ،وذلك للاعتداد بهم والإشارة بأنهم هم المخصوصون دون غيرهم بأن تكون خشيتهم لله أكثر وأشدّ، لأنهم أئمة الناس وقدوتهم وهدى لطريقهم[٤٤٣]، وهذا المعنى لا يظهر إلا بهذا القصر الحقيقي للتنويه بقدر العلماء وإعلاء شأنهم، فنرى أن في المعنى وضوحا وقوة وتأثيرا في النفس لا يكون لو كانت الجملة خبرية غير مقصورة فلا يكون لها هذا التأثير، ومن هذا يتضح ما لأسلوب القصر من تغيير في ملامح النص القرآني، وهذا ما يتوخاه البحث من خلال دراسة هذا الأسلوب.

أما القصر الإضافي: (فهو أن يختصّ المقصور بالمقصور عليه بالنسبة إلى شيء معين بحيث لا يتجاوزه إلى ذلك المعين)[٤٤٤] (ويجوز أن يتعداه إلى شيء آخر)[٤٤٥]. والذي يهتمّ به علماء البيان هو القصر الإضافي، لأنه هو الذي يثري الأساليب العربية[٤٤٦]. كما في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلاَ الأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ**

---

[٤٣٧] **ظ: علم المعاني وأساليبه البلاغية، د. طاهر عبد الرحمن قحطان: ١٢٤.**

[٤٣٨] **م .ن .**

[٤٣٩] **أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ١٥٢.**

[٤٤٠] **فاطر: ٢٨.**

[٤٤١] **ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ١٥٣.**

[٤٤٢] **ظ: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٣٣٩.**

[٤٤٣] **ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ١٥٣.**

[٤٤٤] **علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٢٣٠.**

[٤٤٥] **أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ١٤٨.**

[٤٤٦] **ظ: البلاغة فنونها وافنانها، فضل حسن عباس: ٣٦٣.**

يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ *إِنْ أَنْتَ إِلاَّ نَذِيرٌ﴾[٤٤٧]. أي ما عليك إلا أن تبلغ وتنذر، فان كان المنذر ممن يسمع الإنذار نفع وإن كان من المصرّين. فلا عليك، فحالهم كحال الموتى والله أحقّ بهم وهو الذي سيتولى أمرهم[٤٤٨] (فإسماعهم ليس من واجبك ولا حيلة لك به فيما طبع على قلوبهم)[٤٤٩].

وكما جاء في الميزان انه من القصر الإضافي: أي ليس لك إلا إنذارهم وأما هدايتهم فان ذلك لله تعالى[٤٥٠]. فقصره جاء بإضافته إلى الإنذار لا يتعداها إلى القدرة على إسماع من في القبور لأن الرسول ﷺ كان يتمنّى هداية قومه وقبولهم ذلك وهذا لشدّة حرصه عليهم[٤٥١]، فجاء خطاب الله تعالى له بهذا الأسلوب من القصر ليبين له مهمته وقصرها على الإنذار، ففيه تعبير مؤثر يوحي بأثر هذا الكلام في نفس الرسول، وهذا المعنى ما كان أن يؤدّى إلا بهذا الأسلوب، وهو أحد أساليب المعاني التي أثرت في تفسير النص وبيّنت معالمه وبلاغته وإعجاز قوله تعالى.

والقصر الإضافي بالنسبة إلى حال المخاطب يكون أما قصر إفراد[٤٥٢] أو قلب[٤٥٣] أو تعيين[٤٥٤][٤٥٥].

طرق القصر:

للقصر طرق كثيرة أوصلها السيوطي إلى أربعة عشر طريقا[٤٥٦]. أهمّها: النفي

---

[٤٤٧] **فاطر: ٢٣.**

[٤٤٨] **ظ: الكشاف، الزمخشري: ٣/٥٩٠.**

[٤٤٩] **التفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ٤/٢٣٦.**

[٤٥٠] **ظ: الميزان، السيد الطباطبائي: ١٧/٢٢.**

[٤٥١] **ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٢٣٤ــ٢٣٥.**

[٤٥٢] **يخاطب به من يعتقد الشركة ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، آل عمران: ١٤٤.**

[٤٥٣] **ويخاطب به من يعتقد العكس: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، المائدة: ٧٥.**

[٤٥٤] **يخاطب به المتردد بين شيئين: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ﴾ يس: ١٥.**

[٤٥٥] **ظ: علم المعاني: بسيوني عبد الفتاح: ٢٣٣ــ٢٣٥.**

[٤٥٦] **ظ: الاتقان، السيوطي: ٢/١٣٥ــ١٣٩.**

والاستثناء، والقصر بـ(إنما) والقصر بحروف العطف (بل، لا، لكن)، والقصر بتقديم ما حقه التأخير[٤٥٧]، ولكل من هذه الطرق تأثير في تفسير النصوص القرآنية وتغير ملامحها، وسنلحظ هذا التأثير في استعراضنا لهذه الطرق ونبدأها بالنفي والاستثناء.

١ـ **القصر بالنفي والاستثناء**: ويكون بأداة من أدوات النفي مثل (ليس وإن وما) ويتبعه النهي والاستفهام (لأغراض بلاغية) مع إحدى أدوات الاستثناء وهي: (إلا، سوى، غير، حاشا، عدا)[٤٥٨] ويأتي المقصور قبل أداة الاستثناء والمقصور عليه بعدها[٤٥٩]. وطريقته من أقوى طرق القصر وهي الطريق الأم بين طرقه ويُقاس عليه غيره[٤٦٠]. ويستعمل في المعاني القويّة والنبرات الحادّة والأمور الغريبة[٤٦١].

ويتضح هذا في قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿ **مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ**﴾[٤٦٢] القصر هنا للقلب، فكأنه اشتمل على معنى إني أمرتك أن تدعو الناس إلى عبادتي، وأنت دعوتهم الى أن يعبدوا من هو دوني(بدليل الآية قبلها)[٤٦٣] ذكر السيوطي أن الحصر في الآية جاء عن طريق الاستثناء المفرغ[٤٦٤] فانه عليه السلام قصر قوله على أمر الله تعالى فقط، أي انه لم يقل لهم إلا ما أمره تعالى به من الإقرار بالعبودية والتوحيد لأنه ربه وربهم، وبان لا يشركوا في عبادته أحدا[٤٦٥].

(وأختلف المفسرون في هذا الجواب من عيسى لله تعالى هل كان في الدنيا حينما رفعه الله تعالى له، أو انه سيكون في يوم القيامة حينما يأتي الله بكل نبيّ شاهدا على أمته)، وجاء كلامه في الماضي ليدل على الوقوع الأكيد[٤٦٦].

---

[٤٥٧] **ظ: البليغ، الشيرازي: ١١٧ وما بعدها.**

[٤٥٨] **ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ١٦٦ــ١٦٧.**

[٤٥٩] **ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٢٧٧.**

[٤٦٠] **ظ:علم المعاني،بسيوني عبدالفتاح : ٢٥٢.**

[٤٦١] **ظ: م . ن: ٢٧٤.**

[٤٦٢] **المائدة: ١١٧.**

[٤٦٣] **ظ: علم المعاني، د. محمود احمد نحلة: ١٤٨.**

[٤٦٤] **ظ: الاتقان، السيوطي: ١٣٥/٢.**

[٤٦٥] **ظ: التبيان، الشيخ الطوسي: ٦٩/٤+ ظ: مجمع البيان، الطبرسي: ٤٥٧/٣.**

[٤٦٦] **ظ: جامع البيان، الطبري: ١٨٦/٧+ ظ: تفسير ابن كثير، ابن كثير: ١٢٤/٢.**

وفي الآية تأكيد قوي بـ(ما والا)على امتثاله ﷺ لأوامر الله تعالى لأنه كان يدعوهم إلى عبادته وحده وأن لا يشركوا به أحدا وهذا المعنى لم يكن ليتمّ بغير هذا الأسلوب من القصر فأنه بواسطته نفى ﷺ انه قال للناس بأن يتخذوه وأمه الهين واثبت عبوديته لله تعالى وحده، وفي النفي والإثبات قوّة في الأسلوب والعبارة وتوضيح لمراد الله تعالى في هذا النص الذي بيّنه وفسره أسلوب القصر الذي أثر في توضيح الملمح التفسيري.

٢ـ إنما:

يفيد القصر بالأداة (إنما) المكوّنة من (إنّ) المؤكَّدة، و(ما) الزائدة المفيدة للتوكيد، فيكون القصر بها، توكيداً على توكيد، لإثبات الكلام ونفي ما سواه[٤٦٧]، و(إنما) أداة هادئة تُستعمل في المعاني الواضحة التي لا ينكرها المخاطب ولا يجهلها، فكأنها أداة همس وتنبيه[٤٦٨]. ففي قوله تعالى: ﴿ **إنما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ**﴾[٤٦٩] الآية خاطبت المؤمنين (فسورة محمد سورة مدنية)، وهم لا يجهلون هذا الأمر، وهو معروف عندهم فجاء الخطاب ليس فيه قوّة أو عنف[٤٧٠]. بينما جاء الكلام في سورة العنكبوت (وهي سورة مكية) قال تعالى: ﴿ **وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ**﴾[٤٧١] فالمخاطبون هنا غير المؤمنين، لذا هم يجهلون حال الدنيا وقدرها عند الله تعالى، فجاء القصر بـ(ما والا) بشكل عنيف يهز المشاعر وينبّه هؤلاء الكفار عن حال الدنيا[٤٧٢].

تنزيل المجهول منزلة المعلوم:

(إنما) تستعمل في الأمور المعلومة، وقد تستعمل في الأمور التي ينكرها المخاطب (المجهولة) تنزيلا لها منزلة المعلوم، لغرض بلاغي يستفاد منه ففي قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ *أَلاَ إِنَّهُمْ هُمْ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ**

---

[٤٦٧] **ظ: المصباح، الدمشقي: ١٥٦.**

[٤٦٨] **ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٢٧٤.**

[٤٦٩] **محمد: ٣٦.**

[٤٧٠] **ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ١٦٩.**

[٤٧١] **العنكبوت: ٦٤.**

[٤٧٢] **ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ١٧٠.**

يَشْعُرُونَ﴾[٤٧٣] فالمنافقون كونهم مصلحين، خبر ينكره المخاطب ويدفعُه، فكان حق القصر أن يكون بالنفي والاستثناء، لكن النظم العربي آثر التعبير بـ(إنما) تنزيلا لهذا الخبر المنكر منزلة المعلوم الظاهر[٤٧٤]. قال القزويني: (ادّعوا أن كونهم مصلحين ظاهر جلي ولذلك جاء (ألا أنهم هم المفسدون) للرد عليهم، مؤكدا بما ترى من جعل الجملة اسمية، وتعريف الخبر باللام، وتوسيط الفصل، والتصدير بحرف التنبيه ثم بـ(إنّ))[٤٧٥]، فـ(ألا) أداة تنبيه هيّأت الأذهان والأسماع لما بعدها، ثم قصر الإفساد عليهم لا يتعداهم إلى غيرهم مؤكدا بـ(إنّ) ثم جاء الاستدراك (ولكن لا يشعرون)، فهم فاقدو الشعور، ولو كانوا يشعرون لأدركوا حقيقة انحصار الفساد بينهم وقصره عليهم[٤٧٦]، فنرى استعمال (إنما) في الأمر الذي ينكره المخاطب، لأنهم ظنوا أنفسهم أنهم مصلحون بين المؤمنين وأهل الكتاب[٤٧٧]، وأنهم لا يعملون المعاصي ولا يناصرون الكفار ولا يحرفون الكتاب[٤٧٨]. فقالوا (فليس من عادتنا الإفساد)[٤٧٩]، فهم أما يجحدون هذا البلاغ (كما جاء عند الطوسي والطبرسي) أو (لأن الفساد عندكم صلاح عندنا) (كما ادعوا)[٤٨٠]، وفي الدر المنثور: (إن سلمان قد قرأ هذه الآية وقال: لم يجئ أهل هذه الآية بعد)[٤٨١] فأفاد أسلوب القصر بـ(إنما) بتنزيل المجهول (الإفساد) منزلة المعلوم (الإصلاح) لأنهم لا يشعرون بإفسادهم، ولا يتأتى هذا المعنى إلا بالأداة (إنما) وقد يُنزّل الأمر المعلوم منزلة المجهول بأداة القصر (ما وإلا) كقوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى** أَعْقَابِكُمْ﴾[٤٨٢] أي انه ﷺ مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى التبرّي من الهلاك، فهم يعلمون انه رسول الله ويعلمون انه بشر، وان مصيره الموت، ولكن لشدة استعظام الناس

---

[٤٧٣] البقرة: ١١ــ١٢.

[٤٧٤] ظ اصول البيان العربي،د.محمد حسين الصغير:٢٠٩

[٤٧٥] الإيضاح، القزويني: ١٠٤.

[٤٧٦] ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٢٧٦.

[٤٧٧] ظ: الدر المنثور، جلال الدين السيوطي: ٣٠/١.

[٤٧٨] ظ: مجمع البيان، الطبرسي: ١٠٤/١.

[٤٧٩] معاني القرآن، النحاس: ٩٢/١.

[٤٨٠] ظ:التبيان، الشيخ الطوسي: ٧٤/١+ مجمع البيان، الطبرسي: ١٠٤/١.

[٤٨١] الدر المنثور، جلال الدين السيوطي: ٣٠/١.

[٤٨٢] آل عمران: ١٤٤.

هلاكه وتعلقهم به، نزّلوا منزلة

المنكرين لموته[٤٨٣]. فالآية بيّنت الغرض من بعث الرسل، وهو إبلاغ الرسالة وإلزام الحجة على الناس، وأبعدت عنهم الخلود في الدنيا وبقاءهم إلى أبد الدهر[٤٨٤]والى هذا ذهب السكاكي ،فمحمد مقصور على الرسالة لا يتجاوزها الى البعد عن الهلاك[٤٨٥]. فالقصر بالنفي و الاستثناء أفاد في قصر محمد على الرسالة و التبليغ وأبعد الخلود عنه .

استعمال (إنما) في التعريض:

التعريض خلاف التصريح، (وهو الإيحاء والتلويح ولا تبيين فيه) [٤٨٦]. (وتوجيه الكلام إلى جانب وإرادة جانب آخر)[٤٨٧] (حيث يتمكن المتكلم من الوصول إلى غرضه دون ذكره مباشرة إنما يلوح به)[٤٨٨]، وهذا الأسلوب مرتبط بإنما ويعتبر من أحسن مواقعها فيه، فان حُذفت إنما من الكلام يسقط المعنى التعريضي وما فيه من جمال فني وأسلوب إيحائي[٤٨٩].

ويُفهم التعريض من سياق الآيات وقرائن الأحوال وما يفيض به التركيب من معانٍ وإشارات وإيحاءات، ففي قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾[٤٩٠] ليس الغرض من الآية إعلام السامعين المعنى الظاهر منها بل ترمي من وراء ذلك إلى التعريض بذمّ الكفار وبأنهم من فرط عنادهم صاروا في حكم من ليس بذي عقل[٤٩١].

٣ـ القصر بحروف العطف:

---

[٤٨٣] **ظ: الإيضاح، القزويني: ١٠٣.**

[٤٨٤] **ظ: الكشاف الزمخشري: ١/٤١٤.**

[٤٨٥] **ظ:مفتاح العلوم ،السكاكي:٢٤١**

[٤٨٦] **مجمع البحرين،الطريحي:٣/١٥٤**

[٤٨٧] **بحار الأنوار، المجلسي: ٧٢/١٣٥.**

[٤٨٨] **زبدة البيان، المقدس الاردبيلي: ٥٦١.**

[٤٨٩] **ظ: دلائل الإعجاز، الجرجاني: ٣٥٧.**

[٤٩٠] **الرعد: ١٩.**

[٤٩١] **ظ: دلائل الإعجاز، الجرجاني: ٣٥٤.**

حروف العطف المفيدة للقصر هي: (بل، لا، لكن) وفي كل منها دلالة قوية على القصر، لأن القصر فيها صريح، خلافا للطرق الأخرى (فالقصر فيها متضمن) ولكن القصر بالحروف ينقصه الإيجاز، لأنه يصرّح بالإثبات والنفي وفي هذا إطالة بالكلام[٤٩٢].

وفي القصر بها تأثير في معنى النص، ففي قوله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وخاتم النبيين**﴾[٤٩٣] وضّح القصر بـ(لكن) المسبوقة بحرف العطف (الواو) وضّح النفي والإثبات معا، فقد نفى أبوّته لأحد وأثبت رسالته وبأنه خاتم الأنبياء[٤٩٤]، في وقت واحد وبأداة ربط واحدة، ولا يمكن إثبات هذا المعنى بطريقة أخرى، إلا بهذه الوسيلة من وسائل علم المعاني التي أفادنا بها طريق القصر.

٤ـ القصر بتقديم ما حقه التأخير:

والقصر هنا لا يأتي بأداة وإنما يتوضح من خلال تقديم كلمة على أخرى من أجل قصرها عليها، ففي قوله تعالى: ﴿ **لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾[٤٩٥]، (قُدّم الجاروالمجرور لإفادة حصر وتخصيص الملك بالله وحده فقط دون سواه)[٤٩٦]، فهو الملك الحق، والمنزّه عن كل شريك، وله سلطان السموات والأرض وما فيهن وما بينهن، فهو خالق كل شيء[٤٩٧]، وتظهر براعة القصر في هذا المعنى، فانه لا يؤدى ولا يكون بهذه القوة إلا بهذا النوع من القصر (في التقديم)، وبذلك تتجلى روعة إعجاز النص القرآني في اعتماده على هذا النوع من القصر في إظهار المعنى المقصود. ودلالة التقديم على القصر دلالة تذوقية فليس كل تقديم يفيد القصر[٤٩٨]. فتفهم من معنى السياق، ويدرك المتأمل تأثيرها في معاني الآيات وتفسيرها، لتتوضح فيها الأسرار البلاغية واللطائف الإلهية الكامنة في هذا الأسلوب الجليل.

---

[٤٩٢] ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٢٤٤.

[٤٩٣] الأحزاب: ٤٠.

[٤٩٤] ظ: الكشاف، الزمخشري: ٣/٥٤٧+ ظ: مجمع البيان، الطبرسي: ٨/١٦٠.

[٤٩٥] المائدة: ١٢٠.

[٤٩٦] تفسير الآلوسي، الآلوسي: ٧/٧٢.

[٤٩٧] ظ: جامع البيان، الطبري: ٧/١٩٠.

[٤٩٨] ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٢٦٥.

وهنـاك طـرق أخـرى للقـصر منهـا، توسـط ضـمير الفـصل، أو تعريـف المـسند إليـه وغيرها[٤٩٩]، وهكذا قد تبيّن ما للقصر من أساليب فنية في معاني الكلام وتفسير النـصوص ويعدّ ثراؤها وكثرة فوائدها لتنوع طرقها، وما بين تلك الطرق من فروق دقيقـة وملاحظـات لطيفة. فهو يُعد من طرق الإيجاز لما في جملة القصر من قوة جملتين، ويُعد من طرق التوكيد خصوصا لأمر يجهله المخاطب (النفي والاستثناء)، وتتأتّى فائدته البلاغية من إضافة معانٍ على الكلام تزيده دقة في التعبير وجمال في التنسيق بالإضافة إلى تغيير ملامح التفسير بواسطة هذا الأسلوب وإظهار مراد الله تعالى بقوة وتأكيد، وهذه هي غاية البحث.

[٤٩٩] **ظ: جواهر البلاغة، احمد الهاشمي: ١٨.**

المبحث الثاني

السمة التفسيرية المتخصصة بموضوع الغياب و الحضور (الحذف والذكر)

معلم من معالم البلاغة(دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر)[٥٠٠] فيه دقائق عجيبة وأسرار بلاغية غريبة، وفيه انتقاء الدلالات اللفظية التي تستوجب الحضور أو الغياب، وتسهم في رقي القول وعلوّ شأن بلاغته.

وإذ تحدثنا سابقا عن إيجاز الحذف، فإنما نريد هنا أن نتحدث عن دلالات الحضور والغياب أي دلالات الذكر و الحذف لتسير الدراسة نحو رؤية دلالية أخرى، يناقش البحث من خلالها الأدلة التي يتركها الحذف والذكر وكيفيّة اسهامة كل منهما في رسم الملمح التفسيري للنص القرآني. ولما كانت البلاغة تحرص على إظهار النص إظهارا مكتنزا بالدلالة والإيحاء وحضور المعنى فقد عرّف الإمام الصادق عليه السلام البلاغة بأنها (التبعُّد من حشو الكلام)[٥٠١] أي حذف ما لا ضرورة له وذكر ما هو ضروري فحسب[٥٠٢].

ومن بلاغة الحذف أن نجده أفصح من الذكر، يقول عبد القاهر الجرجاني: (فانك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تُبن)[٥٠٣]. فالنفس تتفادى من إظهار المحذوف وتأنس إلى إضماره، وإن أردنا التكلم به ذهبت الملاحة في القول[٥٠٤]، والكلام يحسن دون إظهاره، ويؤدّى ببلاغة تامة (فربَّ حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد)[٥٠٥]، فحذفه يصقل اللفظ ويؤدي المعنى أفضل مما لو ذكر.

أولا: الحذف(الغياب):

---

(٥٠٠) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٤٦.

(٥٠١) بحار الأنوار، المجلسي: ٢٣٠/٧٥+ مستدرك سفينة البحار، علي النمازي الشاهرودي: ٤١٧/١.

(٥٠٢) ظ: القواعد البلاغية، د. محمود البستاني: ٩٧.

(٥٠٣) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٤٦.

(٥٠٤) ظ:م.ن: ١٥٢.

(٥٠٥) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٤٦.

الحذف لغة: الإسقاط[٥٠٦] يقال حذف في قوله: أوجزه وحذفت رأسه بالسيف أي قطعت منه قطعة[٥٠٧].

وفي الاصطلاح: (إسقاط جزء من الكلام لدليل عليه)[٥٠٨]، وهو خلاف الأصل فعدم الحذف أولى، والحذف القليل أولى من الحذف الكثير[٥٠٩]. على شرط أن يكون غير مخلّ بالمعنى. فنرى أن المعنى الاصطلاحي قد انحدر من المعنى اللغوي، وفي الحذف كلام مقدّر ففي قوله تعالى: ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ**﴾[٥١٠] في الآية الكريمة عبارات كثيرة محذوفة لكنها غير ضرورية، فـ(تبّت) معناها خسرت، فماذا خسر؟ وماذا خسرت يداه؟[٥١١] وهذا ما سكت عنه القرآن الكريم ليظل المتلقي يتأمّل في هذا الخسران وهل هو خسران الدنيا أو الآخرة أوخسرانهما معا؟، وهذا هو دور الحذف في تحريك ا لذهن ورسم الملامح التي حُذفت من النص لتتلقاها النفس بعد ذلك بشوق ورغبة، (فقد اقتصر في قوله تعالى على الضروري من الكلام وترك ما لا ضرورة له)[٥١٢]. فهو اقتصاد في اللفظ وإيجاز في العبارة[٥١٣] والحذف في الكلام يأتي عن طريق حذف المسند إليه أو المسند أو المفعول فيؤثر في تغيير ملامح النص القرآني وتفسيره، وسنرى هذا التغيير عند دراستنا لكل من هذه المواضع أن شاء الله.

١ـ حذف المسند إليه :

المسند إليه: (هو المبتدأ الذي له خبر، والفاعل ونائبه وأسماؤه)[٥١٤]، وهو ركن مهمّ في الجملة الخبرية (المتكونة من المسند والمسند إليه) ويُحذف* المبتدأ أحيانا من الكلام

---

(٥٠٦) مجمع البحرين، الطريحي: ٤٢٩/١+ مختار الصحاح، محمد عبد القادر: ٧٥.

(٥٠٧) الصحاح، الجوهري: ١٣٤١/٤.

(٥٠٨) البرهان، الزركشي: ١٠٢/٣+ مختصر المعاني، التفتازاني: ٤٧.

(٥٠٩) ظ: دروس في البلاغة، معين العاملي: ٥٣.

(٥١٠) اللهب: ١.

(٥١١) ظ: القواعد البلاغية، د. محمود البستاني: ٩٧.

(٥١٢) ظ: م.ن.

(٥١٣) ظ:م.ن: ٩٩ــ١٠٠.

(٥١٤).شرح ابن عقيل،ابن عقيل الهمداني:١٨٨/١+ جواهر البلاغة، احمد الهاشمي: ١١٧

*** الحذف تنبيها إلى أنه الركن الأعظم الشديد الحاجة إليه حتى إذا لم يُذكر فكأنه أتي به ثم حذف. مختصر المعاني،**

لدواع بلاغية منها:

(أ) ـ الاحتراز عن العبث، وغالبا ما يقع في جواب الاستفهام فلا حاجة لذكره كما في قوله تعالى: ﴿ **وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ *فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ**﴾[٥١٥]. (أي هم في سدرٍ مخضود)[٥١٦]، الآية تخبر عن حال أصحاب اليمين (الذين يؤتون كتابهم بيمينهم في يوم القيامة) والاستفهام تعبير عن المقام العالي لأصحاب اليمين[٥١٧] والسدر المخضود (هو الذي لا شوك فيه كأنما خُضّد شوكه)[٥١٨]. فعن رسول الله ﷺ (يُخضّد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة فانها تنبت ثمرا تفتق الثمرة، معها عن أثنين وسبعين لونا ما منها لون يشبه الآخر)[٥١٩].

حُذف المسند إليه (المبتدأ) لظهور القرينة عليه (أصحاب اليمين) وعلم المخاطب به[٥٢٠]، (ولو ذكر لنقصت قيمة العبارة بلاغيا)[٥٢١] فكأن عظيم حالهم وعلوّ شأنهم وما هم فيه من نعمة أكثر أهمية من ذكرهم، وذلك لتشويق العباد وترغيبهم في بيان حال أصحاب اليمين وإمعان نظرهم في معرفة من هو المتنعم في هذه النعم الإلهية، وذكر المسند اليه يضعف المعنى ولا يؤدي هذا الغرض البلاغي، فحذفه أبلغ وأقوى تعبيراً من ذكره وهذه هي بلاغة الحذف التي يرمي إليها علم المعاني في توضيح دلالات النص القرآني.

(ب) ـ ضيق المقام عن إطالة الكلام لتوجع أو خوف من فوات الفرصة أو ضياع شيء أو إلى سماعه أمرا غريبا يدعو إلى التعجب والاستغراب[٥٢٢]، ففي قوله تعالى: ﴿ **فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لاَ تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ *فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ**

التفتازاني: ٤٧ ويذكر ابن جني أن الفاعل يُضمر ولا يحذف. الخصائص: ٣٦١/٢.

[٥١٥] الواقعة: ٢٧ــ٢٨.

[٥١٦] البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس: ٢٦٥.

[٥١٧] ظ: الميزان، الطباطبائي: ١١٩/١٩،+ ظ الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي: ٤٥٩/٧.

[٥١٨] الكشاف، الزمخشري: ٤٤٩/٤.

[٥١٩] المستدرك، الحاكم النيسابوري: ٤٧٦/٢+ كنز العمال ،الهندي: ٤٥/٢.

[٥٢٠] ظ: تلخيص المفتاح، القزويني: ٥٦.

[٥٢١] علم المعاني، عبد العزيز عتيق: ١٠٥.

[٥٢٢] ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٣٥٢.

وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾[٥٢٣]، أي (أنا عجوز عقيم)، و(صكت وجهها) أي ضربت جبهتها وهو فعل المتعجب من شيء[٥٢٤] وسرّ حذف المبتدأ هنا هو استغراب زوجة ابراهيم عليه السلام واستبعادها أن يكون لها غلام وهي عجوز لا تلد وزوجها شيخ كبير، فضاق المقام عن ذكر المسند إليه[٥٢٥]. ولو ذكر لكان المعنى أضعف في الدلالة على المراد من قوله تعالى وهذا ما نتوخاه من فائدة الحذف في تغيير الملمح التفسيري في النص ليتجلى أثر علم المعاني في تفسير النصوص القرآنية.

(جـ) ـ صون اللسان عن ذكر المسند إليه وذلك تحقيرا له كقوله تعالى: ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ**﴾[٥٢٦] أي (هم) لم يُذكروا لصون اللسان عن ذكرهم، فهم لا يتدبرون ما يسمعون ولا يعتبرون ما يرون وذلك لضلالهم، ولا ينطقون بما يعرفون من الحق[٥٢٧]، فالله تعالى لم يرد ذكرهم على لسانه تحقيرا لهم وتوضيحا لحالهم، فهو انفع من ذكرهم، لكي يعتبروا بهم، فذكر المسند إليه هنا ليس بذي فائدة، وطيّه أقوى للعبارة وأنفع في الأسلوب البلاغي مما يجلي لنا فائدة الحذف في تفسير النصوص القرآنية.

وهناك غايات أخرى لحذف المبتدأ (لا مجال لذكرها هنا).

أما حذف الفاعل (أو إضماره) فيعود تقديره إلى الذوق الأدبي فهو الذي يوحي بما في القول من بلاغة وحسن بيان[٥٢٨] وكثيرا ما يُحذف في الأحداث العظام والأمور الجليلة فليس هناك كبير فائدة في ذكره فالمراد توجيه الناس إلى هذه الأحداث دون الانشغال بفاعلها[٥٢٩].

وهذا ما نلحظه في قوله تعالى: ﴿ **وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا**﴾[٥٣٠]. لا يُسأل

---

[٥٢٣] الذاريات: ٢٨ــ٢٩.

[٥٢٤] ظ: مجمع البيان، الطبرسي: ٢٦١/٩+ ظ: التفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ٧١/٥.

[٥٢٥] ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٨١.

[٥٢٦] البقرة: ١٨.

[٥٢٧] ظ: التبيان، الطوسي: ٨٨/١+ ظ: مجمع البيان، الطبرسي: ٤٢٣/٦.

[٥٢٨] ظ: جواهر البلاغة، احمد الهاشمي: ١٢١.

[٥٢٩] ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٣٦٠.

[٥٣٠] الزمر: ٧١.

عن الفاعل هنا لأن الحدث عظيم ومهول وهو إظهار حال أصحاب النار، وكيف يساقون في يوم القيامة وهم جماعات متلاحقة فمن الذي يسوقهم إلى جهنم[٥٣١]، فهذا ليس مهما في ذلك الوقت، فهم في حال ضنكةٍ جزاءً لأعمالهم، فنرى أن الفاعل أضمر لأن الفعل هو الأبرز في ظهوره . وليس هناك بلاغة في ذكر الفاعل فطيّه أفضل وأكثر فائدة في جلاء تفسير المعنى البلاغي للنص.

وفي قوله تعالى: ﴿ **فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ *وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ**﴾[٥٣٢] الفاعل مضمر في قوله تعالى: ﴿ **فَغُلِبُوا**﴾ فتبيّنت أن الغلبة لله تعالى وإنها كانت بتدبيره وصنعه، وفي هذا إشارة إلى قدرة الله تعالى وبأنه الخالق المطلق وان موسى عليه السلام هو عبد من عباده يجري الله المعجزة على يديه، وفي قوله تعالى ﴿ **وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ**﴾ الفاعل مضمر أيضا للإشارة إلى سرعة امتثالهم لأمر الله تعالى، وكأنهم استجابوا لأمره ونزعوا الكفر والإلحاد من قلوبهم، فخّروا ساجدين مؤمنين بالله تعالى ونسُوا فرعون وجبروته[٥٣٣].

فالفاعل هنا لم يأتِ ذكره لأنه معلوم، فمن يفعل هذه الأمور الخارقة ويأتي بالمعجزة ويجعل السحرة الكفرة مؤمنين في لحظة واحدة، هو المدبّر المطلق الذي بيده ملكوت السموات والأرض والذي ترجع إليه الخلائق كلها، والحذف ادّى وظيفته في التفكر في عظمة الله تعالى وربوبيته وبأن الناس كلهم (مهما أوتوا من عظمة) فهم عباده وتحت سيطرته، وأيضا في هداية السحرة واستجابتهم لمشيئة الله تعالى فسجدوا طائعين لله معترفين بقدرته[٥٣٤]، ولو ذكر الفاعل لترهلت العبارة وأصبحت ليست ذا فائدة ولا تأثير مثل تأثيرها في حذفه، فيتضح لنا تأثير هذا المعلم من معالم المعاني في رسم الصورة التفسيرية للنص القرآني.

ويتضح هذا في قوله تعالى: ﴿ **كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ**﴾[٥٣٥] وقوله تعالى: ﴿ **فَلَوْلاَ إِذَا**

---

[٥٣١] **ظ: الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي: ١٦٢/١٥.**

[٥٣٢] **الاعراف: ١١٩ــ١٢٠.**

[٥٣٣] **ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٨٣.**

[٥٣٤] **ظ: علم المعاني،بسيوني عبد الفتاح:٨٣**

[٥٣٥] **القيامة: ٢٦.**

بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ﴾[٥٣٦]. لا يُسأل عن الفاعل لأنه معلوم، (فمن يبلغ التراقي أو الحلقوم عند الموت سوى الروح)[٥٣٧] لدلالة ذكر الحلقوم والتراقي عليها[٥٣٨] وحذفها هنا يؤذن بذهابها وزوالها[٥٣٩]. فنرى الفائدة البلاغية من حذف المسند إليه وان ذكره في الكلام ليس بذي فائدة لأن الكلام من دونه أبلغ وأكثر تبيانا لمعنى النص، وأوضح في إظهار مراد الله تعالى، والإضمار له تأثير في النفس لتبقى تتخيل المعنى وتتحرك نحوه برغبة أكثر مما لو ذكر مباشرة.

٢ـ حذف المسند أو تركه[٥٤٠]:

المسند: (هو الخبر والفعل التام واسم الفعل والمصدرالنائب عن الفعل)[٥٤١]. ويُحذف أحيانا من الكلام لإيجاز العبارة وامتلائها وصونها من الترهل والتمدّد وأيضا لإثارة الحس والفكر اللذين يأخذان في التفكر بالمحذوف من الكلام وإعمال الذهن فيه[٥٤٢] وحذفه لأغراض بلاغية منها:

أ ـ يحذف من الكلام تعظيما للمسند إليه، ففي قوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾**[٥٤٣] والتقدير (أن يرضوهما)[٥٤٤] لاستلزام رضا أحدهما رضا الآخر ووحّد الضمير لعدم التفاوت بين الرضاءين[٥٤٥].

فالحذف جعل رضا الله تعالى مرتبطا برضا رسول الله ﷺ وكأن رضاءيهما متوحدان، وأوجب طاعة الرسول ﷺ لأنها من طاعة الله تعالى، ولا يمكن أن يتأتى هذا

---

[٥٣٦] **الواقعة: ٨٣.**

[٥٣٧] **البرهان، الزركشي: ١٤٤/٣+ الاتقان السيوطي: ١٦٧/٢.**

[٥٣٨] **ظ: البرهان، الزركشي: ٢٦/٤.**

[٥٣٩] **ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٨٤.**

[٥٤٠] **يقال تركه لأنه ليس بأهمية المسند إليه، مختصر المعاني، التفتازاني: ٤٧.**

[٥٤١] **شرح ابن عقيل،ابن عقيل الهمداني:٢٠١+ جواهر البلاغة، احمد الهاشمي: ١٤٧.**

[٥٤٢] **ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٣٦٢.**

[٥٤٣] **التوبة: ٦٢.**

[٥٤٤] **التبيان، الطوسي: ١٧٢/١.**

[٥٤٥] **ظ: الكشاف، الزمخشري: ٢٧٦/٢+ ظ: الاشارات والتبيهات، محمد علي بن محمد الجرجاني: ٦٠.**

المعنى وبهذا الوضوح والقوة والإيجاز لو ذكر المسند[٥٤٦]، فحذفه من الكلام أعطى للنص مفهوما أقوى مما يدل على عظم منزلة الرسول ﷺ عند الله تعالى، وهذا المعنى هو الذي بينه لنا هذا المعلم من معالم المعاني في تقوية الصورة وإظهارها.

ب ـ ومن حسن حذف المسند أن الجملة مرتكزة على كلمة واحدة تسندها مثلما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلاَ فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ**﴾[٥٤٧] أي (لا فَوْت لهم) فحُذف المسند (الخبر) وبقيت كلمة واحدة (لا فوت) تقف كالطود الشامخ والحاجز المنيع الذي قضى على كل أمل لهم في التفلّت[٥٤٨]. ووقت الفزع هو أما عند الموت أو يوم البعث عند سماعهم الصيحة فلا نجاة ولا مهرب منها[٥٤٩].

والآية جاءت بشكل خطاب لإرادة العموم من القصد في تحقيق حالهم وإنها تناهت في الظهور حتى امتنع خفاؤها فهي لا تخص أحدا بل كل من يتأتى منه الرؤية داخل في هذا الخطاب[٥٥٠]. وفي الآية تهويل وتفظيع آتٍ من حذف المسند (وهو في جملة جواب الشرط) وبناء الفعل بعده للمجهول (أخذوا)[٥٥١]، وفي كلمة (لا فوت) وحذف خبرها تهويل للموقف وفزع عظيم ووقوف السامع مدهوشا حائرا كأنه ينظر إلى هذا الأمر أمامه، ولكنه مهما تخيّل فلا يمكنه الوصول إلى حقيقة ما أراده تعالى في كلامه البليغ، فنرى أن الحذف زاد الأمر رهبة وتأملا، ولو ذكر المسند لم يكن المعنى بهذه القوة والتأثير، لذا نرى تغيّر الملمح التفسيري بواسطة هذا المعلم في علم المعاني لتأثيره في تفسير مراد الله تعالى.

وهناك أغراض عديدة لحذف الخبر أو الفعل فيها لمسات بلاغية ودقائق لطيفة وأسرار الهية. لا يسع البحث لدرجها كلها[٥٥٢].

---

[٥٤٦] **ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ١٣٧ــ١٣٨.**

[٥٤٧] **سبأ: ٥١.**

[٥٤٨] **ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ١٤١.**

[٥٤٩] **ظ: الكشاف، الزمخشري: ٣/٥٧٤+ ظ: تفسير القرطبي، القرطبي: ١٤/٣١٤.**

[٥٥٠] **ظ: البرهان، الزركشي: ٢/٢١٧.**

[٥٥١] **ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ١٤١.**

[٥٥٢] **ظ: الإيضاح، القزويني: ٧٤ــ٧٨+ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٣٦٢ــ٣٧٠.**

٣ـ حذف المسند والمسند إليه:

وقد يحذف المسند والمسند إليه معا لدلالة تدل عليهما، فيكون في الحذف تأثير في معنى النص وإظهاره، ففي قوله تعالى: ﴿ **وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا**﴾[٥٥٣] أي (أنزل ربنا خيرا)[٥٥٤] فهم قد أجابوا بسرعة وأطبقوا الجواب على السؤال من دون تردّد لأنهم مقرّون بالإنزال معترفون بما أنزل الله تعالى من شرائع وأحكام تحوي كل خيرات الدنيا والآخرة، فنصبت خيرا لأنها مفعول لفعل محذوف مع فاعله[٥٥٥]، أما في قوله تعالى في جواب الجاحدين: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**﴾[٥٥٦] فهؤلاء تلعثموا في الجواب ولم يجيبوا بسرعة لأنهم متكبرون جاحدون غير مقرّين بإنزال شيء من الله تعالى[٥٥٧]، فقالوا (أساطير الأولين) بالرفع أي (هي أساطير الأولين) يقول الشيخ الطوسي (قده): (إن أساطير رفعت لأنهم جحدوا التنزيل فقالوا إنما هي أساطير الاولين، وهو أحد وجهين عنده) أما خيرا فانها نُصبت (لأنها واقعة جوابا بالسؤال فكأنهم قالوا: (أنزل ربنا خيرا) فهم قد أقروا بالتنزيل ابتهاجا بما أنزل لهم ربهم)[٥٥٨]. فالحذف في الآيتين ميّز بين المتقين والجاحدين، فالذي أجاب بسرعة ولم

---

[٥٥٣] **النحل: ٣٠.**

[٥٥٤] **التبيان، الطوسي: ٣٧٢/٦+ الكشاف، الزمخشري: ٥٧٩/٢.**

[٥٥٥] **ظ:المصدرين نفسيهما.**

[٥٥٦] **النحل: ٢٤.**

[٥٥٧] **ظ: الكشاف، الزمخشري: ٥٧٧/٢.**

[٥٥٨] **التبيان الشيخ، الطوسي: ٣٧٢/٦.**

يتردد فقد أقرّ بالانزال واعترف بنعمته تعالى وبيّن قوة إيمانه وامتثاله لأمر ربه[٥٥٩] أما الذي تردد بالجواب، وقال (أساطير الأولين) ولم يقل انها نزلت من الله فهو جاحد منكر مضلّ[٥٦٠].

ولو ذكر المحذوف لم يؤدِّ الكلام هذا المعنى البلاغي ولما ظهرت عظمة النص القرآني، فنرى أن حذف الكلمة ادّى إلى تبيان الفرق بين هؤلاء وأولئك ولذا كان الحذف انفع من الذكر، وهذا ما نتوخاه من إيضاح الفرق بين الذكر والحذف وتأثيره في معنى النصوص وهو الذي أفاده هذا الأسلوب من علم المعاني ليوصلنا إلى القول باعجاز القرآن.

٤ـ حذف المفعول:

حذف المفعول به كحذف المبتدأ والخبر والحاجة إلى حذف المفعول أمسّ، فاللطائف فيه أكثر ويظهر فيه الحسن والرونق أعجب وأظهر[٥٦١]. والمفعول لا يُحذف من الكلام إلا لأسرار بلاغية يخرج إليها المعنى، فان أريد إثبات المعنى في نفس الفاعل فلا ينظر إلى المفعول ولا يخطر على بال، ولا يُقدّر، فيتساوى مع الفعل الذي لا مفعول له (الفعل اللازم)[٥٦٢] ففي قوله تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾[٥٦٣] (أي لا يستوي من له علم ومن ليس له علم)[٥٦٤]، فلا ينظر إلى المفعول رغم كون الفعل متعديا. وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى *وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَى... وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى**﴾[٥٦٥] فمنه الإضحاك والإبكاء، والإحياء والإماتة والاغناء والاقناء. والمفعول هنا لا ينظر له، لأن التركيز على فاعل هذه الأمور وهي واقعة على البشر لا محالة، (وفي كل موضع يكون القصد فيه إثبات المعنى في نفسه والإخبار بأن من شأنه أن

---

[٥٥٩] ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ١٤٣.

[٥٦٠] ظ:م.ن: ١٤٣.

[٥٦١] ظ: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٥٣.

[٥٦٢] ظ: شرح المختصر، التفتازاني: ١٥٩/١.

[٥٦٣] الزمر: ٩.

[٥٦٤] ظ: شرح المختصر، التفتازاني: ١٥٩/١.

[٥٦٥] النجم: ٤٣ــ٤٨.

يكون منه أو لا يكون منه، فان الفعل لا يحتاج إلى مفعول لأن تعديته تنغض الغرض وتغيّر المعنى)[٥٦٦]. وتضيع فيه بهجة الكلام ورونقه[٥٦٧]،يقول السكاكي: (إن القصد في هذه الآيات الفعل نفسه بتنزيل المتعدي منزلة اللازم)[٥٦٨]. لأن المقام خطابي لا استدلالي أي أن الغرض ثبوته لفاعله من دون النظر إلى من قد يقع عليه[٥٦٩]، فالمفعول هنا غائب، ويعود حذفه لعدة دواع بلاغية منها:

أ ـ إفادة التعميم مع الاختصار: كقوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ**﴾[٥٧٠] أي يدعو جميع عباده لأن الدعوة عامة والهداية خاصة[٥٧١]. فحذف المفعول افاد التعميم بالاضافة إلى اختصار الكلام وإيجازه[٥٧٢]. ولو ذكر المفعول لم يعطِ الفائدة عينها في تعميم الكلام لكل فرد ولكان مقصورا على أحد دون آخر[٥٧٣]، فجعل دعوته تعالى إلى الجنة (إلى دار السلام) لكل من يطلبها وذلك بالتقوى والعمل الصالح في الدنيا، فالحذف ادّى غايته بالتعميم وهذا لا يكون إلا بهذا الأسلوب الذي يتضح به الأعجاز القرآني.

ب ـ البيان بعد الابهام. ويكون بعد فعل المشيئة غير المعدّاة إلى شيء إذا سبقت بأداة شرط على أن يكون المفعول عاما لا خاصا)[٥٧٤] ففي قوله تعالى: ﴿ **فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[٥٧٥] أي لو شاء هدايتكم لهداكم أجمعين[٥٧٦] ففي قوله تعالى: (لو شاء) علم السامع أن هناك شيئا عُلّقت المشيئة عليه لكنّه مبهم عنده، فان جيء بجواب الشرط صار مبيّنا له واضحا[٥٧٧] وهذا الحذف له وقع في النفس لأن الشيء إذا أبهم تطلعت النفوس إليه

---

[٥٦٦] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٥٥.

[٥٦٧] ظ: جواهر البلاغة، احمد الهاشمي: ١٢٠.

[٥٦٨] مفتاح العلوم، السكاكي: ٣٣٤.

[٥٦٩] ظ: شرح المختصر، التفتازاني: ١٦٠/١.

[٥٧٠] يونس: ٢٥.

[٥٧١] ظ: البرهان، الزركشي: ١٤٧/٣.

[٥٧٢] ظ: مختصر المعاني، التفتازاني: ١١٠.

[٥٧٣] ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ١٨٩.

[٥٧٤] البلاغة العربية في ثوبها الجديد، د. بكري شيخ أمين: ١٦٧/١.

[٥٧٥] الانعام: ١٤٩.

[٥٧٦] ظ: تلخيص المفتاح، القزويني: ٨٨+ ظ: شرح المختصر، التفتازاني: ١٦٢/١.

[٥٧٧] ظ: م .ن.

واشتاقت لمعرفته فاذا تبيّن بعد ذلك وقع في النفس موقعا حسنا وترك فيها أثرا طيبا[٥٧٨].
وهذا ما يخرج إليه علم المعاني من فائدة بلاغية، فلو ذكر المفعول لم يكن له هذا الوقع ولما تأثرت النفس به، وذكره لا يعطي المعنى نفسه ولا يجعل النفس تتطلع إلى هذا المبهم وتشتاق إلى معرفته في ولع ولهفة وترقُّب، فلا يلبث أن يقع فيها موقع الماء القراح من ذي الغلة الصادي[٥٧٩]،وكما يقول الجرجاني: (فالبلاغة تكمن في مجيء الكلام محذوفا)[٥٨٠].
ويجب التمهل في تقدير المحذوف في فعل المشيئة فلو لم يُقدّر التقدير الصحيح لأدّى عكس المعنى المراد وهذا ما ينبغي التحذ ر منه[٥٨١] وان كان المفعول امرا غريبا أو عجيبا فلا بدّ من ذكره[٥٨٢] يقول عبد القاهر: (انه كان بدعٌ عجيب فكان الأولى أن يصرّح بذكره ليقرره في نفس السامع وليؤنسه به)[٥٨٣]. وهذا ما سنذكره في ذكر المفعول إن شاء الله.

جـ ـ توفير العناية على إثبات الفعل للفاعل والدلالة على نسبته له لا أن يُعلم التباسه بمفعوله[٥٨٤]، فيحذف المفعول لتنصرف النفس إلى الغرض المذكور وتخلص له[٥٨٥]، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنْ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ**﴾[٥٨٦] حُذف المفعول في أربعة مواضع، والتقدير: (وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم وامرأتين تذودان غنمهما، وقالتا لا نسقي غنمنا، فسقى لهما غنمهما)[٥٨٧]. (فالمفعول ليس مقصودا في الإخبار، بل المقصود هو إسناد الفعل

---

[٥٧٨] ظ: دلائل الإعجاز، الجرجاني: ١٦٣ــ١٦٤.
[٥٧٩] ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٣٧٤.
[٥٨٠] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٦٤.
[٥٨١] ظ: البرهان، الزركشي: ١٤٧/٣.
[٥٨٢] ظ: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، د. بكري الشيخ أمين: ١٦٧/١.
[٥٨٣] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٦٤.
[٥٨٤] ظ: دلائل الإعجاز، الجرجاني: ١٦١.
[٥٨٥] ظ: دروس في البلاغة، معين العاملي: ٥٥.
[٥٨٦] القصص: ٢٣-٢٤.
[٥٨٧] دروس في البلاغة، معين العاملي: ٥٥.

للفاعل فقط)[٥٨٨]، وليس الغرض إظهار المفعول[٥٨٩].

فموسى عليه السلام لم يرحمهما لأن مذودهما غنم ومسقيهم إبل مثلا وكذلك في قولهما لا نسقي، فالمقصود السقي وليس المسقي (وهكذا في تقدير باقي المفعولات)[٥٩٠].

وعن الزركشي، انه لو ذكر المفعول لنقص المعنى، فالحذف أدّى إلى ظهور المراد، وهو الإعلام بأنه كان من الناس سقي ومن المرأتين ذود[٥٩١] يقول الجرجاني: (فأما ما كان المسقي غنما أم إبلا أم غير ذلك فخارج عن الغرض وموهم خلافه فلو قيل: وجد من دونهم امرأتين تذودان غنمهما جاز أن يكون لم ينكر الذود من حيث هو ذود، بل من حيث هو ذود غنم)[٥٩٢]. فحذف المفعول له من الروعة والحسن ما يؤدي إلى تغيير المعنى، وفيه فائدة جليلة لأن الغرض لا يصحّ إلا على تركه[٥٩٣]. وزعم السكاكي أن الحذف

لمجرد الاختصار[٥٩٤] والأقرب هو قول الجرجاني والزركشي ، ففي الحذف اختصار للكلام بالإضافة إلى بلاغته والمحذوف يبقى في النفس وتتأمل في تقديره من دون تأثير بالمعنى، فالحذف رسم لنا ملمحا في التفسير يختلف عمّا لو ذكر المحذوف، وفي هذا إسهام من علم المعاني في تغيير تفسير النص القرآني.

د- ومن أسباب حذف المفعول رعاية الفاصلة، كقوله تعالى: ﴿ **والضُحى* والليل إذا سجى* ما ودعَكَ ربُّكَ وما قلى**﴾[٥٩٥] (أي ما قلاك)[٥٩٦] فحُذف المفعول من الكلام تحاشيا لوقوع الفعل على ضمير المخاطب وصونه عن نسبة القلى إليه[٥٩٧]. لما في معنى القلى

---

[٥٨٨] **المعاني في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين: ٢١٣.**

[٥٨٩] **ظ: الكشاف، الزمخشري: ٣٨٨/٣.**

[٥٩٠] **ظ: المعاني في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين: ٢١٣..**

[٥٩١] **ظ: البرهان، الزركشي: ١٦٣.**

[٥٩٢] **دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٦١ــ١٦٢.**

[٥٩٣] **ظ:دلائل الاعجاز،عبدالقاهر الجرجاني: ١٦٢**

[٥٩٤] **ظ: مفتاح العلوم، السكاكي: ٣٣٤.**

[٥٩٥] **الضحى: ١ــ٣.**

[٥٩٦] **تلخيص المفتاح، القزويني: ٩٠+ مجمع البحرين، الطريحي: ٥٤٦/٣+ المعاني في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين: ٢١٦.**

[٥٩٧] **ظ: علم المعاني، د. بسيوني عبد الفتاح: ١٩١.**

من الطرد والإبعاد وشدة البغض، أما التوديع فليس فيه شيء من ذلك لذا قال تعالى (ما ودّعك) أي انه اثبت المفعول[٥٩٨]، أو يكون سبب الحذف هو التنغيم الصوتي وما فيه من قوة تأثير في النفوس عندما يقتضيه المقام ويتطلبه المعنى[٥٩٩]. لكن بعض البلاغيين لا يرتضي أن تكون الفاصلة علّه بلاغية يحذف الكلام من أجلها، بل لا بدّ من مسوّغ بلاغي وسر إلهي دعا إلى الحذف، تقول الدكتورة عائشة عبدالرحمن(بنت الشاطئ): (أما تعليل الحذف برعاية الفاصلة فليس من المقبول عندنا أن يقوم البيان القرآني على اعتبار لفظي وإنّما الحذف لمقتضى معنوي بلاغي يقوّيه الأداء اللفظي، دون أن يكون الزخرف الشكلي هو الأصل، فلو كان الحذف في سورة الضحى لرعاية الفاصلة فلماذا عدل عنه في نهاية الآيات فقال: ﴿**و أما بنِعْمَةِ رَبِّكَ فحدِّث**﴾[٦٠٠] وليس في السورة كلها ثاء فاصلة، ولِمَ لم يقل (فخبّر) لتستقيم الفواصل)[٦٠١].

والبحث يوافق الدكتورة في كلامها بأن الحذف لا يكون إلا لمقتضى بلاغي معنوي يقوّيه الأداء اللفظي، فالقرآن بلاغته معنوية بلاغية ولفظيّة فبقدر اهتمامه بالمعنى وقوته فانه يختار أقوى الألفاظ وأنسبها وأكثرها تأثيرا لدى السامع وبذلك يثبت، إعجازه. وليس التناسب في رؤوس الآيات غرضه انسجام الفواصل فقط بل وراءه معنى بلاغي يرمي إليه كلامه تعالى، وقد وردت الكثير من الآيات بهذه الصفة فيحذف جزء من الجملة أو الكلمة فتتناسب مع ما قبلها في فواصلها ولكن للحذف أيضا معنى مقصود في الآية، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿ **قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ *أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ**﴾[٦٠٢] والأصل (أو يضرونكم) مقابل ينفعونكم ولكن المفعول محذوف من قوله: (يضرونكم) فلو ذكر لم تنسجم فاصلة الآية مع ما قبلها[٦٠٣]، هذا إذا نظرنا للجانب اللفظي الشكلي فقط، لكن الحذف اقتضاه المعنى أيضا، (وهو رأي السامرائي) فيقول: (فقد ذكر مفعول النفع فقال (ينفعونكم) لأنهم يريدون النفع لأنفسهم فقط، وأطلق (الضر) لأن الإنسان

---

[٥٩٨] **ظ: التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي: ٢١٧.**

[٥٩٩] **ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ١٩١.**

[٦٠٠] **الضحى: ١١.**

[٦٠١] **التفسير البياني للقرآن، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ): ٢٤.**

[٦٠٢] **الشعراء: ٧٢ــ٧٣.**

[٦٠٣] **ظ: التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي: ٢١٧.**

لا يريد الضرر لنفسه وإنما يريده لعدوّه، ويخشى في نفس الوقت ممن يلحق به الضرر، لذا جعل النفع موطن تخصيص والضرّ موضع إطلاق، أي أن هذه الآلهة لا تتمكن من الإضرار بكم ولا بعدّوكم فلماذا تعبدونها؟ ولو ذكر المفعول لم يفد هذا المعنى)[٦٠٤].

لذلك أطلقه، وحذف المفعول منه للمعنى المقصود ولرعاية الفاصلة[٦٠٥] وهذا رأي سديد فالحذف لا يكون إلا لمعنى بلاغي يقتضيه سياق الآية ومراد الله تعالى بالإضافة إلى الشكل اللفظي وفواصل الآيات.

وهناك أغراض أخرى لحذف المفعول لا مجال لذكرها منها دفع توهم إرادة غير المراد، أو التحرز عن مواجهة الممدوح أو التأدب في الحديث أو الاختصار أو غيرها[٦٠٦] وكلها لا يُحذف منها المفعول إلا لغاية بلاغية وغرض يخرج إليه هذا الحذف، لذا يتضح لنا أن الحذف (أو الغياب) له كبير الأثر في معنى النصوص وتفسيرها وتغيير الملمح القرآني بسببها، ويتوضح فيها ما لعلم المعاني وأساليبه في رسم وتغيير الملامح التفسيرية للنصوص القرآنية.

ثانيا: الذكر (الحضور)

١ـ ذكر المسند إليه:

المسند إليه الأصل فيه الذكر، كقوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾[٦٠٧] ولا ينبغي العدول عنه إلا لقرينة ترجّح الحذف[٦٠٨]، كما مرّ بنا كسياق الآية أو ذكر المحذوف في سياق الكلام (والذكر لا يستغني عنه الكلام لأن ذلك يوقع في اللبس والايهام)[٦٠٩]. ويرجّح ذكر المسند إليه لغايات منها:

أ ـ زيادة الإيضاح أو التقرير: كقوله تعالى: ﴿ **أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمْ**

---

(٦٠٤) م.ن.: ٢١٩.

(٦٠٥) ظ: م.ن.

(٦٠٦) ظ: المعاني في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين: ٢١٤ــ٢١٦+ ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٣٧٠ــ٣٨٢.

(٦٠٧) البقرة: ٢٥٧.

(٦٠٨) ظ: علم المعاني، عبد العزيز عتيق: ١١٣.

(٦٠٩) البلاغة من منابعها، د. محمد هيثم غرة: ٨٩.

الْمُفْلِحُونَ﴾[٦١٠] (وصف الله تعالى المؤمنين بأوصاف عظيمة وأعقبها باسم الإشارة (أولئك) ليعلو النظم ويسمو)[٦١١] فكما ثبت لهم الاستئثار بالهدى ثبت لهم الاستئثار بالفلاح[٦١٢].

ففي تكرار اسم الإشارة (أولئك) (وهو محل الشاهد) زيادة إيضاح وتقرير، ليميّزهم بالشرف عن غيرهم[٦١٣]، ويمكن حذفها من الكلام، لكن ذكرها له غرض بلاغي في زيادة الإيضاح والتقرير والتأكيد، بأن هؤلاء هم من سيفوز بنعيم الدنيا والآخرة، وأما (أولئك) الأولى فلا يمكن حذفها لأنه إخلال بالمعنى[٦١٤]. فالذكر له أثر في تفسير النص، للوصول الى المعنى المراد.

ب ـ ويذكر المسند إليه لبسط الكلام والإطناب فيه، حيث يكون إصغاء السامع مطلوبا لجلال قدره أو قربه من قلب المتكلم، فيطال الكلام معه تلذذا بسماعه وتشرفا بخطابه وانتفاعا بكلامه[٦١٥]. ففي قوله تعالى: ﴿ **وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى *قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى**﴾[٦١٦] وكان يكفيه أن يقول: عصا ، (والله أعلم ما في يده) لكنه ذكر المسند إليه (هي) لبسط الكلام ورغبته في إطالة الحديث في مناجاة ربه ليزداد شرفا وفضلا[٦١٧]. وان في ذكر المسند إليه بلاغة (لأنه تعالى يؤكد له إنها هي عصاك فلا تخف منها إذا حوّلتها إلى شيء آخر)، وأطال ﷺ في ذكر صفاتها[٦١٨]، لأنه كما يقول الزركشي: (فهم إن السؤال يعقبه أمر عظيم يحدثه تعالى في العصا فينبغي أن ينبّه لصفاتها)[٦١٩]. ولو حُذف المسند إليه (هي) لتُوهم أن

---

[٦١٠] البقرة: ٥.

[٦١١] من بلاغة النظم العربي، د. عبد العزيز عرفة: ١٣٥.

[٦١٢] ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٣٤٤.

[٦١٣] ظ :اساليب المعاني،جعفرالحسيني:٣٤٤ .

[٦١٤] ظ: البلاغة من منابعها، د. محمد هيثم غرّة: ٨٩ (الهامش).

[٦١٥] ظ: علم المعاني، عبد العزيز عتيق: ١١٤.

[٦١٦] طه: ١٧ــ١٨.

[٦١٧] ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٣٤٥.

[٦١٨] ظ: شرح المختصر، التفتازاني: ٦٨+ ظ: البليغ في المعاني والبيان والبديع، الشيرازي: ٥٧.

[٦١٩] البرهان، الزركشي: ٤/٤٥.

(عصاي) هي المبتدأ وما بعدها خبر لها ولا يؤدي المعنى المطلوب في الآية[٦٢٠]، فنرى أن الحذف في مورده له معنى بلاغي لا يُستغنى عنه والذكر أيضا له هذا المعنى ولا يمكن حذفه من الكلام مما يؤكد فائدة حضوره في تفسير النص القرآني.

وهناك أغراض أخرى لذكر المسند إليه لا تقلّ بلاغتها عن بلاغة حذفه، (ولا مجال هنا لحصرها كلها)[٦٢١]

٢ـ ذكر المسند:

أ ـ يذكر المسند في الكلام إن كان هو الأصل ولا مقتضى للعدول عنه كما في قوله تعالى: ﴿ **الرِّجَالُ قوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**﴾[٦٢٢] أي هم من يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا، فلو حذف المسند لا يفهم معنى الكلام وليس هناك ما يدل عليه[٦٢٣].فذكره ضروري في الكلام ومن ذلك تتبين بلاغة الذكر، وهي أحد وجوه الأعجاز.

ب ـ ويُذكر المسند للتعريض بجهل السامع (أو المخاطب) وقصور فهمه كما في جواب ابراهيم عليه السلام حينما سأله قومه، قال تعالى: ﴿ **أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ *قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا**﴾[٦٢٤] ذكر المسند (فعله) تنبيها لغباوتهم وقصور فهمهم وضعف عقولهم[٦٢٥]. ولو حُذف الفعل وكان الجواب (بل كبيرهم) لكان جوابا صحيحا ولكنه أراد التعريض بجهل هؤلاء السائلين والتهكم من غباءهم فلو لم يكونوا كذلك لما اعتقدوا أنها آلهة، ولو كانت تضرّ أو تنفع لدافعت عن نفسها، ففي ذكر المسند تعريض بعدم فهمهم وسوء تفكيرهم وضعف اعتقادهم[٦٢٦]، فالذكر هنا أنسب من الحذف لما فيه من فائدة

---

[٦٢٠] ظ: الاشارات والتنبيهات، محمد علي الجرجاني: ٣٨ــ٣٩.

[٦٢١] ظ: من بلاغة النظم العربي، عبد العزيز عرفة: ١٣٣ــ١٣٧+ ظ: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، د. بكري شيخ أمين: ١٣٢ــ١٣٣.

[٦٢٢] النساء: ٣٤.

[٦٢٣] ظ: الكشاف، الزمخشري: ٤٩٥/١+ ظ: تفسير غريب القرآن، الشيخ الطريحي: ٥١٨.

[٦٢٤] الانبياء: ٦٢ــ٦٣.

[٦٢٥] ظ: البليغ في المعاني والبيان والبديع، الشيرازي: ٩٣.

[٦٢٦] ظ: البلاغة من منابعها، د. محمد هيثم غرّة: ٩١.

بلاغية وتأثير في تفسير النص زيادة إلى ما أفاده في تبيان غباوة المخاطب وجهله.

جـ ـ ويذكر المسند لإفادة تخصيصه بالمسند إليه، ففي قوله تعالى: ﴿ **لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[٦٢٧]، ذكر المسند (لهم في الآخرة) (دلالة على انهم هم المعنيون بالخزي والعذاب في الدنيا والآخرة)[٦٢٨]، فهم يستحقون العذاب كما استحقوا الهوان والذلّ في الآخرة[٦٢٩]، وهذا بسبب منعهم من ذكر اسم الله في مساجده وسعيهم في خرابها[٦٣٠]. فذكر المسند هنا أفاد التخصيص بالمسند إليه (عذاب) فهم من يستحق العذاب وسوف يلقونه في الدنيا والآخرة ولا يأتي المعنى نفسه لو حذف المسند ولم يكن التخصيص عليهم وتوكيده بهم.

ولذكر المسند أغراض أخرى منها: ضعف القرينة وإفادة التجدد أو الثبوت كقوله تعالى: ﴿ **يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ**﴾[٦٣١] وغيرها من أسباب الذكر[٦٣٢].

٣ـ ذكر المفعول:

لذكر المفعول غايات بلاغية أيضا منها: وقوع الفعل علية كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَنجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يذبحّون أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ**﴾[٦٣٣] فالمراد (إفادة وقوع الفعل (يسومون) على المفعول (كم) والفعل (يذبحون) على المفعول (أبناءكم) والفعل (يستحيون) على المفعول (نساءكم))[٦٣٤]، فذكره ذو فائدة في تبيان على من وقع الفعل وبأن آل فرعون كانوا يؤذونكم أنتم بالخصوص وقد نجاكم الله منهم بنعمته ورحمته.

ويُذكر المفعول أن كان فعله للمشيئة وكان أمرا غريبا فالأحسن إظهاره وليس

---

[٦٢٧] **البقرة: ١١٤.**

[٦٢٨] **جامع البيان، الطبري: ٦٩٥/١+ تفسير الرازي، الرازي: ٢١١/١.**

[٦٢٩] **ظ: البلاغة من منابعها، د. محمد هيثم غرّة: ٩٢.**

[٦٣٠] **ظ: تفسير الرازي، الرازي: ٢١١/١.**

[٦٣١] **النساء: ١٤٢.**

[٦٣٢] **ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٣٦٠ــ٣٦٢+ ظ: البلاغة من منابعها، د. محمد هيثم غرّة: ٩١ــ٩٢.**

[٦٣٣] **البقرة: ٤٩.**

[٦٣٤] **البلاغة من منابعها، د. محمد هيثم غرّة: ٩٢.**

إضماره لأن في حذفه لا يظهر المعنى المراد، ففي قوله تعالى: ﴿ **لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ**﴾[٦٣٥]. فاتخاذ الله ولدا أمر غريب، لهذا ذكر المفعول بعد فعل الإرادة[٦٣٦].

وفي ذكره تعظيم لجرم قائليه، فقد قالوا أن لله ولدا[٦٣٧] فقد قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال المشركون الملائكة بنات الله، (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا)[٦٣٨]، وذكر المفعول هنا زجر لهؤلاء وقد جاء بحرف الشرط (لو) وهو حرف امتناع لامتناع دلالة على إنكار هذا الأمر وبأنه تعالى: ﴿ **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ**﴾[٦٣٩] وهو منزّه عن أحوال البشر وهم كلهم من خلقه وعباده.

وذكر المفعول ليس مقصورا على كونه غريبا فقد ذكر في بعض الآيات ولم يكن شيئا مستغربا ففي قوله تعالى: ﴿ **لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ**﴾[٦٤٠] وقوله: ﴿ **لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ** ﴾[٦٤١] وهذا ما ذكره الزركشي عن أبي حيان[٦٤٢].

ويُذكر مفعول المشيئة إذا احتيج لعود الضمير عليه ففي قوله تعالى: ﴿ **لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ**﴾[٦٤٣] فلو حذف المفعول (لهوا) لم يبق للضمير في (اتخذناه) ما يعود عليه فيجب إظهاره[٦٤٤].

فذكر المفعول أن كان أبلغ في الكلام فيذكر حتى لو تمّ المعنى بحذفه وان كان ذكره يؤثر على بلاغة الكلام وقوته فيحذف، فنرى أن أساليب الحذف والذكر متنوعة في آياته تعالى ولا تنطبق عليها قاعدة معينة بل يكون حذف الكلمات أو ذكرها حسب ما يقتضيه

---

[٦٣٥] **الزمر: ٤.**

[٦٣٦] **ظ: من بلاغة النظم العربي، د. عبد العزيز عرفة: ٢٧٦.**

[٦٣٧] **ظ: البرهان، الزركشي: ٣/١٧٠.**

[٦٣٨] **ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ١٨٦.**

[٦٣٩] **الاخلاص: ٣.**

[٦٤٠] **التكوير: ٢٨.**

[٦٤١] **المدثر: ٣٧.**

[٦٤٢] **ظ: البرهان ،الزركشي: ٣/١٧٠.**

[٦٤٣] **الانبياء: ١٧.**

[٦٤٤] **ظ: البرهان، الزركشي: ٣/١٧٠.**

المقام وحسب الفائدة البلاغية المتوخاة من كل منهما، فالكلام لا يحذف إلا لسرّ أراده الله تعالى من حذفه ولا يُذكر إلا لفائدة وضعها فيه وهذا ما أدّى إلى اعجاز كلامه تعالى الذي لا يستطيع البشر الارتقاء إليه مهما بلغ من البيان والفصاحة، وقد حاول البحث الاشارة إلى الملامح التي يخرج إليها أسلوب الحذف والذكر (أوالغياب و الحضور) وأغراضها لأجل توضيح أثر أساليب علم المعاني في تفسير النصوص القرآنية ورسم ملامحها البلاغية.

المبحث الثالث
السمة التفسيرية المتخصصة بدلالات مباني المعاني

المبنى هو السياق الذي قامت عليه المعاني، وإن هذا السياق قد توزع بين:

التقديم والتأخير
والخبر والإنشاء

التقديم والتأخير وأثرهما في التفسير:

هما معلمان من معالم البلاغة يخفيان وراءهما أسرارا ومزايا بلاغية وفيهما تظهر مزيّة الكلام، ويعلو بهما أسلوب على أسلوب ويبدو بهما الإعجاز[٦٤٥]. وقد بلغ القرآن الكريم الذروة في هذا الفن، فوضع الكلمات في موضعها المناسب مع مراعاة السياق العام، فجاء التعبير متناسقا وكأنه لوحة فنية متكاملة[٦٤٦] ولم يقدّم لفظ في القرآن أو يؤخّر إلا لمعنى مقصود، وسر بلاغي مكنون فيه.

ومرادنا هو البحث في توجيه دلالة الآية القرآنية تفسيريا، ولم تكن هذه الدلالة لتتم إلا بهذا الأسلوب البديع، فنجد الإعجاز القرآني في كل منحى من مناحي النص القرآني[٦٤٧]، فكانت البلاغة وسيلة لخدمة هذه الغاية الجليلة.

أولا: التقديم: له تأثير واضح في نفس السامع من حيث التمهيد والتشويق لما سيأتي بعده، ولما فيه من إصابة للغرض بالتعبير المناسب (فالإعلام عن الشيء بغتة ليس مثل الإعلام به بعد تمهيد وتقدمه)[٦٤٨]، فلا يخفى ما في قوله تعالى: ﴿ **فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ**﴾[٦٤٩] من التأثير النفسي، لا نجدها لو قيل: فان الأبصار لا تعمى، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**﴾[٦٥٠] ما فيها من القوة في نفي الفلاح عن الكافرين لا يكون

---

[٦٤٥] **ظ: عبد القاهر وجهوده في البلاغة العربية، احمد بدوي: ١٣٩.**

[٦٤٦] **ظ: التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي: ٥٣.**

[٦٤٧] **ظ: أثر البواعث في تكوين الدلالة البيانية، د. صباح عنوز: ١٦.**

[٦٤٨] **دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٣٢.**

[٦٤٩] **الحج: ٤٦.**

[٦٥٠] **المؤمنون: ١١٧.**

لو قيل (إن الكافرين لا يفلحون)، لأن الحكم على الكافرين جاء بعد تقدمة وتنبيه، فحصل تشويق وإثارة في النفس[٦٥١]وسنرى هذا عند دراستنا:

١ـ تقديم المسند إليه وأثره في التفسير:

يقدّم المسند إليه لأغراض بلاغية تؤثر في تفسير النص ومعناه، منها[٦٥٢]:

أ ـ إن كان هو الأصل ولا مقتضى للعدول عنه[٦٥٣]، ففي قوله تعالى: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّـهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ**﴾[٦٥٤] خصَّ محمد ﷺ بالرسالة فلزم حضوره قبل الحكم عليه[٦٥٥]، وفيها تأكيد على رسالة النبي محمد ﷺ وأفادنا التقديم في التأكيد على المتقدم والاهتمام به حيث لا عدول عنه، ومن ثم فقد أفاد في توجيه دلالة النص القرآني التفسيرية وذلك بتعظيم ذكر اسم الرسول ﷺ مقدما..

ب ـ التشويق إلى الكلام المتأخر والمسند إليه هو الأصل:

في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[٦٥٦] فالناس يتشوقون لمعرفة من أكرم عند الله وهم يحسبون أن الكرم هو البذل والعطاء فجاء كلامه تعالى ليخبرهم أن الكرم هو التقوى عن المعاصي، والعمل بطاعته تعالى وعبادته[٦٥٧]، فتقديم اسم التفضيل شوّق المخاطب لمعرفة من هو أكرم عند الله، وتبقى نفسه متأملة لذلك الكريم الذي فُضّل عنده تعالى، وعند مجيء الخبر التذت النفس به لأنه جاء بعد تشويق ورغبة فعن النبي ﷺ : (من سرّه أن يكون أكرم الناس فليتق الله)[٦٥٨] وعن مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام :

---

[٦٥١] **ظ: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٣٢ــ١٣٣.**

[٦٥٢] **ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ١٢٠.**

[٦٥٣] **ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٣٠٨.**

[٦٥٤] **الفتح: ٢٩.**

[٦٥٥] **ظ: مجمع البيان، الطبرسي: ٢٠٨/٩+ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٣٠٨.**

[٦٥٦] **الحجرات: ١٣.**

[٦٥٧] **ظ: التبيان، الطوسي: ٣٤٧/٩+ظ: مجمع البيان، الطبرسي: ١٢٣/٩.**

[٦٥٨] **مشكاة الانوار،علي الطبرسي :٥٢ .**

(إن تقوى الله مفتاح سداد وذخيرة معاد وعتق من كل ملكة ونجاة من كل هلكة)[٦٥٩] فالتقديم أثّر في إظهار معنى النص وصورته التفسيرية وتبيان مراد الله تعالى.

جـ ـ ويقدّم المسند إليه أن كان شيئا مستغربا لمجيئه على خلاف العادة، ففي قوله: ﴿ **وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنْ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ**﴾[٦٦٠] (يوزعون أي يحبسون)[٦٦١]، وعند القمي(ت٣٢٩هـ) عن الباقر عليه السلام (يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا)[٦٦٢]، وقُدّم الضمير (هم) على الخبر لغرابته في اجتماع الإنس والجن والطير في مكان واحد واقتضى توكيده حتى تأنس النفوس به ويتقرّر لديها، ولو قيل (يوزعون) لما كان التركيب ملائما لحال النفس المتلقية[٦٦٣]. فتقديم الضمير أفاد في تهيئة الذهن لاستقبال هذا الخبر الغريب وتصور كيفية حشرهم مما يجعله متقبلا لهذا الأمر، فأثر تقديم المسند إليه (وهو من أساليب علم المعاني) في تفسير النص ومعناه وتخيّل هذا الأمر الغريب وتقبله.

د ـ ويقدّم المسند إليه على الخبر الفعلي والكلام مثبت لتقوية الحكم وتقريره وتوكيده. ففي قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ**﴾[٦٦٤] قُدِّم الضمير (هم) تأكيدا لاتحاد حالهم بالكفر، أي أنهم قد دخلوا بالكفر وخرجوا وهم على حالهم من الكفر[٦٦٥]، فالتقديم أفاد في تقوية الحكم وتقريره، ولو لم يُقدم الضمير وقال: (وقد خرجوا به)، لم يفِد التأكيد والتقوية التي أحدثها تقديمه [٦٦٦]. والتقديم أثبت الفعل للفاعل ودفع الشك عنه، فالله تعالى يؤكد أنهم هم من خرج بالكفر أي أنفسهم الذين دخلوا به وفي ذلك تقرير لحال مصيرهم الذي سينالونه جزاء كفرهم وثبوتهم عليه، وعلل الجرجاني

---

[٦٥٩] نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٥/١٣.

[٦٦٠] النمل: ١٧.

[٦٦١] تاج العروس، الزبيدي: ٥٠٨/١١.

[٦٦٢] تفسير القمي، القمي (علي بن إبراهيم): ١٢٧/٢.

[٦٦٣] ظ: خصائص التراكيب، محمد أبو موسى: ١٧٤ــ١٧٥.

[٦٦٤] المائدة: ٦١.

[٦٦٥] ظ: الكشاف، الزمخشري: ٦٤٠/١.

[٦٦٦] ظ:فن البلاغة، د. عبد القادر حسين: ١٠٤.

سبب افادة التوكيد هو أن التقديم للشيء افضل من مجيئه بغتة[٦٦٧]، بينما علله السكاكي بتكرار الاسناد (وهذا تعليل نحوي) بأن الفعل اسند مرة إلى الفاعل، ومرة بإسناد الجملة إلى الضمير المتقدم فالتكرار هو منشأ التوكيد[٦٦٨]، والبحث يرى أن في رأي الجرجاني تعبيرا بلاغيا مؤثرا أكثر مما لو عُلل السبب بالناحية النحوية، لذا فهو يميل إلى رأي الجرجاني.

وما أراد أن يخرج به البحث هو أثر هذا التقديم في معنى النص وتفسيره وهو ما توصل إليه عبر هذا الأسلوب الذي أفاد تقوية الحكم، ولم يكن ليتقوّى إلا به، وهو الذي أفدناه من علم المعاني.

وهناك مسوّغات أخرى للتقديم لا يسع البحث ذكرها، والمهم هو تأثيرها في رسم الملامح التفسيرية للنصوص القرآنية ومعانيها.

٢ـ تقديم المسند وأثره في التفسير:

يُقدّم المسند لأغراض بلاغية تؤثر في معنى النصوص القرآنية وتفسيرها ، منها:

أ ـ التخصيص أو القصر (أي قصر المسند إليه على المسند) لا يتجاوزه إلى غيره[٦٦٩] كقوله تعالى: ﴿ **بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ *لاَ فِيهَا غَوْلٌ* وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ***﴾[٦٧٠] ففي قوله تعالى عن خمور الجنة (لا فيها غولٌ) (أي أن خمر الجنة لا يغتال العقول، وليس فيه ما في خمر الدنيا من أضرار)[٦٧١].قُدّم الظرف (لا فيها) لقصر الغول على اتصافه بخمر الدنيا فلا يتجاوزه إلى خمر الجنة أو قصر عدم الغول على اتصافه بحصوله في خمور الجنة فلا يتجاوزها إلى عدم الحصول في غيرها[٦٧٢]. ولو لم

---

[٦٦٧] ظ: دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٣٢.

[٦٦٨] ظ: مفتاح العلوم، السكاكي: ٣٢٦.

(١)ظ: الإيضاح، القزويني: ٨٧.

(٢)الصافات:٤٦-٤٧

*.الغول:الافساد او الوجع في البطن

* ينزفون: ذهاب العقول بالسكر، مجمع البيان، الطبرسي: ٣٠٥/٨.

[٦٧١] تفسير الميزان، السيد الطباطبائي: ١٢٨/١٧.

[٦٧٢] ظ: الحاشية على الكشاف، الشريف الجرجاني: ١١٥.

يقدّم المسند (الظرف) أي قيل (لا غول فيها) لأفاد مجرد نفي الغول عن خمر الجنة دون التعرض لخمور الدنيا[٦٧٣]. كما قال تعالى في سورة البقرة ﴿ **ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ**﴾[٦٧٤] فان الظرف لم يُقدّم، لأنه إن تقدم أشعر بأن هناك كتابا غيره فيه ريب، وهذا تشكيك بالكتب المقدسة النازلة كلها من الله تعالى، لذلك انتفى التقديم[٦٧٥]،

أما في الآية المتقدمة، فان عدم الغول يشمل خمر الجنة فقط، لذا قُدّم الظرف[٦٧٦]، فنجد أثر التقديم واضحا في تبيان معنى النص وتفسيره مما يتوضّح اثر علم المعاني فيه.

ب ـ ويُقدّم المسند للتشويق إلى ذكر المسند إليه، فان ذكر الشيء بعد تقدمة وتنبيه ليس كذكره بغتة[٦٧٧]، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[٦٧٨]، الآية العلامة[٦٧٩] والدليل الواضح[٦٨٠]. فالتفكر بدلائل الله وعظمته في خلق السماوات والأرض وجعل الليل والنهار مختلفين، بل واختلاف كل منهما عن نفسه، فتارة بارد وتارة حار وتارة قصير وتارة طويل، فكلها علامات وأدلة على وجود الله وعظمة خلقه ويتفكر بها من له بصيرة وعقل، (وسمي العقل لبّا لأنه أشرف وأخص ما في الإنسان)[٦٨١] وقدّم الخبر: (في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار) ليتشوق السامع في التفكر من الهدف من هذا الخلق العظيم واختلافه عن بعضه ولم يكن المعنى لياتي بهذه القوة وبهذا الربط لو لم يتقدّم الخبر، وذكر المسند إليه بعد التشويق والتقدمه يكون ألذ للنفس وأنفع في تركيز المعنى لديها. وهذا ما افادنا به التقديم الذي سوّغه لنا علم المعاني لأجل إعطاء صورة واضحة لمراد الله تعالى ولأجل أن يتفكر بها أولوا الألباب. (وهناك أغراض عديدة لتقديم المسند لا يسع

---

[٦٧٣] **ظ: البرهان، الزركشي: ٢٧٣/٣.**

[٦٧٤] **البقرة: ٢.**

[٦٧٥] **ظ: تفسير الآلوسي: ١٠٧/١+ ظ: تفسير كنز الدقائق، الميرزا محمد المشهداني: ٧٨/١.**

[٦٧٦] **ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٣٢٧.**

[٦٧٧] **ظ: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٣٢.**

[٦٧٨] **آل عمران: ١٩٠.**

[٦٧٩] **أضواء البيان، الشنقيطي: ٥/١.**

[٦٨٠] **جوامع الجامع، الطبرسي: ٢٦٠/١.**

[٦٨١] **ظ: زبدة البيان، المحقق الاردبيلي: ١٣٧.**

المجال لذكرها)[٦٨٢].

٣ـ تقديم المفعول به وأثره في التفسير:

الاصل في المفعول أن يلي فعله لأنه تابع له ومتعلق به[٦٨٣] ولا يتقدمه إلا لغاية فنية وغرض معنوي، ومن هذه الأغراض:

أ ـ إفادة التخصيص، (والتخصيص يلازم التقديم دائما)[٦٨٤]، ففي قوله تعالى على لسان العبد: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾[٦٨٥] قُدّم الضمير (المفعول به) (اياك) (لإرادة قصر العبادة عليه وحده والاستعانة به لا بغيره)[٦٨٦] (فالعبادة والاستعانة متلازمتان فعبادته استعانة والاستعانة به عبادة)[٦٨٧] وهما مختصتان بالضمير المتقدم[٦٨٨]، فتقدمه عن الفعل وانفصاله أفاد الحصر[٦٨٩]. وهذا المعنى لم يكن ليتم لو تأخر المفعول فلا يكون في الكلام تخصيص أو حصر، وهذا ما نراه في الآية التالية: (اهدِنا الصراط المستقيم) فالمفعول لم يُقدّم لأن الهداية لا يصح فيها الاختصاص والحصر، فهي لا تخصّ فردا واحدا بل تعم جميع العباد، فلا نقول: اللهم أهدِني وحدي ولا تهدِ أحدا غيري مثلما تختص العبادة والاستعانة بالله وحده، والهداية مثل الرزق والعافية، فالعبد يسأل ربه أن يرزقه ويعافيه مثلما يسأله أن يهديه[٦٩٠]. فالتقديم قصر العبادة والاستعانة على الله وحده وهذا ما أفاده أسلوب التقديم الذي لوّح به علم المعاني في إفادة إعطاء النص القوة والمتانة وتخصيص الفعل بالمفعول وقصره عليه.

ب ـ تقديم المفعول للعناية والاهتمام بالمتقدم: (والاهتمام هنا لسبب بلاغي)[٦٩١]

---

[٦٨٢] ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٣٢٦-٣٣٣

(٦).ظ:شرح ابن عقيل،ابن عقيل الهمداني:١/٥٣٣

[٦٨٤] البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري شيخ أمين: ١٧١.

[٦٨٥] الفاتحة: ٥ــ٦.

[٦٨٦] تفسير سورة الحمد، السيد محمد باقر الحكيم: ١٥٢.

[٦٨٧] مواهب الرحمن، السيد عبد الاعلى السبزواري: ١/٣٩.

[٦٨٨] ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٣٣٥.

[٦٨٩] ظ: مواهب الرحمن، السبزواري: ١/٣٤.

[٦٩٠] ظ: التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي: ٤٩ــ٥٠.

[٦٩١] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٠٨.

كقولـه تعـالى: ﴿ **فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ**﴾[٦٩٢]، حاصبا (الريح العاصفة فيها حصى صغيرة)[٦٩٣] والتي نزلت على قوم لوط عقابا لهم[٦٩٤]، قال تعالى: ﴿ **سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا**﴾[٦٩٥] أما الصيحة فهي الصيحة السماوية نتيجة الصاعقة التي تقترن مع الزلزلة في زمان الوقوع[٦٩٦] أو هو العذاب النازل على مدين وثمود[٦٩٧]. لقوله تعالى: ﴿ **وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾[٦٩٨].

فقدّم المفعول (كلا) للدلالة على أن لكل منهم عقابه، والله يعاقب كل أمة بما تستحقه من العذاب بتكذيبهم الرسل[٦٩٩]. ولو قيل (أخذناهم بذنبهم) لم يتأتَ المعنى المقصود في الآية ولم يتّضح هذا التفصيل في أن لكل أمة عذابا يختلف عن عذاب غيرها، فالتقديم أدّى مهمته في الاهتمام بالأمر المتقدم وأفاد التفصيل في توضيح العقوبة الإلهية لكل من يظلم، فاثر التقديم واضح في تفسير مراد الله تعالى من الآية وهو ما يبتغيه البحث.

جـ ـ ويقدم المفعول رعاية للفاصلة، كقوله تعالى: ﴿ **وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**﴾[٧٠٠]، العرجون (طلع النخل، وهو مثل الهلال في أول طلوعه)[٧٠١]، وقيل هو العذق اليابس المقوس، والقديم الذي أشرف على الحول[٧٠٢].

قُدم المفعول (القمر) رعاية للفاصلة ونظم الكلام وسياقه ليتناسق مع الآية التي قبلها: ﴿ **وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾[٧٠٣] فقد قُدّمت الشمس فيها، لذا

---

[٦٩٢] **العنكبوت: ٤٠.**

[٦٩٣] **التبيان، الطوسي: ٥٨/٨+ مجمع البيان، الطبرسي: ٢٤/٨.**

[٦٩٤] **ظ: مجمع البيان، الطبرسي: ٢٥/٨.**

[٦٩٥] **الحاقة: ٧.**

[٦٩٦] **ظ: الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي: ٣٨٦/١٢.**

[٦٩٧] **ظ: التفسير الاصفى، الفيض الكاشاني: ٩٤٦/٢.**

[٦٩٨] **هود: ٦٧.**

[٦٩٩] **ظ: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض: ٢٠٩/٢.**

[٧٠٠] **يس: ٣٩.**

[٧٠١] **تفسير القمي،القمي: ٢١٥/٢.**

[٧٠٢] **ظ: التبيان، الطوسي: ٤٥٨/٨+ ظ: جامع البيان، الطبري: ٨/٢٣.**

[٧٠٣] **يس: ٣٨.**

قُدّم القمر وبالإضافة إلى الفاصلة فتقديم القمر له عناية في إظهاره والاهتمام به كالاهتمام بالشمس فإنهما الاثنان من دلائل عظمة الله تعالى وإعجاز خلقه، والقمر أعجب من الشمس في مسيره في منازله (وهي ثمانية وعشرون منزلا وفي كل ليلة ينزل في واحد من هذه المنازل ليكتمل مسيره لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه)[٧٠٤] فيظهر بأشكال وأحجام مختلفة وهذا من أسرار خلقة الله تعالى ليكون آية لذوي الألباب.

فالتقديم له دور بارز في إيصال مراد الله تعالى إلى الخلق، ولو قيل قدرنا القمر منازل لم يكن هذا الاهتمام بالقمر ومنازله وأشكاله، وهذا التقديم هو ما أفادنا به علم المعاني الذي رسم لنا هذا المعلم. وقرّر أن هذا التقديم لا يحصل إلا لغرض بلاغي في النص، وفي هذا يثبت إعجاز قوله تعالى: فهو لم يقدّم لفظ أو يؤخّره إلا لهدف وقصد يرمي اليه من خلال تقديمه أو تأخيره، لأجل جلاء مراده تعالى وإيصالنا إلى الحقيقة المبتغاة في التعرف على أسرار أعجاز كتابه الكريم.

٤ـ تقديم متعلقات الفعل وأثرها في التفسير:

متعلقات الفعل (كالفاعل والمفعول والظرف) قد تقدّم على بعضها لأغراض بلاغية لطيفة يتقوّى بها المعنى ويتضح، وقد مُلأ القرآن الكريم بهذا النوع من التقديم، وفي تقديمها تأثير نفسي عميق لدى المخاطب لأجل تثبيت معنى معيّن في نفسه كما نرى في قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾[٧٠٥] ففي قوله تعالى: ﴿ **شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾ لم يُقدّم الجار والمجرور لأن الغرض إثبات شهادتهم على الأمم دون اختصاصهم بها وحدهم أما في قوله تعالى: ﴿ **عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ فقدّم الجار والمجرور على خبر كان لأن الغرض إفادة اختصاصهم بكون الرسول ﷺ شهيدا عليهم وحدهم وليس مجرد إثبات الشهادة[٧٠٦] فالتقديم أفاد اختصاص الرسول بهم وحدهم ليكون شهيدا عليهم، فهو الشاهد على العادلين في أمته في يوم القيامة،و لو لم يقدّم الظرف لكان الرسول يشهد عليهم وعلى غيرهم وهذا ليس مراد

---

[٧٠٤] **الكشاف، الزمخشري: ١٦/٤.**

[٧٠٥] **البقرة: ١٤٣.**

[٧٠٦] **ظ: مفتاح العلوم، السكاكي: ٣٤٠.**

الله تعالى من الآية الكريمة، فبذلك برز لنا دور التقديم في تبيان ملامح النص التفسيري واتضح أكثر في مقارنته مع ما لا تقديم فيه وهو: الفائدة البلاغية المؤثرة في تفسير النص القرآني والتي أفادنا بها علم المعاني بطريق من طرقه إلا وهو التقديم.

وهناك أغراض عديدة للتقديم منها:

أ ـ كون ذكر المتقدم أهم والعناية به اتمّ كاعتناء المتكلم أو السامع بما يتعلق به الفعل أكثر من تعلقه بالفاعل مثلا[٧٠٧]. وقد أخذ هذا النوع من التقديم مأخذا كبيرا في الدراسات النفسية الأدبية لارتباطه ارتباطا وثيقا بانفعالات النفس وما تستلذ وترتاح له وهذا يرتبط بالمعاني التي يبتغيها المنشئ فيكون ذلك المعنى منظما ملائما للنفس وأحوالها[٧٠٨]. ففي قوله تعالى في الآيتين الكريمتين: ﴿ **وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**﴾[٧٠٩] وقوله: ﴿ **وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ**﴾[٧١٠] في الآيتين الصورتان متشابهتان في منع قتل الأولاد بسبب الإملاق (الفقر والفاقة)[٧١١] وعند التمعّن فيها نجد أن الضمائر مختلفة في التقديم لسبب بلاغي، ففي الآية الأولى (نرزقكم وإياهم) قُدّم ضمير الخطاب على ضمير الغائبين. لأنه خطاب للفقراء بدليل قوله تعالى (من إملاق) لأنهم يقتلون أولادهم بسبب الفقر، فرزقهم عندهم أهم من رزق أولادهم لأنهم يعيشون تحت هذا الظرف، فقُدّم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم (وهذا ما اقتضاه مقام الآية) أما الآية الثانية فقال تعالى: (نرزقهم وإياكم) فقدّم ضمير الغائب على ضمير المخاطب لأن الخطاب للأغنياء بدليل قوله تعالى (خشية إملاق) والخشية تكون مما لم يقع بعد، فهم مرزوقون، فكان رزق أولادهم هو المطلوب لذا قُدّم على رزقهم (لاقتضاء الحال ذلك)[٧١٢] فنرى التقديم كان لمقتضى الحال، ولكل حال سر بلاغي جاء من أجله التقديم وليس فقط العناية والاهتمام، وبرز هذا السر بالتأمل في سياق الآيات ومعانيها وتأثيرها

---

[٧٠٧] **ظ:مفتاح العلوم،السكاكي : ٣٤٢.**

[٧٠٨] **ظ: النص الادبي من التكوين الشعري إلى أنماط الصورة البيانية، د. صباح عنوز: ١٨.**

[٧٠٩] **الانعام: ١٥١.**

[٧١٠] **الاسراء: ٣١.**

[٧١١] **ظ:الكشاف،الزمخشري:٢/٦٣٨ .**

[٧١٢] **ظ: بديع القرآن، ابن ابي الاصبع: ٢٦٠ــ٢٦١+ ظ: الإيضاح، القزويني: ٩٦+ ظ: التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي: ٦٣ــ٦٤.**

فخطاب الفقراء اختلف عن خطاب الأغنياء فقدم الضمير الأكثر اهتماما به على الآخر وحسب مقتضى الحال، وهذا ما أفادنا به هذه المعلم من معالم المعاني إلا وهو التقديم في إظهار الصورتين المختلفتين.

ب - إن كان في التأخير إخلالا ببيان المعنى، فداعي التقديم دفع توهّم غير المراد[٧١٣] ففي قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ**﴾[٧١٤] وصف الرجل بثلاث صفات: الإيمان، وكونه من آل فرعون، وكتمانه لإيمانه[٧١٥]، فلو أخر (من آل فرعون) على (يكتم ايمانه) لأختلّ المعنى وما فُهم المراد من قوله تعالى وأصبح، (من آل فرعون) متعلق بـ(يكتم) أي انه يكتم ايمانه خوفا من آل فرعون، وفي هذا ضياع للهدف والغرض من الآية التي أراد تعالى أن يبيّن بها بانه جعل لموسى عليه السلام ناصرا من أعدائه(وهذه حكمة إلهية بالغة) [٧١٦] ، والتقديم أظهر هذا الغرض فسياق الآية والتمعُّن فيها، أوضح الهدف من التقديم وأوقفنا على دلالتها التفسيرية ولولاه لم يكن يتم المعنى المراد، لذلك كان قوله تعالى معجزا في كل جزئيه من جزئياته وأساليبه التي جاء عليها وهناك أغراض كثيرة لهذا النوع من التقديم لا يسع المجال لذكرها[٧١٧].

٥- أغراض بلاغية أخرى للتقديم:

تُقدم معمولات الفعل أحدها على الأخرى للفت الأنظار إلى أمور أهم من أمور أخرى، فيلغى ترتيب الكلمات في التقدّم أو التأخُّر، ليؤكد على الجانب البلاغي في النص وأهمية الكلام المعتنى به والمقدّم على غيره، ويكون المسوّغ للتقديم أو التأخير هو التركيز على فكرة أو موضوع معيّن تنطوي عليه الآيات الكريمة، وتتجسد حيوية السورة في تقديم

---

[٧١٣] ظ: الإيضاح، القزويني: ٩٦.

[٧١٤] غافر: ٢٨.

[٧١٥] ظ: الكشاف، الزمخشري: ١٥٨/٤.

[٧١٦] ظ: البرهان، الزركشي: ٢٣٣/٣.

[٧١٧] ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ١٩٥ــ١٩٨+ ظ: التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي: ٦٤ــ٦٨+ ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٣٣٣ــ٣٣٥.

أو تأخير المواقف والأفكار والموضوعات وحسب ما يقتضيه المقام[٧١٨]، فقد يبدأ بالأقدم ثم الذي يليه كقوله تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾[٧١٩] قُدّم الجن لأن الله خلقهم قبل الإنس بدليل قوله تعالى: ﴿**وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ**﴾[٧٢٠]، فالتقديم أفاد العلم بقدم خلق الجان[٧٢١] واسهم في تفسير النص الكريم، وأحيانا يكون التقديم حسب الفضل والشرف كقوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا**﴾[٧٢٢] فالتقديم من أشرفهم وهم الأنبياء (وهم أقلّهم) ثم يزدادون فالصدّيقون أكثر منهم ثم الشهداء وهم أكثر، وأكثرهم الصالحون، فكلما ترقى الناس في الفضل قلَّ صنفهم[٧٢٣]. فالتقديم فسّر لنا هذا الترتيب في المقامات. وفي قوله تعالى: ﴿ **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**﴾[٧٢٤] قُدّم (رجالا) لأن من حجّ راجلا أفضل منزلة عند الله تعالى لما يقاسيه من الجهد والمشقة، فعن ابن عباس (وددت لو حججت راجلا، فان الله قدّم الرجّالة على الركبان في القرآن)[٧٢٥] فأفاد التقديم توضيح فضل من يأتي إلى الحج ماشيا وفضله على الراكب لما يقاسيه من مشقة وإيذاء لنفسه مرضاة لله تعالى[٧٢٦] وبهذا أفاد في رسم صورة أفضل الحاجّين إلى بيت الله الحرام.

أو يكون التقديم بسبب الرتبة (أي الترتيب)، ففي قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ**﴾[٧٢٧] فبدأ بالجباه ثم الجنوب ثم الظهور، قيل (لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا، وإذا ضمهم وإياه مجلس ازورّوا عنه

---

[٧١٨] **ظ: القواعد البلاغية، د. محمود البستاني: ٨٣ــ٨٨.**

[٧١٩] **الذاريات: ٥٦.**

[٧٢٠] **الحجر: ٢٧.**

[٧٢١] **ظ: التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي: ٥٣.**

[٧٢٢] **النساء: ٦٩.**

[٧٢٣] **ظ: الاتقان، السيوطي: ٣٨٢/٢.**

[٧٢٤] **الحج: ٢٧.**

[٧٢٥] **مواهب الجليل، الحطاب الرعيني: ٥١٦/٣، وجاء فيه (قال بعضهم).**

[٧٢٦] **ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ١٩٨.**

[٧٢٧] **التوبة: ٣٥.**

وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم)[٧٢٨] فأفادنا التقديم في تخيّل النفس لهؤلاء وهم يبتعدون عن الفقراء استكبارا وتعاليا.

أو يكون التقديم حسب الكثرة والقلة، فقد يبدأ من القلة متدرجا إلى الكثرة حسبما يقتضيه المقام والسياق العام، ففي قوله تعالى: ﴿ **أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾[٧٢٩] بدأ من القلة، فالطائفون الذين يطوفون حول الكعبة أقلّ من العاكفين في المساجد، والعاكفون أقل من الراكعين لأن الاعتكاف يكون في المساجد فقط والركوع يكون في أي أرضٍ طاهرة، والراكعين أقل من الساجدين لأن لكل ركعة سجدتين في الصلاة (ولم يعطف هنا فكأن الراكعين هم الساجدون أنفسهم) ثم هناك سجود ليس له ركوع كسجدة التلاوة وسجدة الشكر، فالتدرّج في الآية من القلة إلى الكثرة[٧٣٠]. وبهذا أفاد التقديم في تفسير وإيضاح الدلالة القرآنية والتي أوحت لنا بما في القرآن من اعجاز بياني عميق.

ثانيا: التأخير.

تأخير المسند أو المسند إليه:

يؤخران إذا أقتضى المقام ذلك فعند تقديم المسند إليه يؤخر المسند وعند تقديم المسند يؤخر المسند إليه (بالتماس دواعي التقديم السابقة) وقد يؤخر المسند اليه، رعاية للفاصلة لتحسين الكلام بهاففي قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ**﴾[٧٣١] أخّر الفاعل وقُدّم المفعول رعاية للفاصلة، كذلك قوله تعالى: ﴿ **فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى**﴾[٧٣٢] جاء تأخير الفاعل رعاية للفاصلة ولأن النفس تتشوق لفاعل اوجس فاذا جاء بعد أن أخّر وقع بموقع أحسن مما لو قُدّم، فيكون بتقديمه خروج على النسق الصوتي وإخلال بموسيقى النظم وما لها من وقع في النفس[٧٣٣]. فنرى أن للتأخير أيضا دورأبارزافي إظهار ملامح التفسير والتوصُّل من خلاله إلى مراد الله تعالى وتبيان إعجاز كتابه العظيم.

وهكذا أفادنا هذا المعلم من معالم البلاغة (وهو التقديم والتأخير) في ايضاح الدلالة

---

[٧٢٨] **الكشاف، الزمخشري: ٢/٢٦٠.**

[٧٢٩] **البقرة: ١٢٥.**

[٧٣٠] **ظ: البرهان، الزركشي: ٣/٢٤٩+ظ: التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي: ٥٧..**

[٧٣١] **القمر: ٤١.**

[٧٣٢] **طه: ٦٧.**

[٧٣٣] **ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٣٤٣.**

التفسيرية للنص القرآني، وجاء التقديم بوصفه رافدا مهما من روافد علم المعاني ليكون له التأثير البارز والواضح في تفسير النصوص وايضاح دلالاتها بالإضافة إلى تأثيره في نفس المتلقي، وما يحرّكه فيها من مشاعر لتنسجم مع النص فأثره كبير في حسن الكلام المعجز ودوره واضح في تبيان الإعجاز القرآني.

الخبر والإنشاء وأغراضهما البلاغية وأثرهما في التفسير:

أولا: الخبر:

الخبر لغة: (النبأ، وهو كل ما يُنقل من الغير)[٧٣٤].

وفي الاصطلاح: هو كل كلام يصح وصفه بالصدق والكذب لذاته، بغض النظر عن قائله[٧٣٥]، واختلف العلماء في ضابط الصدق والكذب[٧٣٦] وفي تعريفهما[٧٣٧].

والخبر أما: ابتدائي[٧٣٨]، أو طلبي[٧٣٩]، أو إنكاري[٧٤٠](وهذا حسب حال المخاطب وحسب مقتضى الظاهر)[٧٤١].

خروج الخبر إلى غير مقتضى الظاهر:

وقد يخرج الخبر إلى غير مقتضى الظاهر لأغراض بلاغية[٧٤٢]، نوجزها فيما يأتي:

١ـ أن يُنزّل خالي الذهن منزلة المتردد أو المنكر، فيؤكد له الكلام، ففي قوله تعالى: ﴿ **وَاصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ**﴾[٧٤٣] في الآية الكريمة نهي لنوح عليه السلام في أن يخاطب الله تعالى ويدعوه ويسأله في شأن قومه، بأن يمهلهم ويؤخّر إهلاكهم، لأنه تعالى حكم بإهلاكهم واخبر نوح بأنهم هالكون لا محالة، فلا يكون الأمر بخلاف ما أخبر به تعالى[٧٤٤]، ولا تنفع الشفاعة لهم[٧٤٥] وفي قوله تعالى:

---

[٧٣٤] **لسان العرب، ابن منظور: ٢٢٦/٤+ تاج العروس، الزبيدي: ٣٢٥/٦.**

[٧٣٥] **ظ: الإيضاح، القزوني: ٢٥+ ظ: جواهر البلاغة، احمد الهاشمي: ٥٣.**

[٧٣٦] **ظ:م.ن +ظ: قواعد البلاغة، مصطفى النوراني: ٨٧ــ٨٨+ظ: علم المعاني، درويش الجندي : ١٥.**

[٧٣٧] **ظ: الصاحبي، ابن فارس: ١٣٣+ظ: شرح المختصر، التفتازاني: ٤٣– ٤٥.**

[٧٣٨] **ظ: الإيضاح، القزويني: ٢٨+ ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٢١.**

[٧٣٩] **ظ: جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي: ٥٩.**

[٧٤٠] **ظ: جواهر البلاغة، احمد الهاشمي: ٥٩+ ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٢٤.**

[٧٤١] **الإيضاح، القزويني: ٢٨.**

[٧٤٢] **ظ م.ن : ٢٩.**

[٧٤٣] **هود: ٣٧.**

[٧٤٤] **ظ: التبيان، الطوسي: ٤٨٢/٥+ ظ: مجمع البيان، الطبرسي: ٢٦٩/٥+ ظ: الميزان، الطباطبائي: ٢٥/١٥.**

[٧٤٥] **ظ: الكشاف، الزمخشري: ٣٧٧/٢.**

﴿**وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾ الكلام يلوّح بالخبر تلويحا ويشعر بأنه قد حق عليهم العذاب فصار المقام مقام أن يتردد المخاطب في أنهم صاروا محكوما عليهم بذلك فقيل (أنهم مغرقون) بالتأكيد[٧٤٦]. فالكلام كأنه أصبح مظنّة للتردد والطلب فجاء الرد مؤكدا قويا[٧٤٧]. فخروج الكلام على غير مقتضى الظاهر أدّى معنى بلاغيا هو الإجابة عما أثير في نفس نوح من مصير أهله وما سيحل بهم فوقع الخبر إليه مؤكدا.

ويذكر القزويني بقوله: (وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة فيها دقة وغموض)[٧٤٨] وكما ذكر عبد القاهر بأنها من كمال البلاغة وإصابة المحز[٧٤٩].

٢ـ أن يُنزّل غير المنكر منزلة المنكر، إذا ظهر عليه شيء من إمارات الإنكار[٧٥٠]، ففي قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ *ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**﴾[٧٥١] أكد الموت مرتين وأكد البعث بمؤكد واحد، يذكر الزركشي: أن البعث لما قامت البراهين القطعية عليه، صار المنكر له كالمنكر للبديهيات فلم يحتج إلى تأكيد، أما الموت فأنهم وإن أقرّوا به لكنهم لم يعلموا ما بعده فنُزّلوا منزلة من لم يُقرّبه، فاحتاج إلى تأكيد آخر، ولمّا ظهر عليهم التمادي والغفلة والاعراض عن العمل لما بعده والانهماك في الدنيا (وهي من إمارات إنكار الموت) فقال (ميتون) ولم يقل تموتون (وهذا تأكيد ثالث)[٧٥٢]، أي أن تأكيد الموت مبالغ فيه لأن الناس نسوه ولم يضعوه نصب أعينهم وتمادوا في غفلتهم حتى كأنهم مخلّدون في الحياة، أما البعث فأنه لا نزاع فيه ولا يقبل إنكارا فأكد بمؤكّد واحد[٧٥٣].فتنزيل غير المنكر منزلة المنكر أفاد في إظهار صورة الموت أمام الإنسان وإنها حقيقة كبرى لا يمكن إغفالها أو تناسيها عِبر تأكيد الكلام، وبذلك أسهم هذا الأسلوب في توصيل المعنى المراد

---

[٧٤٦] ظ: الاتقان، السيوطي: ٢/١٧٥+ ظ: مختصر المعاني، التفتازاني: ٣٥+ظ: المعاني في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين: ١٢٩.

[٧٤٧] ظ: جواهر البلاغة، احمد الهاشمي: ٦١.

[٧٤٨] الإيضاح، القزويني: ٢٩.

[٧٤٩] ظ: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٣١٦.

[٧٥٠] ظ: جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي: ٦١.

[٧٥١] المؤمنون: ١٥ــ١٦.

[٧٥٢] ظ: البرهان، الزركشي: ٢/٢٩١+م.ن: ٣/٨٧ــ٨٨+ ظ: الاتقان، السيوطي: ٢/١٧٤.

[٧٥٣] ظ: الكشاف، الزمخشري: ١٧٤ــ١٧٥.

من قوله تعالى.

٣ـ أن ينزّل المنكر منزلة خالي الذهن: فيأتي الخبر خاليا من التوكيد رغم أن المخاطب منكر له، ففي قوله تعالى: ﴿ **إِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾[٧٥٤] الخطاب نزل لكفار مكة وهم لديهم من البراهين الساطعة والحجج القاطعة التي تقنعهم بالوحدانية لكنهم لعنادهم وتكبرهم لم يقرّوا بها وأنكروها واستكبروا عليها، والله تعالى لم يقم وزنا لإنكارهم هذا فجاء الخطاب اليهم غير مؤكد[٧٥٥].

ولكن هذه الآية أن قيلت لقوم غير منكرين فلا يكون فيها خروج عن مقتضى الظاهر، ففي قوله تعالى: ﴿ **وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَـانُ الرَّحِيمُ**﴾[٧٥٦] الخطاب هنا للمجتمع المسلم في المدينة والذي لا ينكر التوحيد فجاءت الآية مطابقة لمقتضى الحال[٧٥٧]، فعدم التوكيد في الآية في سورة النحل أفاد بان الله تعالى تجاهل إنكار هؤلاء المعاندين وألقى الكلام غير مؤكد كأنه من المسلمات البديهية وهي كذلك لو فكر الكافر بها وأقلع عن جحوده وإنكاره وهذا ما أفاده من غرض بلاغي. وهذه الأغراض تختلف حسب حال المخاطبين أو لدواع أخرى غير حال المخاطب فقد يأتي الكلام غير مؤكد في حال وفي حال أخرى يأتي مؤكدا لمعنى أراده الله تعالى، فمثلا في قوله تعالى: ﴿ **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّـهِ وَاللَّـهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّـهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾[٧٥٨]. فالمنافقون أكدوا الخبر (إنك لرسول الله) ليفيدوا بأنه قد امتلأت به قلوبهم ونفوسهم وان شهادتهم صادرة عن إيمان به ولما كان قولهم هذا عن غير اعتقاد (والله يعلم بذلك) جاء الخبر بعد قولهم، مؤكد بمؤكدين (انك لرسوله، أن المنافقين لكاذبون) ليفيد أن ما أكدوه عن غير اعتقاد سيبقى في علم الله مؤكدا قويا، وكذلك في اعتقاد المؤمنين، وليبين كذب المنافقين ويبرزه بنفس القوة والتأكيد الذي أكدوا به شهادتهم عن غير اعتقاد، وفي

---

[٧٥٤] **النحل: ٢٢ .**

[٧٥٥] **ظ: علم المعاني، عبد العزيز عتيق: ٥٦+ ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٤٦.**

[٧٥٦] **البقرة: ١٦٣.**

[٧٥٧] **ظ: البلاغة، فنونها وأفنانها: ١٣٦.**

[٧٥٨] **المنافقون: ١.**

هذا توبيخ وتقريع لهم[٧٥٩].

وهناك مواقع يخرج فيه الكلام عن غير الظاهر كأن ينزل العالم بفائدة الخبر إلى منزلة الجاهل أو المتردد منزلة خالي الذهن أو المنكر منزلة المتردد وغيرها من الاغراض الأخرى.

أغراض الخبر الاصلية و البلاغية:

للخبر غرضان أصليان هما: (فائدة الخبر، ولازم الفائدة)، ففائدة الخبر: هي إفادة المخاطب مضمون الخبر وحكمه المستفاد منه[٧٦٠]. كقوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾[٧٦١]، أما (لازم الفائدة) : فهو قصد المتكلم أن يفيد المخاطب انه عالم بالحكم (أي بمضمون الخبر) وانه يشاركه في هذه المعرفة[٧٦٢]، كقول رسول الله ﷺ يصف الأنصار: (إنكم لتقلّون عند الطمع وتكثرون عن الفزع)[٧٦٣]، أما الأغراض التي يخرج إليها الخبر بلاغيا فهي كثيرة منها:

١ـ إظهار الضعف: في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**﴾[٧٦٤] الكلام عن زكريا حينما دعا ربه بكلمات غاية في الخضوع والتذلل وإظهار الضعف والقصور عن نيل المطالب وبلوغ المآرب[٧٦٥] فوهن العظام وظهور الشيب دليل الضعف والكبر ورسول الموت ورائده ونذيره، فتوسّل إلى الله تعالى بضعفه وعجزه (وهذه من أحب الوسائل إلى الله تعالى في الدعاء) لأنه دليل على التبرّي من الحول والقوة وتعلق القلب بحول الله وقوته[٧٦٦]، قال العلماء: (يستحب للمرء أن يجمع في دعائه بين

---

[٧٥٩] **ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٤٥.**

[٧٦٠] **ظ: الإيضاح، القزويني: ٢٧.**

[٧٦١] **النور: ٣٥.**

[٧٦٢] **ظ: جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي: ٥٤.**

[٧٦٣] **تفسير القرطبي، القرطبي: ٢٤٨/٥+ إمتاع الأسماع، المقريزي: ٢٦٢/٢.**

[٧٦٤] **مريم: ٤.**

[٧٦٥] **ظ: فتح القدير، الشوكاني: ٢٢١/٣.**

[٧٦٦] **ظ: تفسير الكريم الرحمن في كلام المنان، ابن ناصر السعدي: ٤٨٩.**

الخضوع وذكر نعم الله عليه كما فعل زكريا هنا)[٧٦٧]، فالغرض من الخبر هنا ليس إخبار الله تعالى فهو عالم بكل شيء ولكن من أجل إظهار ضعفه وانه قد بلغ من الوهن غاية لا أمل له بعدها في الحياة مما اثر في تفسير النص وغايته.

٢ـ الأمر: في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ**﴾[٧٦٨] في الآية إطلاق الخبر وإرادة الأمر أي (ازرعوا)[٧٦٩] بدليل قوله تعالى: ﴿**فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ**﴾[٧٧٠] وخروجه إلى الأمر مبالغة في وجود المأمور به فيجعله كأنه موجود فهو يخبر عنه[٧٧١]، وهذه هي غاية النص التي أفادنا بها هذا الأسلوب البلاغي من الخبر.

٣ـ **النهي** كقوله تعالى: ﴿ **لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ**﴾[٧٧٢] (خبر تأويله نهي)[٧٧٣] أي لا ينبغي أن يمسّ القرآن إلا من هو على طهارة (أي مسّ المكتوب فيه).ومنهم من حمله إلى القراءة أيضا[٧٧٤] (باختلاف بين المفسرين). فالخبر لم يأتِ للإخبار وإنما جاء للنهي عن الفعل، وهذا أبلغ مما لو جيء بصيغة النهي وكأنه قد امتثل لهذا النهي وصار واقعا من العبد عدم مس القرآن إلا على طهارة.

وهناك أغراض أخرى كثيرة يخرج إليها الخبر منها الوعيد والاسترحام والتحسر، والتذكير بالمراتب والوعد والتوبيخ والتعظيم والتمنّي والرثاء والتبكيت وإظهار الفرح و المدح والهجاء والدعاء وغيرها كثير[٧٧٥]. وان كان بعض البلاغين يرجع كل هذه الأغراض إلى الغرضين الأصليين (فائدة الخبر، ولازم الفائدة) وهما اللذان يحملان

---

[٧٦٧] فتح القدير، الشوكاني: ٣/٢٢١.

[٧٦٨] يوسف: ٤٧.

[٧٦٩] البرهان، الزركشي: ٢/٢٨٩.

[٧٧٠] يوسف: ٤٧.

[٧٧١] ظ: الكشاف، الزمخشري: ٢/٤٥٨.

[٧٧٢] الواقعة: ٧٩.

[٧٧٣] البرهان، الزركشي: ٣/٣٤٧.

[٧٧٤] ظ: الكشاف، الزمخشري: ٤/٤٥٧.

[٧٧٥] ظ: الصاحبي، ابن فارس: ١٣٤+ ظ: البرهان، الزركشي: ٢/٣١٧ــ٣١٨+ ظ: الاتقان، السيوطي: ٢/٢١٦.

المعاني التي يخرج اليها الخبر، ففي قوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**﴾[٧٧٦] هو خبر من نوع (لازم الفائدة) لأن الله الذي خلق زكريا يعرف انه وهن العظم منه واشتعل رأسه شيبا، وزكريا يهدف من خبره إظهار ضعفه وعجزه وهكذا في باقي الأغراض فكلها ترجع إلى الغرضين الأصليين[٧٧٧].

ثانيا: الإنشاء وأثره في التفسير:

الإنشاء لغة: مصدر من الفعل انشأ وهو بمعنى الإيجاد والاختراع والخلق والشروع والابتداء[٧٧٨].

أما في الاصطلاح: فهو الكلام الذي يحصل مضمونه بمجرد التلفظ به، ولا يحتمل الصدق والكذب لذاته[٧٧٩] (وليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه)[٧٨٠]. يقول القزويني: (ووجه الحصر أن الكلام أما خبر أو إنشاء لأنه أما يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، أو لا يكون لها خارج، الأول الخبر، والثاني الانشاء)[٧٨١].

والإنشاء أما طلبي أو غير طلبي، فالإنشاء الطلبي: (هو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب)[٧٨٢]، أو (هو ما يتأخر وجود معناه عن وجود لفظه)[٧٨٣]. وهو أما أمر أو نهي أو استفهام أو تمنٍّ أو نداء[٧٨٤].

والإنشاء غير الطلبي: (هو ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب)[٧٨٥]. ومنه المدح والذم، والتعجب، والقسم، والرجاء، وصيغ العقود والإيقاعات.

---

[٧٧٦] **مريم: ٤.**

[٧٧٧] **ظ: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، د. بكري شيخ أمين: ٦٠ــ٦١.**

[٧٧٨] **ظ: تاج العروس، الزبيدي: ٢٦٤/١+ ظ: لسان العرب، ابن منظور: ١٦١/١.**

[٧٧٩] **ظ: البلاغة والتطبيق، احمد مطلوب: ١٢١+ ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٤٩.**

[٧٨٠] **علم المعاني، عبد العزيز عتيق: ٥٧.**

[٧٨١] **الإيضاح، القزويني: ٢٤.**

[٧٨٢] **البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب: ١٢١.**

[٧٨٣] **علم المعاني، عبد العزيز عتيق: ٦١.**

[٧٨٤] **ظ: البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب: ١٢١.**

[٧٨٥] **م.ن .**

والاعتناء أكثر بالإنشاء الطلبي لما فيه من مزايا ولطائف بلاغية[٧٨٦]، تتضح فيما يأتي:

الإنشاء الطلبي:

١ـ أسلوب الأمر:

الأمر لغة: (بمعنى طلب فعل الشيء وإحداثه من المخاطب، وهو نقيض النهي ويجمع على (أوامر)[٧٨٧].

أما في الاصطلاح: (هو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء والإلزام)[٧٨٨]. أو كما عرّفه صاحب الطراز: (صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على وجه الاستعلاء)[٧٨٩] وله أربع صيغ،هي:

أ ـ فعل الأمر: كقوله تعالى: ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾[٧٩٠].

ب ـ الفعل المضارع المقترن بلام الأمر كقوله تعالى: ﴿ **لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ**﴾[٧٩١].

جـ ـ المصدر النائب عن فعل الأمر كقوله تعالى: ﴿ **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾[٧٩٢].

د ـ اسم فعل الأمر (اسم ينوب عن الفعل معنىً وعملا غير متأثر بعوامل الفعل، كقوله تعالى: ﴿ **عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾[٧٩٣] أي (ألزموا أنفسكم) [٧٩٤]. وتخرج الجملة الخبرية المجازية إلى معنى الأمر كقوله تعالى: ﴿ **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ**﴾[٧٩٥] أي (أي ليرضعن

---

[٧٨٦] **ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٥٠.**

[٧٨٧] **لسان العرب، ابن منظور: ٢٧/٤+ تاج العروس، الزبيدي: ٣١/٦.**

[٧٨٨] **جواهر البلاغة، احمد الهاشمي: ٧٧.**

[٧٨٩] **الطراز، العلوي: ٥٣٠.**

[٧٩٠] **النور: ٥٦.**

[٧٩١] **الطلاق: ٧.**

[٧٩٢] **البقرة: ٨٣.**

[٧٩٣] **المائدة: ١٠٥.**

[٧٩٤] **مجمع البيان، الطبرسي: ٤٣٤/٣.**

[٧٩٥] **البقرة: ٢٣٣.**

أولادهن)[٧٩٦].

المعاني البلاغية لصيغة الأمر:

ويخرج الأمر من معناه الحقيقي إلى معانٍ أخرى لها غرض بلاغي تؤثر في تفسير النص منها:

أ ـ الدعاء: ويأتي بصيغة الأمر ويصدر من الأدنى إلى الأعلى منزلة وشأنا ويسميه ابن فارس (المسألة)[٧٩٧].

وهو طلب فيه تضرّع وخضوع، وبلاغته تتأتى من إظهار كمال الخضوع لله تعالى وبيان شدّة رغبة العبد في الغفران والتوبة[٧٩٨] كما في قوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ**﴾[٧٩٩] فالأمر هنا مجازي لأن الله تعالى لا يأمره أحد والمراد منه التذلل والتضرع والاستعطاف وفيه تحوّل معنى الأمر إلى معنى الدعاء، وهذا الأسلوب أظهر رغبة العبد في الغفران وتكفير الذنوب والتوفيّ مع الأبرار وكأنها أمور مطلوبة منه تعالى على وجه التذلل والتوسل له[٨٠٠]. وهذا ما أفاد في خروج الأمر من صيغة الاستعلاء والإلزام إلى الرغبة في حصول الشيء على وجه الدعاء.

ب ـ التعجيز: (وهو طلب المخاطب تنفيذ أمر أشبه بالمستحيل ليظهر عجزه ويبين ضعفه تحديا واستضعافا)[٨٠١]، مثل تحدّي القرآن لأفذاذ العرب الذين ارتابوا فيه وشككوا في نزوله على الرسول الكريم ﷺ قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[٨٠٢] فان

---

[٧٩٦] ظ: الكشاف، الزمخشري: ١/٢٧٥.

[٧٩٧] الصاحبي، ابن فارس: ١٣٨.

[٧٩٨] ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٥٣.

[٧٩٩] آل عمران: ١٩٣.

[٨٠٠] ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٥٣.

[٨٠١] البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري الشيخ أمين: ١٠٥.

[٨٠٢] البقرة: ٢٣.

الملحدين باجتماعهم ومظاهرة بعضهم بعضا عاجزون عن الإتيان بطائفة من القرآن[٨٠٣] فالمراد من الأمر إظهار عجزهم، فان هم حاولوا الإتيان بسورة منه بعد سماع الأمر ولم يمكنهم ذلك ظهر عجزهم وضعفهم، وبذلك تبرز قوة التحدي ويركنون إلى الخضوع والتسليم بضعفهم وقوة كلام الله وعجزهم عن الوصول إليه[٨٠٤]، فالأمر لم يكن على وجه الإلزام بل من أجل إظهار الضعف والعجز منهم بأسلوب من الأساليب التي أسهم بها علم المعاني.

جـ ـ التمنّي: طلب أمر متعذر أو متعسّر كقوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ**﴾[٨٠٥].

قال الحسن: (هذا آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم يكون لهم شهيق كشهيق الحمار)[٨٠٦] فهم طلبوا الرجعة إلى الدنيا كما طلبوها عند الموت[٨٠٧]، ولم يعلموا أن مطلبهم غير ذي جدوى وأمانيهم عديمة التحقق، وقد يعلمون ذلك ولكنهم لشدّة العذاب وانسداد جميع المنافذ أمامهم يكررون هذا المطلب في كثير من الآيات[٨٠٨]. ورجوعهم إلى الدنيا هو أمر محال فكان الرد منه تعالى عليهم بقوة ﴿ **اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِي**﴾[٨٠٩][٨١٠] فالغرض طمعهم وتمنيهم في استماع طلبهم في إخراجهم من النار ولكنهم يحلمون بهذا، فأفادنا هذا المعنى البلاغي في فهم مراد الله تعالى من النص الكريم، ورسم لنا الصورة التي تمنّاها أهل النار. وخروج الأمر يكثر في النصوص القرآنية لغاية بلاغية يدخل في تفسيرها علم المعاني. ومن هذه الأغراض: الاهانة كقوله تعالى: ﴿**كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا**﴾[٨١١] ومنها الخبر: ﴿ **وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾[٨١٢]

---

[٨٠٣] **ظ: الانتصاف فيما تضمنه الكشاف، ابن منير الاسكندري: ٢٣٨/١.**

[٨٠٤] **ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٢٩٠+ظ: أساليب المعاني، السيد جعفر الحسيني: ٥٧.**

[٨٠٥] **المؤمنون: ١٠٧.**

[٨٠٦] **مجمع البيان، الطبرسي: ٢٠٩/٧+ معاني القرآن، النحاس: ٣٨٥/٦.**

[٨٠٧] **ظ: تفسير القرطبي، القرطبي: ١٥٣/١٢.**

[٨٠٨] **ظ: الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي: ١٠٣/١٤.**

[٨٠٩] **المؤمنون: ١٠١.**

[٨١٠] **ظ: الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي: ٥٢٤/١٠.**

[٨١١] **الإسراء: ٥٠.**

أي إقامة وجوهكم وقت الصلاة[٨١٣] ومنها الإرشاد والنصح، كقوله: ﴿ **فَاكْتُبُوهُ**﴾[٨١٤] ومنها التأديب: ﴿ **وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ**﴾[٨١٥] ومنها الإكرام: ﴿ **ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ**﴾[٨١٦] ومنها الاعتبار: ﴿ **انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ**﴾[٨١٧]وفيها لفت لقدرة الله تعالى وإبداعه[٨١٨] والى أغراض أخرى يحددها السياق والقرائن التي تأتي مع الأمر فتحدد معناه[٨١٩]، مما يبيّن أثر علم المعاني في تحديد معاني الآيات الكريمة والنظم الشريف.

٢ـ أسلوب النهي:

النهي لغة: (المنع، نهاه عن كذا أي منعه، وسمي العقل نُهية لأنه ينهى صاحبه عن الوقوع فيما يخالف الصواب)[٨٢٠].

وفي الاصطلاح: (طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام)[٨٢١]. (وله صيغة واحدة هي المضارع المقترن بـ(لا) الناهية الجازمة)[٨٢٢] وهذه الصيغة تستعمل مع المخاطب والغائب على السواء وقد تأتي في نهي النفس[٨٢٣]. وقد يُستعمل الخبر بمعنى النهي، كقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلا اللهَ**﴾[٨٢٤] أي (لا

---

[٨١٢] **الأعراف: ٢٩.**

[٨١٣] **ظ: تفسير الرازي، الرازي: ٥٧/١٤+ ظ: تفسير الثعالبي، الثعالبي: ٢١/٣.**

[٨١٤] **البقرة: ٢٨٢.**

[٨١٥] **النساء: ٣٤.**

[٨١٦] **الحجر: ٤٦.**

[٨١٧] **الانعام: ٩٩.**

[٨١٨] **ظ: الكشاف، الزمخشري: ٥٠/٢.**

[٨١٩] **ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٥٣ــ٦٦.**

[٨٢٠] **لسان العرب، ابن منظور: ٣٣٩/١٥+ مجمع البحرين، الشيخ الطريحي: ٣٧٥/٤+ تاج العروس، الزبيدي: ٢٧٠/٢٠.**

[٨٢١] **المصباح، ابن مالك الدمشقي: ١٥٣.**

[٨٢٢] **الإيضاح، القزويني: ١١٧.**

[٨٢٣] **ظ: زاد المسير، ابن الجوزي: ٣٣١/٢ في قراءة شاذة لقوله تعالى: ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ بسكون الميم، المائدة: ١٠٦.**

[٨٢٤] **البقرة: ٨٣.**

تعبدوا)[٨٢٥].

(أغراض النهي البلاغية)

والمهم في البحث هي الأغراض التي يخرج إليها النهي والتي تفيد في فهم المعنى وهي كثيرة اخترنا منها:

أ ـ الدعاء: (ويكون من أدنى إلى أعلى ومن صغير إلى كبير، ومن ضعيف إلى قوي ومن مخلوق إلى خالق)[٨٢٦]، كقوله تعالى على لسان العبد المؤمن: ﴿ **رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا**﴾[٨٢٧] فهو ليس نهي الله تعالى بأن لا يزيغ قلوبهم بعد أن ابلغهم جادة الهدى والإيمان، ولكنه دعاء يحمل معنى التوسل والرجاء بالله تعالى، فهم يتوسلون به لتثبيتهم على الهداية والإمداد بالألطاف والتوفيقات الإلهية[٨٢٨]. (والدعاء مائدة روحية يجتمع حولها الأنبياء والصالحون حيث تسمو النفوس المؤمنة إلى مقام القرب من الله تعالى حيث معراج الروح البشرية إلى رحاب النور، والدعاء خشوع وخضوع وتضرُع وتوسُل ورجاء إلى أبواب الله المفتوحة لعباده الصالحين)[٨٢٩]، فالدعاء يبعد النفس عن الحيرة والقلق ويقرّبها من السكون والطمأنينة، فلا غنى للعبد عن هذه المائدة الروحية. التي أفادنا بها هذا الأسلوب الإنشائي من أساليب علم المعاني ليؤدي غرضه في توضيح كلام الله تعالى: قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾[٨٣٠].

ب ـ الالتماس: وهو طلب الندّ من الندّ والصديق من صديقه والأخ من أخيه وليس فيه استعلاء أو إلزام[٨٣١] كقوله تعالى على لسان هارون: ﴿ **قَالَ يَبْنَؤُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ**

---

[٨٢٥] **الاتقان، السيوطي: ٢/١٠٦.**

[٨٢٦] **البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري الشيخ أمين: ١٠٩.**

[٨٢٧] **آل عمران: ٨.**

[٨٢٨] **ظ: مجمع البيان، الطبرسي: ٢/٢٤٢.**

[٨٢٩] **مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي: ٤/ (المقدمة) على أصغر مروارد.**

[٨٣٠] **البقرة: ١٨٦.**

[٨٣١] **ظ: أساليب المعاني، السيد جعفر الحسيني: ١١٣.**

برَأسِي﴾[٨٣٢] فالنهي ليس فيه استعلاء أو خضوع أو تذلل لأنه صادر من الأخ لأخيه فهو التماس رقيق منه ليعفو عنه، وفي قوله: (يا ابن أم) ترقيق لقلب موسى عليه السلام رغم انه أخوه من أبيه وأمه ولكنه أراد استعطافه[٨٣٣]، فالغرض الذي أفاده النهي هو إظهار حرص هارون على مسامحة أخيه له ورغبته القويّة في ترقيق قلبه[٨٣٤]. ولم يكن هذا المعنى ليتوضّح إلا بهذا الأسلوب الإنشائي في الالتماس.

جـ ـ التهديد والوعيد، كقوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾**[٨٣٥] المقصود من هذه الآية الكريمة بأنه تعالى عالم بما يفعل الظالمون ولا يخفى عليه شيء، وانه معاقبهم على قليله وكثيره، والنهي جاء على سبيل الوعيد والتهديد، فالله تعالى رقيب على هؤلاء محاسب لهم عما يعملوه ولو كان بقدر النقير والقطمير[٨٣٦] وجاء في تفسير الطبري: (أن الآية وعيد للظالم وتسلية للمظلوم)[٨٣٧] وعن صاحب الميزان: (انها إنذار للظالمين وتعزية للمظلومين)[٨٣٨] فالظالم سيلقي جزاءه حتما في يوم الجزاء وسينتقم الله للمظلومين في ذلك اليوم. فالمراد ليس النهي عن أن يحسب الله غافلا عن الظالمين وما يفعلون في الحياة الدنيا، بل هو تهديد لهؤلاء الظالمين بأنه تعالى سيحاسبهم على أعمالهم كلها صغيرها وكبيرها لأنه رقيب عليهم، وانه أمهلهم في الحياة ليزدادوا إثما ويشتد حسابهم ويكون عسيرا وسوف يرى المظلوم حسابهم في الآخرة، والله عادل حكيم، قال تعالى: ﴿ **وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعالَمِينَ﴾**[٨٣٩].

ويخرج النهي إلى أغراض أخرى توصل إلى الغاية من آياته تعالى وتبيّن اسهامة علم المعاني بأسلوب النهي في تفسير النصوص القرآنية لتوصلنا إلى معنى الإعجاز.

٣ـ أسلوب الاستفهام:

---

[٨٣٢] طه: ٩٤.

[٨٣٣] ظ: من بلاغة النظم العربي، د. عبد العزيز عرفة: ٢/٩٠.

[٨٣٤] ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٣٠٠.

[٨٣٥] ابراهيم: ٤٢.

[٨٣٦] ظ: الكشاف، الزمخشري: ٢/٥٤١.

[٨٣٧] جامع البيان، الطبري: ١٣/٣٠٩.

[٨٣٨] الميزان، السيد الطباطبائي: ١٢/٨٠.

[٨٣٩] آل عمران: ١٠٨.

الاستفهام لغة: (طلب لفهم)[٨٤٠].

وفي الاصطلاح: طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأدوات خاصة[٨٤١]

الأغراض البلاغية للاستفهام:

يحمل الاستفهام إلى جانب معناه الأصلي معانٍ أخرى، وقد تكون هذه المعاني أكبر واهمّ من المعنى الأصلي، ويمكن إدراكها بالذوق السليم والحس المرهف ففيها تتضح الغاية والمراد. ومن المعاني التي خرج إليها الاستفهام.

أ ـ الأمر: كما في قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ**﴾[٨٤٢] أي (اصبروا)[٨٤٣] والفتنة: افتتان الناس ببعضهم فالفقير يفتتن بالغني والأعمى يفتتن بالبصير والسقيم يفتتن بالصحيح، وهكذا[٨٤٤]، وغاية الاستفهام هنا أمرهم بالصبر لأن مفاتن الدنيا كثيرة ولا يصبر عليها إلا من قوي إيمانه وزادت ثقته بالله تعالى، فالله أمرهم بالصبر لتظهر معادنهم ويتضح إيمانهم، وليحثهم على الاستجابة وقبول الأمر فلم يأتِ به بصيغة الأمر وإنما جاء على هيئة استفهام لإضفاء الترغيب والتحريض لامتثال ذلك الأمر[٨٤٥] فساعدنا علم المعاني بأسلوب من أساليبه على فهم مراد الله تعالى من النصّ الكريم وتبيان مقصده.

ب ـ الإنكار: (والإنكار هو الجحود)[٨٤٦] والإنكار أما أن يكون توبيخ أو تكذيب[٨٤٧] فمن انكار التكذيب قوله تعالى: ﴿ **أَيَحْسَبُ الإنسان أَنْ يُتْرَكَ سُدًى**﴾[٨٤٨] (أي أظننتم انا خلقناكم لتفعلوا ما تريدون ثم إنكم لا تحشرون ولا تسألون عما كنتم تعملون)[٨٤٩] فالذين

---

[٨٤٠] لسان العرب، ابن منظور: ٤٤٧/١٢+ تاج العروس، الزبيدي: ٤٠٣/١٧.

[٨٤١] ظ: الايضاح، القزويني: ١٠٨+ظ: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري الشيخ أمين: ٨٤ــ٩٤.

[٨٤٢] الفرقان: ٢.

[٨٤٣] الاتقان، السيوطي: ٢١٥/٢.

[٨٤٤] ظ: مجمع البيان، الطبرسي: ٢٨٣/٧.

[٨٤٥] ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٨٤.

[٨٤٦] لسان العرب، ابن منظور: ١٨٨/٥+ مجمع البحرين، الطريحي: ٢٧٠/٤.

[٨٤٧] ظ:الاتقان،السيوطي:٢١٥/٢

[٨٤٨] القيامة: ٣٦.

[٨٤٩] مجمع البيان، الطبرسي: ٢١٤/٧.

يزعمون ذلك هم كاذبون، لأن الله لم يخلقهم عبثا لكي يعيشوا ويكبروا ثم يموتوا بل هناك دار أخرى تنتظرهم حيث يجدون فيها جزاء أعمالهم[٨٥٠]. فالإنكار هنا هو تكذيب لمن زعم انه سيفلت من الحساب، والإنكار بهذا الأسلوب هو أبلغ وأكثر تأثيراً مما لو جاء الكلام بجملة خبرية فبهذا الأسلوب يتنبه الإنسان ويتعظ ويفكر في الغاية من خلقه وموته ثم بعثه، وهو مادلّنا عليه الاستفهام الإنكاري من هدف جليل، وأوصلنا إليه أحد أساليب المعاني.

جـ ـ التمنّي: هو خروج الاستفهام إلى ما لا يُرجى حصوله لاستحالته أو لكونه لا يُطمع في نيله[٨٥١]. ففي قوله تعالى على لسان الكافر: ﴿ **فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا**﴾[٨٥٢] فهم لم يسألوا عن شفعاء في ذلك اليوم، ولكنه تمنٍّ منهم لشدة وهول ما هم فيه، حيث وضعوا الممكن مكان المستحيل[٨٥٣]. فالآية تصوّر حال الكافرين بصورة حيّة نابضة توحي للمتأمّل ما عليه حالهم من ألم وشدّة وضنك[٨٥٤]، فهم يتمنّون الشفعاء الذين وسوسوا لهم في الدنيا لغوايتهم، وتخلوا عنهم في ذلك اليوم الرهيب فليس لهم من شفيع، قال تعالى: ﴿ **مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ**﴾[٨٥٥] فخروج الاستفهام إلى غير معناه الحقيقي: (وهو احد أساليب المعاني) صوّر لنا المفهوم والمراد من قوله تعالى، وحقق لنا الغرض من خروجه إلى التمني.

ويخرج الاستفهام إلى معان أخرى كثيرة لا مجال لحصرها[٨٥٦] والاستفهام من أوفر أساليب الكلام معانٍ وأوسعها تصرُّفا وأكثرها في مواقف الانفعال وروداً، فتتوالى أساليبه في مواطن التأثر، وحيث يُراد التأثير واستمالة النفوس، وان كان لكلام القرآن قمّة عليا في البلاغة، فان أسلوب الاستفهام يحتلّ أعلى مكان في تلك القمّة، فأغراض الاستفهام البلاغية

---

(٨٥٠) ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: ٤٩/٣.

(٨٥١) ظ: أساليب المعاني، السيد جعفر الحسيني: ٩٠.

(٨٥٢) الاعراف: ٥٣.

(٨٥٣) ظ: تفسير القرطبي، القرطبي: ٢١٧/٧+ ظ: البرهان، الزركشي: ٣٢١/٢.

(٨٥٤) ظ: أساليب المعاني، السيد جعفر الحسيني: ٩١.

(٨٥٥) غافر: ١٨.

(٨٥٦) ظ: البرهان ،الزركشي: ٣٣٨/٢ــ٣٤٣+ ظ: الإيضاح، القزويني: ١١٢-١١٧ + ظ: الاتقان، السيوطي: ٢١٢/٢-٢١٧.

في القرآن كثيرة تصل إلى ما يقارب ألف ومائتين وأربعين أسلوبا، تتوالى في مواضع عديدة، محققة التلوين الكلامي الذي يهزّ المشاعر، ويبعث في النفس شغفا وشوقا إلى تتبعه في أساليبه[٨٥٧]. ولكن المهم فيها معانيها البلاغية وما تخرج إليه من معانٍ يستفاد فيها من سياق النص، وغالبا ما تأتي النصوص بأغراض عديدة في آنٍ واحد، وذلك حسب ما يُفهم من النص الكريم، فمثلا في قوله تعالى: ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ**﴾[٨٥٨] فنجد الاستفهام فيها يفيد إنكار الكفر، ويفيد التعجب من وقوعه[٨٥٩]، ويفيد التنبيه والتوبيخ[٨٦٠]و الاستبعاد والتوعد وغير ذلك مما ينبعث منه الأسلوب، وما تتأمّله النفس من أغراض[٨٦١]وأحيانا يكون النص بمعنى عند أحد المفسرين، وعند غيره بمعنى ثانٍ، ففي قوله تعالى: ﴿**مَتَى نَصْرُ اللَّهِ**﴾[٨٦٢] فقد اختلفوا في معناه فقالوا بمعنى الاستبطاء[٨٦٣] والاستعجال بالنصر[٨٦٤] ورجّح الطبرسي معنى الدعاء لله بالنصر: (لأنه لا يجوز أن يكون استبطاء لنصر الله لأن الرسول ﷺ يعلم أن الله لا يؤخرّه عن الوقت الذي توجبه الحكمة الإلهية)[٨٦٥].

وقال الزمخشري: (في الآية طلب للنصر وتمنيه)[٨٦٦] وهو رأي دقيق اذ أن التمنّي ظاهرٌ فيه[٨٦٧] وهكذا يبحر المفسّرون في التقاط المعاني. التي يرونها في النصوص لأجل التوصُّل إلى الغاية الكبرى وهي معرفة مراد الله تعالى، وبالتالي التوصُّل إلى سرِّ إعجاز كتابه الكريم.

---

[٨٥٧] ظ: فن البلاغة، عبد القادر حسين: ١٣٧ــ١٣٨.

[٨٥٨] البقرة: ٢٨.

[٨٥٩] ظ: البرهان الزركشي: ١٤/٢.

[٨٦٠]ظ: مفردات غريب القرآن، الراغب الاصفهاني: ٤٢٠.

[٨٦١] ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٣١٨.

[٨٦٢] البقرة: ٢١٤.

[٨٦٣] الاتقان، السيوطي: ٢١٧/٢.

[٨٦٤] فتح القدير، الشوكاني: ٢١٥/١.

[٨٦٥] مجمع البيان، الطبرسي: ٦٧/٢.

[٨٦٦] الكشاف الزمخشري: ٢٥٤/١.

[٨٦٧] ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٩١.

٤ـ أسلوب التمني :

التمني لغة: (محبة حصول الشيء)[٨٦٨].

وفي الاصطلاح: (طلب حصول الشيء المحبوب الذي لا يُرجى ولا يتوقع حصوله)[٨٦٩].أما لاستحالة الحصول عليه أو بعد منالـه[٨٧٠] وأداته هي (ليت) ويشاركها في التمنّي لأغراض بلاغية (هل، لو، ولعل)[٨٧١].

أغراض التمني البلاغية:

أ ـ يُتمنى بـ(هل) لإظهار المتمنّى في صورة الممكن لشدّة الرغبة فيه[٨٧٢]، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ**﴾[٨٧٣] في تمنّي الكافرين الخروج من النار بأي طريق كان[٨٧٤]، فهم يتمنّون المخرج والخلاص، وبما أنه شيء مستحيل فظنّوا أن غير الممكن ممكنا، فجاء الكلام بالتمنّي بـ(هل) بدلا من (ليت) وهذا من فرط حيرتهم ودهشتهم وشدّة ما هم فيه[٨٧٥]. فالغرض البلاغي من التمنّي بـ(هل) أوقع في النفس من (ليت) لأنها صوّرت حالهم وأبرزت مكنونات نفوسهم، ولما كان عدم وجود مخرج لديهم معلوم امتنع تأويل الآية على الاستفهام، وانصبّ على التمنّي[٨٧٦].

وهذا ما أفاده المعنى البلاغي لاستعمال (هل) في التمنّي ومن خلاله رسم الملمح التفسيري للنص القرآني.

ب ـ ويُتمنّى بـ(لو)كقوله تعالى: ﴿ **لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ**﴾[٨٧٧] أي ليت لنا عودة

---

[٨٦٨] **مجمع البحرين، الشيخ الطريحي: ٢٣٦/٤.**

[٨٦٩] **جواهر البلاغة، احمد الهاشمي: ١٠٣+ شرح المختصر، التفتازاني: ٩٣/١.**

[٨٧٠] **ظ: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري شيخ امين: ٨١.**

[٨٧١] **م .ن: ٨٢.**

[٨٧٢] **ظ: البليغ في المعاني والبيان والبديع، احمد أمين الشيرازي:١٢٤.**

[٨٧٣] **غافر: ١١.**

[٨٧٤] **ظ: مجمع البيان، الطبرسي: ٤٢٩/٨.**

[٨٧٥] **ظ: الكشاف، الزمخشري: ١٥١/٤.**

[٨٧٦] **ظ: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري شيخ امين: ٨٣.**

[٨٧٧] **البقرة: ١٦٧.**

إلى الدنيا كي نتبرأ من مضلينا كما تبرّأوا منا[٨٧٨] واستعملت (لو) لإظهار المتمنّى في صورة الممتنع أشعارا بعزته (فهي حرف امتناع لامتناع)[٨٧٩]، ومجيئها للتمنّي لغرض بلاغي هو كون المتمنّى شيئا مستحيلا لشدّة الرغبة والتلهُّف لحصوله[٨٨٠]، وهذا ما أفاده التمني لمجيئه بالأداة (لو).

جـ ـ ويُتمنّى بـ(لعلَّ): وهي أداة ترجٍّ والترجّي ممكن الوقوع والحدوث غالبا[٨٨١]: كما في قوله تعالى: ﴿ **لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى**﴾[٨٨٢] ففرعون يعرف أن ما يبتغيه هو أمر مستحيل، ولكن من شدة خيلائه وضلاله ورغبته في وقوعه تصوّر أن هذا الشيء ممكن الحصول[٨٨٣]. وهو ما أفاده المعنى البلاغي لاستعمال (لعلّ) فهي قد تحوّلت من الترجي إلى التمنّي لبعد الشيء المرجو.

فرأينا أن أسلوب التمنّي شأنه شأن أساليب الإنشاء الأخرى قد أسهم في رسم ملامح النصّ القرآني بخلق جوّ نفسي للشيء المتمنّى الذي يستحيل حصوله، باستعمال الأدوات الخاصّة بالاستفهام أو الامتناع أو الترجي لوقوعها في النفس وتأثيرها في إفادة المعنى أكثر مما لو استعملت أداته (ليت).

٥ـ اسلوب النداء:

النداء لغة: رفع الصوت وظهوره،وأصله من النّدى أي الرطوبة، يقال صوت نديّ أي رخيم[٨٨٤].

وفي الاصطلاح: طلب إقبال المدعو إلى الداعي بأحد حروف مخصوصة[٨٨٥]. أو

---

[٨٧٨] **ظ: تفسير شبر، عبد الله شبر: ٦٤.**

[٨٧٩] **مغني اللبيب، ابن هشام الانصاري: ٢٥٩/١.**

[٨٨٠] **ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ١١٩.**

[٨٨١] **ظ: شرح ابن عقيل، ابن عقيل الهمذاني: ٣٥٧/٢.**

[٨٨٢] **غافر: ٣٦ــ٣٧.**

[٨٨٣] **ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٣٤٠.**

[٨٨٤] **ظ: لسان العرب، ابن منظور: ٣٠٠/١٥+ ظ: مجمع البحرين، الشيخ الطريحي: ٢٩٠/٤.**

[٨٨٥] **ظ: شروح التلخيص، القزويني: ٣٣٣.**

(طلب الإقبال بحرف نائب مناب (أدعو) لفظا أو تقديرا)[٨٨٦] أو (التصويت بالمنادى ليقبل)[٨٨٧] والنداء يكون مدّ الصوت للبعيد بدليل قوله تعالى: ﴿ **وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا**﴾[٨٨٨] فالنداء للبعيد والمناجاة للقريب[٨٨٩] فبيّن تعالى انه كما ناداه ناجاه أيضا[٨٩٠] روي أن إعرابياً سأل رسول الله ﷺ: (أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه)[٨٩١] فنزلت الآية الكريمة:

﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾[٨٩٢] .

المعاني البلاغية للنداء:

يخرج النداء إلى معانٍ أخرى غير طلب الإقبال والتنبيه منها:

أ ـ التعجب: كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ**﴾[٨٩٣] في قول امرأة إبراهيم عليه السلام (يا ويلتي) لم ترد طلب الإقبال وإنما تعجّبت من تبشيرها بالولادة ولها من العمر ثمان وتسعون سنة ولإبراهيم مائة وعشرون سنة[٨٩٤]. وقال القرطبي: (لم ترد الدعاء على نفسها، ولكن كلمة (يا ويلتي) تدل على التعجب من ولادتها وهي عجوز وبعلها شيخ كبير، فخرج الأمر عن العادة، فهو مستغرب ومستنكر)[٨٩٥] فالنداء خرج إلى معنى التعجب، وهذا مما اعتاد عليه العرب،ويذكر الشيخ الطوسي عن الزجاج (ت٣١١هـ) قوله: (إن العرب إذا اجتهدت في المبالغة في الإخبار عن أمر عظيم يقع فيه جعلته نداءً)[٨٩٦]، فخروج النداء من التنبيه إلى التعجب عن طريق الاستفهام وضّح المراد

---

[٨٨٦] **شرح المختصر، التفتازاني: ٢١٤/١.**

[٨٨٧] **البلاغة والتطبيق، احمد مطلوب: ١٤٠.**

[٨٨٨] **مريم: ٥٢.**

[٨٨٩] **ظ: زبدة البيان، المحقق الاردبيلي: ١٦٥.**

[٨٩٠] **ظ: مجمع البيان، الطبرسي: ٤٢٨/٦+ ظ: تفسير الرازي، الرازي: ٢٣١/٢١.**

[٨٩١] **بحار الانوار، العلامة المجلسي: ٥٣/٨٧.**

[٨٩٢] **البقرة: ١٨٦.**

[٨٩٣] **هود: ٧٢.**

[٨٩٤] **ظ: الكشاف، الزمخشري: ٢٩٥/٢.**

[٨٩٥] **تفسير القرطبي، القرطبي: ٦٩/٩.**

[٨٩٦] **التبيان، الشيخ الطوسي: ١١٥/٤.**

من النص وهو استغرابها للأمر غير المتوقع، وتبيّن المعنى البلاغي لخروج النداء من معناه الحقيقي.

ب ـ الندم والجزع: ففي قوله تعالى على لسان الكافر: ﴿ **يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا**﴾[٨٩٧] فجاء كلامه بحرف النداء والتمنّي بـ(ليت) ومعناه الندم والتوبة على ما كان منه ودخولا في الإيمان[٨٩٨]، يقول صاحب الميزان: (انه تمنّى انه لم يسكن إلى ما سكن واغترت به نفسه وسائر الأسباب التي لم تنفعه شيئا)[٨٩٩]. فالنداء لم يقصد منه التنبيه على نفسه وإنما الندم على شركه بالله تعالى حين لا تنفعه ندامة[٩٠٠] وقال الطبرسي: (انه ندم لفناء ماله، فلم ينفعه الندم)[٩٠١]. وأظهرت صيغة النداء ما في نفسه من حزن وندم على ما عمله في دنياه.

فخروج النداء على غير مقتضاه أوضح لنا المقصود من قوله تعالى وهذه هي الغاية التي يطمح لها علم المعاني في أحد أساليبه لتوضيح صورة النص القرآني.

جـ ـ الاستهزاء والتهكم: كقوله تعالى على لسان الكافرين:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ**﴾[٩٠٢] النداء منهم بقصد الاستهزاء بالرسول ﷺ وبما أنزل عليه، فهم قد أقرّوا بنزول الذكر إليه، ولكنهم نسبوه إلى الجنون، والتهكم واضح في كلامهم[٩٠٣]. فكأنّهم يقولون: (إنك مجنون في دعواك بأنه أنزل إليك الذكر، ولم تكن ممن يقرأ وفي توهمك انّنا نتبعك)[٩٠٤]. فالنداء جاء منهم للسخرية والتهكم من الرسول ﷺ، ولم يذكر اسمه أو صفته استهزاءً به فخروج النداء إلى هذا المعنى البلاغي أوضح مراد الله تعالى من قول المستهزئين، فإنهم لم يقصدوا مناداته وإنما السخرية منه ومن دعوته، بأسلوب من أساليب

---

[٨٩٧] **الكهف: ٤٢.**

[٨٩٨] **ظ: الكشاف، الزمخشري: ٦٩٦/٢.**

[٨٩٩] **الميزان، السيد الطباطبائي: ٣٠٧/٣.**

[٩٠٠] **ظ: التبيان، الشيخ الطوسي: ٤٨/٧.**

[٩٠١] **مجمع البيان، الطبرسي: ٣٤٤/٦.**

[٩٠٢] **الحجر: ٦.**

[٩٠٣] **ظ: الكشاف، الزمخشري: ١١/٣..**

[٩٠٤] **ظ: التبيان، الشيخ الطوسي: ٣١٨/٦+ ظ: مجمع البيان، الطبرسي: ١٠٣/٦.**

المعاني الذي أوضح لنا المعنى المقصود من قوله تعالى.

ويأتي النداء لأغراض أخرى كثيرة، فيها حسّ بلاغي، فلا يؤدي معنى التنبيه بل معان أخرى مثل: الحسرة، والندم، والتكريم، والتشهير، والاختصاص أو إلى التحسر والتوجع أو الإغراء والتحذير[٩٠٥]،تسهم في تفسير النص القرآني .

التعبير بالخبر عن الإنشاء وبالإنشاء عن الخبر:

وهو مقصد بلاغي، القصد منه التنويع في الكلام والتأثير في المخاطب وجذب انتباهه، فالخبر قد يراد منه الإنشاء لغرض التفاؤل مثلا أو إظهار الرغبة في حدوث الشيء، أو الاحتراز عن صورة الأمر تأدُّبا واحتراما للمخاطب وغالبا ما تأتي هذه الصيغ بلفظ الماضي، دلالة على أن الأمر حاصل فعلا لازدياد الرغبة فيه[٩٠٦]، ويعلل مجيئها هكذا من باب الأدب والذوق اللذين يقودان المتكلم إلى العزوف عن الأمر، ولاسيّما أمر الكبير العظيم، وفي هذا الاستعمال ما يدل على الأدب واللطف والبلاغة التامّة[٩٠٧].

ويعبّر بالإنشاء عن الخبر لأغراض منها:

أ ـ الاهتمام بالشيء، كقوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾[٩٠٨] أي (بإقامة وجوهكم)[٩٠٩]، وهذا العدول من الخبر المحتمل للصدق والكذب إلى الإنشاء ينبّه إلى وجوب الاهتمام بالمأمور به والحرص على تحقيقه، والإشعار بقيمة الصلاة وأثرها، وجليل قدرها في الدين وعناية بها[٩١٠].

ب ـ الرضا بالواقع كأنه مطلوب، كقول الرسول ﷺ (من كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار)[٩١١]، عدل إلى الأمر للدلالة على انه مطلوب، وفيه وعيد وتحذير وزجر[٩١٢].

---

[٩٠٥] ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٣٣٣ـ٣٣٧+ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ١٢٨ـ١٣٤.

[٩٠٦] ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٤١.

[٩٠٧] ظ: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري أمين: ١٢٠/١.

[٩٠٨] الاعراف: ٢٩.

[٩٠٩] تفسير الثعالبي،الثعالبي:٢١/٣ .

[٩١٠] ظ: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري أمين: ١٢١/١.

[٩١١] السرائر: ابن ادريس الحلي: ١٥٤/٢.

[٩١٢] ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٣٤٣.

جـ ـ الاحتراز عن مساواة اللاحق بالسابق كقوله تعالى: ﴿ **قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ**﴾[٩١٣] فقوله: (اشهدوا) احتراز عن مساواة شهادتهم بشهادة الله تعالى، وفيه تعظيم لهود عليه السلام وإعلاءً لشأنه وتحقير للكفرة المشركين، وأبرزه الحال في صورة الآمر الذي يوجّه أوامره إليهم، وعليهم الخضوع والإذعان والاستجابة لما يأمر به[٩١٤] فاحترز عن مساواة السابق باللاحق بالعدول من صيغة الخبر إلى الإنشاء الطلبي ترفعا واعتزازا[٩١٥].

والكلام الجيّد هو الذي يتنوع فيه الأسلوب بين الخبر والإنشاء، مما يجذب السامع ويحرّك فكره، فالمواقف التي تحتاج إلى حدّه وانفعال وإثارة وتحريك يورد فيها الأساليب الإنشائية، أما مواطن السرد والحكاية فيورد بها الجمل الخبرية[٩١٦].

فنرى أن الخبر بمباحثه من حيث خروجه إلى غير مقتضى الظاهر وأغراضه البلاغية التي خرج إليها، قد أثرت في تفسير النصوص القرآنية وتغيير ملامحها، وإذا انتقلنا إلى مباحث الإنشاء الطلبي من أمر ونهي واستفهام وتمنٍ ونداءفنرى أن لكل أسلوب اسهامة مضيئة في رسم ملامح النصوص القرآنية وإضفاء المعنى البلاغي لها، فهي تقرّب النص من الذهن وتحرّك النفس له مما يكوّن جوّا ملائما للاستيحاء من هذه الأساليب ملامح تفسيرية تساهم في الوصول إلى مراد الله تعالى من نصوصه الكريمة، حيث يتوقف معنى هذه النصوص على هذه الأساليب البلاغية، وعبرها نتوصل حتما إلى القول بالإعجاز القرآني الذي أسهم في تطوّر هذه الأساليب عبر نصوصه الكريمة الثريّة بكل علم يحتاجه الإنسان في التوصُّل إلى معرفة تفسيرها.

---

[٩١٣] **هود: ٥٤.**

[٩١٤] **ظ: الانتصاف فيما تضمنه الكشاف، ابن منير الاسكندري: ٢/٢٧٦.**

[٩١٥] **ظ: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، د. بكري أمين: ١/١٢١.**

[٩١٦] **ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٣٤٣- ٣٤٤.**

الفصل الثالث
الوظائف التفسيرية المتخصصة بعلم المعاني

- **المبحث الأول: الوظيفة التفسيرية التشريعية.**
- **المبحث الثاني: الوظيفة التفسيرية الفقهية.**
- **المبحث الثالث: الوظيفة التفسيرية العقائدية.**

في الفصل الثاني استعرضنا اثر أساليب المعاني (من فصل ووصل وتقديم وتأخير وحذف وذكر وإيجاز وإطناب) في ملامح التفسير. ورأينا ما لقدرة هذا العلم في توكيد المعنى وتقويته أو إيضاحه وإزالة الإبهام عنه أو تخصيصه، ومن ثم أثره في التوصل إلى القول بإعجاز كتاب الله تعالى.

ومثلما كان له هذا الأثر في رسم ملامح التفسير، فله الأثر كذلك في توضيح الجوانب الأخرى من القرآن الكريم كأصول التشريع ومعرفة الأحكام الفقهية والعقائدية، وهذا ما سنبحثه في هذا الفصل إن شاء الله.

المبحث الأول
الوظيفة التفسيرية التشريعية

أولا: حجية الكتاب.

ثانيا: حجية السنة.

ثالثا: حجية الإجماع.

رابعا: حجية العقل.

أولا: حجية الكتاب:

الكتاب: (المراد به كتاب الله عز وجل الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ ألفاظا ومعاني وأسلوباً، واعتبره قرآنا دون أن يكون للنبي ﷺ دخلٌ في انتقاء الفاظه أو صياغته)[٩١٧].

أما الحجية فتعني في مصطلح علم الأصول: (هي كون الدليل صالحا لاحتجاج المولى به على العبد بقصد مؤاخذته إذا لم يعمل العبد به، ولاحتجاج العبد به على المولى بقصد التخلص من العقاب إذا عمل به، فكل دليل له هذه الصلاحية من كلتا الناحيتين يُعد حجة، إذ أن ظهور كلام المولى من هذا القبيل)[٩١٨].

ومن الآيات الكريمة التي أسهم علم المعاني في تفسيرها والتي تدلّ على حجية الكتاب.

١ـ قوله تعالى: ﴿**الم *تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[٩١٩] قوله تعالى: ﴿ **لاَ رَيْبَ فِيهِ**﴾ خبر والمراد منه الإنشاء أي (لا ترتابوا)[٩٢٠] والريب هو الشك، أي انه لا شك فيه بأنه منزّل من رب العالمين[٩٢١]. (كما جاء في التبيان والمجمع) أن هذا الكتاب حجّة لكم من ربِّ العالمين، وليس هناك شك في تنزيله[٩٢٢]. فالتأكيد في الآية بقوله (لا ريب فيه) جعل معناها واضحا قويا يدل دلالة قاطعة على نزول القرآن الكريم من رب العالمين وانه لا شكّ فيه بأنه كلام الله المنزل على نبينا محمد ﷺ ، وهو حجّة علينا في إتباع ما جاء فيه لأنه أصل التشريع وأساسه[٩٢٣]. وهنا نجد اسهامة علم المعاني في إثبات حجيّة الكتاب الكريم من خلال التوكيد والتقديم بقوله (لا ريب فيه) حيث قدّم (لا ريب) على الظرف لإزالة كل ريب وشكّ من كتابه الكريم والكتب الأخرى المنزلة منه تعالى.

---

[٩١٧] الأصول العامة للفقه المقارن، السيد محمد تقي الحكيم: ٩٩.

[٩١٨] المعالم الجديدة للاصول، السيد محمد باقر الصدر. هامش: ١٠.

[٩١٩] السجدة: ١ــ٢.

[٩٢٠] التبيان الشيخ الطوسي: ٢٩١/٨+ مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٩٨/٨.

[٩٢١] ظ: فتح القدير، الشوكاني: ٢٤٧/٤.

[٩٢٢] ظ: التبيان، الشيخ الطوسي: ٢٩١/٨+ ظ: مجمع البيان الطبرسي: ٩٨/٨.

[٩٢٣] ظ: التبيان، الشيخ الطوسي: ٢٩١/٨.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى *إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾[٩٢٤] ففي قوله تعالى (**إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**) قصر كلام الله تعالى على الوحي[٩٢٥]، وفي طريقة القصر (إن وإلا) تأكيد قوي على الآية التي قبلها (**وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى**) في نفي الهوى عن كلام الرسول ﷺ واثبات نزوله من الله تعالى وإلقائه في نفسه، فهو لا يقول إلا ما يمليه عليه الوحي، وهو مبلّغ رسالة الإسلام للعباد ولا ينطق عن ميل في نفسه، أو يقول كلاما من نسج فكره[٩٢٦] (فيما يخص أحكام الله تعالى)[٩٢٧] وجاء في الميزان: إن مقتضى الكلام هو نفي الهوى عن مطلق نطقه ﷺ في دعوته إلى الله تعالى، وفيما يتلوه من القرآن الكريم فهو فليس من رأيه أو من هوى في نفسه[٩٢٨].

فجاء أسلوب القصر (وهو أحد أساليب علم المعاني) لإثبات نزول الكتاب من الله تعالى وان الرسول ﷺ لا ينطق عن هوى في نفسه وإنما يبلغ ما يُوحى إليه، وهو حريص على هذه الأمة التائهة الجاهلة بأن تُسعد بنزول الوحي على رسولٍ صادقٍ أمين ينشر نور الهداية على أمته بالقرآن الكريم الذي هو رحمة للعالمين.

فساعد هذا الأسلوب (عبر النفي والقصر) على إيصال تلك الوظيفة التي أوصلتنا إلى دلالة تشريعية هي حجية أصل التشريع وهو كتاب الله المنزّل على نبيه الكريم محمد ﷺ.

ثانيا: حجية السنة:

السنّة لغة: (هي الطريقة والسيرة، والجمع سنن)[٩٢٩].

وسنن الله:(أحكامه للناس، (بيّنها للناس) وسنَّ سنة، بيّن طريقا قويما، وسنَّ الطريقة: أي سارها)[٩٣٠].

---

[٩٢٤] **النجم: ٣ــ٤.**

[٩٢٥] **ظ: أساليب المعاني، السيد جعفر الحسيني: ١٦٠.**

[٩٢٦] **ظ: الامثل في كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: ١٦٨/١٣.**

[٩٢٧] **منتهى الدراية، محمد جعفر الشوشتري: ١٢٨/٤.**

[٩٢٨] **ظ: تفسير الميزان، السيد الطباطبائي: ٢٧/١٩.**

[٩٢٩] **مجمع البحرين، الشيخ الطريحي: ٤٣٦/٢.**

[٩٣٠] **تاج العروس، الزبيدي: ٢٩٦/٨.**

وفي الاصطلاح: (هي طريقة النبي ﷺ قولا وفعلا وتقريرا، أصالة أو نيابة)[٩٣١]، وفي اصطلاح الامامية: (هي كل ما يصدر عن المعصومين (وهم النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام من قول أو فعل أو تقرير[٩٣٢]. وكان مقصوداً به التشريع والاقتداء ونقل إلينا بسند صحيح يكون حجّة على المسلمين)[٩٣٣]. وقد وردت آيات عديدة في إثبات حجيّة السنّة، لكن البحث عمد إلى تناول الآية الكريمة الآتية المتضمنة لأسلوب من أساليب المعاني (وهو الإنشاء بصيغة الأمر)، فهي خير دليل على حجية سنة المعصومين عليهم السلام قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾[٩٣٤] ففي قوله تعالى: ﴿ **أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾ أسلوب بصيغة الأمر بالطاعة المطلقة فامتثال الأمر طاعة، وليس الطاعة إلا الانقياد، فحصول الانقياد بامتثال الأمر بديهي[٩٣٥] ففي الآية حث على طاعة الله وطاعة الرسول والتمسك بهم في معرفة أحكام الدين[٩٣٦] وإطاعة الرسول هي إتباع سنته فعلا أو تركا[٩٣٧].

وقد أفرد الله تعالى طاعة الرسول عن طاعته، كما ذكر الطبرسي مبالغة في البيان وقطعا لتوهّم من توهّم انه لا يجب لزوم ما ليس في القرآن من الأوامر[٩٣٨]. فطاعة رسول الله ﷺ في أوامره والانقياد لها كطاعة الله تعالى، كما جاء بها القرآن الكريم، وعن الشوكاني(ت١٢٥٥هـ)(انه كرِّر الأمر بالطاعة بوصفه دليلا على الطاعة المطلقة للرسول ﷺ)[٩٣٩]. فطاعة الرسول واجبة لأنه أعطي هذا المقام من جهة الله تعالى، وهذه الطاعة

---

[٩٣١] **مجمع البحرين، الشيخ الطريحي: ٤٣٧/٢.**

[٩٣٢] **الأصول العامة للفقه المقارن، السيد محمد تقي الحكيم: ١٢٢.**

[٩٣٣] **الجمع بين الصلاتين، عبد اللطيف البغدادي: ١٣١.**

[٩٣٤] **النساء: ٥٩.**

[٩٣٥] **ظ: الواقية، الفاضل التوني: ٧١+ ظ: قوانين الأصول، الميرزا القمي: ٨٨.**

[٩٣٦] **ظ: الفصول الغروية، الحائري: ٢٧٧.**

[٩٣٧] **ظ: التبيان الشيخ الطوسي: ٢٣٦/٣.**

[٩٣٨] **ظ: مجمع البيان، الطبرسي: ١٣٣/٣.**

[٩٣٩] **فتح القدير الشوكاني: ٤٦/٤.**

تكون بإتباع سنته[٩٤٠]، فالكتاب والسنّة متلازمان، فمن عرف كتاب الله فسيعرف منزلة الرسول ﷺ فيه فيلتزم بإتباع سنته ومن عرف سنة الرسول ﷺ فسيعرف منها أوامر الله تعالى ووجوب الامتثال لها، فالطاعة تكون لهما معا لأن: ﴿ **مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾[٩٤١]، وهو دليل واضح على إتباع سنة الرسول الأعظم ﷺ وبكل ما جاء به، وكذلك إتباع أوصياءه الذين قال فيهم الله تعالى: ﴿ **وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[٩٤٢] فلم يفصل طاعتهم عن طاعة الرسول ﷺ إشارة منه بأنهم هم والرسول واحد[٩٤٣]. فعن أبي جعفر عليه السلام كما جاء في تفسير فرات الكوفي (أولي الأمر هم آل محمد ﷺ)[٩٤٤]، وعنه عليه السلام قال: (أولي الأمر إيّانا عني خاصة، وأمر جميع المؤمنين إلى يوم القيامة بطاعتنا)[٩٤٥]، فبدأ الله تعالى بالطاعة لنفسه ثم برسوله ثم بأهل بيته[٩٤٦].

وطاعة أولي الأمر بعد الرسول ﷺ تؤكد أنهم موجودون في كل زمان إلى يوم القيامة، وطاعتهم تعني الامتثال لهم لأنهم أمراء الحق وأئمة الهدى المعصومون من الخطأ والزلل[٩٤٧]. فأولوا الأمر الذين وصل الله طاعتهم بطاعة الرسول ﷺ في الآية الكريمة، لا بدّ أن يكونوا هم المصطفين الذين أختارهم الله من بين عباده وطهّرهم من الرجس بأمره وقدرته وقال عنهم ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[٩٤٨]، والذي يستحق أن يطاع من البشر كطاعة رسول الله ﷺ هم هؤلاء الأئمة الأطهار وهم أهل بيت الرسول ﷺ فالتصريح يوجب الطاعة وقد جاء بأحد أساليب علم المعاني الذي أفاد الأمر مطلقا ،غير مقيّد بزمان أو مكان أو أمة معيّنة، بل هو أمر لجميع

---

(٩٤٠) **ظ: الامثل، الشيرازي: ٣٨٨/٣.**

(٩٤١) **النساء: ٨٠.**

(٩٤٢) **النساء: ٥٩.**

(٩٤٣) **ظ: تفسير شبر، عبد الله شبر: ١١٧.**

(٩٤٤) **تفسير فرات، فرات الكوفي: ١٠٧.**

(٩٤٥) **الكافي، الشيخ الكليني: ٢٧٦/١.**

(٩٤٦) **ظ: تهذيب الأصول، ،تقرير بحث السيد الخميني، جعفرالسبحاني: ١٣/٣.**

(٩٤٧) **تفسير جوامع الجامع الطبرسي: ٤١٠/١.**

(٩٤٨) **الأحزاب: ٣٣.**

المؤمنين بدليل قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ فوضّح لنا علم المعاني في هذه الآية الكريمة حجيّة سنة رسول الله ﷺ وأهل بيته المعصومين عليهم السلام.

ثالثا: حجية الإجماع:

الإجماع لغة هو: ١ـ العزم (بإحكام النية والعزيمة) ففي قوله تعالى: ﴿ **فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ**﴾[٩٤٩] أي اعزموا، ٢ـ الاتفاق[٩٥٠].

وفي الاصطلاح (عند غير الامامية) (عبارة عن اتفاق أهل الحلّ والعقد من أمّة محمد ﷺ على أمر من الأمور)[٩٥١]. وعند الأمامية، عن صاحب المعالم: هو اتفاق خاص، (وهو اتفاق من يُعتبر قوله من الأمة في الفتاوى الشرعية على أمر من الأمور الدينية، وفي إمكان وقوعه والعلم به وحجيّته، الناس على خلاف فيها)[٩٥٢]. وعند الشيخ البهائي: هو اجتماع المجتهدين (والأنسب هم رؤساء الدين) من هذه الأمّة في عصر على أمر ، و حجيته عندنا لكشفه عن دخول المعصوم بين المجتهدين[٩٥٣].

ويدخل علم المعاني بقوّةٍ في رسم الملامح التفسيرية للنص القرآني، إذ إن من الآيات التي استدل بها (غير الامامية) على حجية الإجماع وفيها احد أساليب المعاني قوله تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا**﴾[٩٥٤] بتقريب: (أن الإجماع حبل الله فيجب الاعتصام به، ولا يجوز التفرق عنه)[٩٥٥]. وفي الآية الكريمة أمر بالتمسك بحبل الله ونهي عن الفرقة والتشتت، والأمر والنهي من أساليب علم المعاني، وفيهما معا يحث سبحانه وتعالى على الاجتماع والتآزر والألفة[٩٥٦].

---

[٩٤٩] يونس: ٧١.

[٩٥٠] لسان العرب، ابن منظور: ٥٧/٨+ تاج العروس، الزبيدي: ٧١/١١.

[٩٥١] المحصول الرازي: ١٩/٤.

[٩٥٢] معالم الدين وملاذ المجتهدين، ابن الشهيد الثاني: ١٧١.

[٩٥٣] ظ: زبدة الأصول، الشيخ البهائي: ٩٧.

[٩٥٤] آل عمران: ١٠٣.

[٩٥٥] الأصول العامة للفقه المقارن، السيد محمد تقي الحكيم: ٢٦٠.

[٩٥٦] ظ: كنز الفوائد، أبو الفتح الكراجكي: ٢٩٩.

وفي قوله تعالى: ﴿ **حَبْلِ اللَّهِ**﴾ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (نحن حبل الله)[٩٥٧].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله انه أشار بيده إلى علي عليه السلام وقال: (هذا حبل الله، من استمسك به نجا واعتصم في دنياه ولم يضلّ في آخرته)[٩٥٨].

وعن فخر الدين الطريحي انه القرآن، فأمر تعالى بلزومه والثبات عليه وترك الفرقة لقول رسول الله صلى الله عليه وآله : (القرآن حبل الله المتين)[٩٥٩] فاستعار له الحبل من حيث أن التمسّك به سببٌ للنجاة عن الردى، كما أن التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردّي[٩٦٠].

وتمام دلالة الآية موقوف على أن يكون الإجماع مصداقا لهذا المفهوم، (والآية لا تتكفل بإثبات ذلك)[٩٦١]، وهذا ما ذهب إليه الغزالي (بأنه دليل على الإجماع ولكنه ليس بالدليل القوي)[٩٦٢].

فمن اتخذ الآية الكريمة دليلا على الإجماع، فقد كان أسلوبا الأمر والنهي دالين وطريقين موصلين إلى رسم الاستدلال على حجيته.

وهنا ظهر دور علم المعاني في توجيه قوى السياق كافة نحو هذا الاستدلال، وبذلك رسم الأمر والنهي ملمحا تفسيريا أوصلنا إلى الغاية التي ذكرت سابقا.

رابعا: حجية العقل:

العقل: (هو وسيلة إدراك يُتوصل بها إلى الحكم الشرعي)[٩٦٣]. وقد عدّه الشيخ المفيد (٤١٣هـ) من الامامية، السبيل إلى معرفة حجيّة القرآن ودلائل الأخبار[٩٦٤]. وعن صاحب السرائر: إن التمسُّك بدليل العقل يُلجأ له إن لم يُتوصل للحكم عن طريق الكتاب أو

---

[٩٥٧] الامالي، الشيخ الطوسي: ٢٧٢+ بحار الانوار، العلامة المجلسي: ٥٢/٢٤.

[٩٥٨] الفضائل، شاذان بن جبريل القمي: ١٠٤.

[٩٥٩] بحار الانوار، المجلسي: ٣١٣/٢.

[٩٦٠] ظ: تفسير غريب القرآن، الطريحي: ٤٥٢.

[٩٦١] الأصول العامة للفقه المقارن، السيد محمد تقي الحكيم: ٢٦٠.

[٩٦٢] المستصفى الغزالي: ١٣٨.

[٩٦٣] الأصول العامة للفقه المقارن، السيد محمد تقي الحكيم: ٢٨٠.

[٩٦٤] ظ: كنز الفوائد، الكراجكي: ١٨٦.

السنّة أو الإجماع[٩٦٥].

وقضية العقل من القضايا المختلف بها لدى المذاهب، فالمعتزلة يعدّوه هو الحاكم، وبذلك يُقدّم على الشرع لديهم أمّا الاشاعرة فلا يعتمدون عليه، وعدّه الامامية طريقا موصلا إلى العلم القطعي[٩٦٦].

وما يهمنا هنا، أن يؤدي أسلوب من أساليب علم المعاني فائدة تُسهم تفسيريا في إثبات حجية العقل، وكيف يكون علم المعاني طريقا موصلا إلى تفسير آيات الذكر الحكيم، وما هي ملامح ذلك التفسير ودلالاته؟ فالعقل لا يخفى دوره في إدراك الحسن والقبح، ويُميّز به الكلام البليغ من غيره، (لأن الأمور العقلية تقرع بالدليل وتدمغ بالبرهان، فيظل الذهن شاخصا نحوها)[٩٦٧].

ولا يخفى دور العقل كونه هو الأساس، والتشبث به إن لم يكن هناك دليل من الكتاب أو السنة أو الإجماع، فيكون العقل هو الدليل للتوصل إلى الحكم الشرعي، أو إلى تفسير قوله تعالى، وكما حكى السيد الحكيم عن جملة من الامامية (إن العقل مصدر الحجج وإليه تنتهي)[٩٦٨].

ولمّا لم يجد البحث دليلا من كتاب الله تعالى على حجيّة العقل، آثر أن يستشهد بآيات في إيجاز الحذف، دلّ العقل فيها على وجود محذوف وعلى تقديره، ومن ثم التوصُّل إلى معرفة المراد من قوله تعالى، ففي الآيتين الكريمتين الآتيتين، يبرز دور العقل، قال تعالى: ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ**﴾[٩٦٩]، وقال عز وجل ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ**﴾[٩٧٠]. فالعقل دلَّ على وجود محذوف في الآيتين، وتقديره يتباين فيهما، ففي الآية الأولى دلَّ العقل على أن المحذوف هو (نكاحهنَّ)، والآية مطلقة في التحريم[٩٧١]، وكما ناسب السيد الخوئي(ت

---

[٩٦٥] ظ: السرائر، ابن إدريس الحلي: ١٨/١.

[٩٦٦] ظ: أصول الفقه، محمد رضا المظفر: ٢٠٩/٢.

[٩٦٧] الصورة الفنية في المثل القرآني، د. محمد حسين الصغير: ٢٢٢.

[٩٦٨] الأصول العامة للفقه المقارن، السيد محمد تقي الحكيم:٢٩٩.

[٩٦٩] النساء: ٢٣.

[٩٧٠] المائدة: ٣.

[٩٧١] ظ: خلاصة الإيجاز، الشيخ المفيد: ٣١+ ظ: فتح القدير ،الشوكاني: ٤٤٤/١.

١٤١٢): (إنما هو تحريم النكاح فقط دون النظر والتكلم)[٩٧٢].

أما الآية الثانية فالمحذوف بدليل العقل، تقديره (تناولها)[٩٧٣].

وجاء في الغنية: (إن التحريم يشمل مطلق الانتفاع بأكل أو بيع أو غيره)[٩٧٤]. ففي الآيتين دلّنا العقل على وجود محذوف، لأن الحرمة إنما تتعلق بالأفعال دون الأعيان[٩٧٥].

فالحذف بوصفه أسلوبا من أساليب المعاني أظهر هنا دور العقل في التفكّر والتأمّل وتقدير المحذوف، لأن العقل هو حجّة باطنة كما يقول عنه الإمام الكاظم عليه السلام: (إن لله على الناس حجتين: حجّة ظاهرة وحجّة باطنة، أما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام وأما الباطنة فالعقول)[٩٧٦]، فإظهار حجة العقل من خلال علم المعاني تجلّى بأسلوب الحذف، (فالعقل دلّ على المحذوف وعلى الأظهر تقديره)[٩٧٧]. وميّز بين التقديرين، فكان هو القرينة على الحذف، ولا يمكن هنا الاستغناء عنه في رسم ملامح التفسير للنص القرآني السابق، وهنا تجلّت القدرة الاعجازية في اختيار الأسلوب الملائم لبنية النص القرآني، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾[٩٧٨]، حمل العلماء الآية الكريمة على خلاف ظاهرها في قوله تعالى: ﴿ **وَجَاءَ رَبُّكَ**﴾ لقيام القرينة العقلية على خلافها[٩٧٩]. فالعقل دلّ على وجود حذف لاستحالة مجيء الباري عقلا، فالباري لا يوصف بالمجيء والذهاب لأنها من صفات المحدودية[٩٨٠] (تعالى سبحانه عن ذلك)، ودلّ العقل كذلك على تعيين المحذوف[٩٨١]، فتقديره (أمر ربك أو عذابه أو بأسه)[٩٨٢]، يقول

---

[٩٧٢] مصباح الفقاهة، السيد الخوئي: ٢٢٧/١.

[٩٧٣] ظ: تفسير الرازي، الرازي: ٢٥/١٠.

[٩٧٤] غنية النزوع، ابن زهرة الحلبي: ٤٣.

[٩٧٥] ظ: مختصر المعاني، التفتازاني: ١٧٥.

[٩٧٦] الكافي، الشيخ الكليني: ١٦/١.

[٩٧٧] البلاغة والتطبيق، احمد مطلوب: ١٨٥.

[٩٧٨] الفجر: ٢٢.

[٩٧٩] ظ: صراط النجاة، الميرزا جواد التبريزي: ٤٤٥/٣.

[٩٨٠] ظ: التوحيد، الشيخ الصدوق، ١٦٢+ ظ: الاحتجاج، الشيخ الطبرسي: ١٩٣/٢.

[٩٨١] ظ: أساليب المعاني، السيد جعفر الحسيني: ٤٣٨.

[٩٨٢] الاعتقادات، الشيخ الصدوق: ١٦٢+ الاحتجاج، الشيخ الطبرسي: ١٩٣/٢.

الرازي: (واعلم انه ثبت بالدليل العقلي، إن الحركة على الله مُحال لأنه ليس بجسم، فلا بدَّ من التأويل، وهو من باب حذف المضاف واقامة المضاف إليه مقامه وفي تقديره وجوه: فهو أما وجاء أمر ربك بالمحاسبة والمجازاة، أو جاء قهر ربك، أو جاء جلائل آيات ربك أو جاء ظهور ربك لأن معرفته يصير في ذلك اليوم ضرورية فصار ذلك كظهوره وتجليه للخلق، أو هو تمثيل لظهور آيات الله وتبيين آثار قهره وسلطانه، أو أن الرب هو المربي ولعله اسم ملك فبحضوره كان المراد من قوله تعالى (وجاء ربك)[٩٨٣].وذهب صاحب التفسير الأمثل (إن المجيء هنا كناية عن حضور الأمر الإلهي لمحاسبة الخلائق أو ظهور آيات عظمة الله تعالى أو ظهور معرفته تعالى بشكل قوي وواضح، وكأن الجميع ينظرون إليه بأمِّ أعينهم)[٩٨٤].

والعقل دلَّ على أصل الحذف لاستحالة مجيء الباري عقلا (فالمجيء من سمات الحدوث والأجسام)[٩٨٥]، وهكذا أفادنا العقل في تعيين المحذوف والدلالة عليه، وهنا وإن لم نأتِ بآية تدلّ على حجية العقل، ولكن الآيات الكريمة التي مرّت، دلّت على إلزامنا بحجية العقل بوصفه وسيلة إدراك للتوصُّل إلى الحكم الشرعي من خلال التأمُّل في المحذوف والتيقن من وجود حذف والركون إلى تقديره (فكل آية تقوم القرينة على خلاف ظاهرها يجب صرفها عن ظاهرها بمقتضى العقل)[٩٨٦].

وهكذا أفدنا من علم المعاني بآيات مثبتة لحجية الكتاب الكريم والسنة والإجماع، وقد أفدنا من الآيات الأخيرة على دور العقل وأهميته في تفسير وحجة الآيات القرآنية الكريمة.

---

[٩٨٣] تفسير الرازي، الرازي: ١٧٤/٣١.

[٩٨٤] الامثل في كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: ١٩٣/٢٠.

[٩٨٥] ظ: البرهان ،الزركشي: ١٠٩/٣.

[٩٨٦] صراط النجاة، الميرزا جواد التبريزي: ٤٤٥/٣.

المبحث الثاني
الوظيفة التفسيرية الفقهية

أولا: العبادات.

ثانيا: المعاملات.

ثالثا: الإيقاعات.

رابعا: الأحكام.

وفي مجال الدلالة الفقهية، فقد وردت آيات قرآنية ،أسهم فيها علم المعاني على تكوين أحكاما فقهية، والبحث ليس بصدد إحصاءها، بل في تبيان دلالتها التفسيرية على هذه الأحكام، مع الإشارة القليلة إلى آراء المذاهب، وسيتوقف على نماذج منها مبتدأ بالعبادات:

أولا: العبادات:

١ـ في وجوب الترتيب في الوضوء: قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**﴾[٩٨٧]، في الآية الكريمة ترتبت أعضاء الجسم في الوضوء بتقديم أحدهما على الآخر، وهو مما أفادنا به علم المعاني بأسلوب التقديم ووجوب الابتداء بغسل الوجه فاليدين ثم مسح الرأس فالرجلين (وهو المتعارف عندنا في الوضوء)، ومجيء الواو العاطفة التي وصلت بين أعضاء الوضوء، هي السبب في ترتيب هذه الأعضاء (وهو ما قال به الفرّاء من النحويين)[٩٨٨]، وقال ابن مالك (ت٦٧٢هـ): (وكونها للترتيب كثير، وهو مذهب الكوفيين)[٩٨٩].

ومثلها الفاء التي توجب الترتيب بلا خلاف[٩٩٠] (وإذا وجبت البداية بالوجه وجبت في باقي الأعضاء لأن أحدا لم يفصل)[٩٩١]، واختلفت المذاهب في وجوب الترتيب، فالامامية قالوا بوجوب الترتيب في الوضوء[٩٩٢] (وقال الشافعي بمثل ذلك)[٩٩٣] (إلا في تقديم غسل اليد اليمنى على اليسرى) [٩٩٤].

---

[٩٨٧] **المائدة: ٦.**

[٩٨٨] **مغني اللبيب، ابن هشام الانصاري: ٢/٣٥٤.**

[٩٨٩] **شرح ابن عقيل، ابن عقيل الهمذاني: ٢/٢٢٥.**

[٩٩٠] **مغني اللبيب، ابن هشام الانصاري: ٢/٣٥٤.**

[٩٩١] **الخلاف، الشيخ الطوسي: ١/٩٥.**

[٩٩٢] **ظ: م.ن.**

[٩٩٣] **مغني المحتاج، الشربيني: ١/٥٤.**

[٩٩٤] **كتاب الأم، الشافعي: ١/٤٥**

ودليل الامامية، الآية المذكورة، وإجماع الفرقة[٩٩٥]، وكذا قوله ﷺ (ابدءوا بما بدأ الله به)[٩٩٦]، وقول الإمام الرضا عليه السلام: (لا تقدم المؤخر من الوضوء ولا تؤخر المقدّم، لكن تصنع كل شيء على ما أمرت)[٩٩٧].

وقال أبو حنيفة: (الترتيب غير واجب في الوضوء)[٩٩٨]، وبه قال مالك[٩٩٩]. ودليلهم هو ظاهر الكتاب، فعندهم: إن الواو لا تقتضي الترتيب، فحتى لو استعان الشخص بأربعة غسلوا أعضاءه دفعة واحدة ونوى هو صح وضوءه[١٠٠٠] فأفاد أسلوب التقديم في وجوب ترتيب غسل الأعضاء في الوضوء، بدليل وضوء النبي ﷺ واجماع أهل البيت عليهم السلام [١٠٠١]، والتقديم جاء بحسب الرتبة، لذا يجب القيام به كما نزل في القرآن الكريم، وبهذا أفادنا علم المعاني عبر أسلوب الأمر أولا ثم الوصل ثانيا، لأن للجملة الأولى محل من الإعراب وقصد إلى إشراك الجملة الثانية في الحكم الإعرابي: ﴿ **فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ**﴾ بمعنى واغسلوا أيديكم، ثم قوله تعالى: ﴿ **وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ**﴾ بمعنى وامسحوا بأرجلكم، ثم اقتران الجمل بالواو العاطفة (التي أفادت الترتيب) أسهم في ترتيب هذا الفعل، فلو لم تقدّم هذه الأجزاء بعضها على بعض في الآية الكريمة لكان الأمر عشوائيا ولفعل كل مُكلّف ما يريده، ولكنه تعالى جعل لكل فعل ضابط وترتيب كي لا يضلّ العباد، ومن هنا أسهم علم المعاني في إيضاح المعلم التفسيري للنص القرآني السابق، ولولا هذا الأسلوب لا يتحقق المراد، لذلك كان رافدا اعجازيا من روافد الإعجاز في الأسلوب القرآني الكريم.

٢ـ في الصلاة الوسطى:

---

[٩٩٥] ظ: الخلاف، الشيخ الطوسي: ٩٦/١.

[٩٩٦] التهذيب، الشيخ الطوسي: ٩٦/١+ سنن الدار قطني، الدارقطني: ٢٥٤/٢.

[٩٩٧] مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ٣٠٣/١.

[٩٩٨] الجوهر النقي، الماردِيني: ٨٤/١.

[٩٩٩] ظ: حاشية الدسوقي، الدسوقي: ٨٤/١.

[١٠٠٠] ظ: الجوهر النقي، الماردِيني: ٨٥/١.

[١٠٠١] ظ: التهذيب الشيخ الطوسي: ٢٣٧/١+ الاستبصار، الشيخ الطوسي: ١٨١/١.

قال تعالى: ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى**﴾[١٠٠٢].

حقيقة الصلاة هي أفعالها التي يقوم بها المكلف، كما أمرنا تعالى بها. والصلاة هي عماد الدين وأصله[١٠٠٣]، فعن رسول الله ﷺ قال: (أول ما ينظر في عمل العبد في يوم القيامة في صلاته، فان قُبلت نظر في غيرها، وإن لم تُقبل لم يُنظر في عمله شيء)[١٠٠٤] وعن أبي جعفر عليه السلام قال: (إذا أحرم العبد المسلم في صلاته أقبل الله إليه بوجهه ووكّل به ملكا يلتقط القرآن من فيه التقاطا، فإذا أعرض أعرض الله عنه ووكله إلى الملك)[١٠٠٥]، وفي الآية الكريمة السابقة حثّ على أداء الصلاة والحفاظ عليها، ثم عطف عليها الصلاة الوسطى، وهو من باب عطف الخاص على العام (فيذكر الخاص من ضمن العام ثم يذكره ثانيا وحده تعظيما له وتنويها بشأنه وإظهارا لفضله)[١٠٠٦]. وهو نوع من الإطناب في مسائل علم المعاني[١٠٠٧]، فلِعِظم شأن هذه الصلاة ذكرت منفردة بعد ذكرها مع الصلوات، واختلف في أي صلاة هي، فقد رُوي عن رسول الله ﷺ انه كان قد قرأ: ((حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر)[١٠٠٨]، وفي تفسير الراوندي، قال النبي ﷺ يوم الخندق: ((شغلونا عن الصلاة الوسطى، ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا)[١٠٠٩]، (وكانوا قد شغلوه عن صلاة العصر)[١٠١٠]. وعن تفسيره أيضا عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**وَقُرْآنَ الْفَجْرِ**﴾[١٠١١] قال: (إنها الصلاة الوسطى)[١٠١٢]. (وبه قال الشافعي

[١٠٠٢] **البقرة: ٢٣٨.**

[١٠٠٣] **ظ: الميزان، السيد الطباطبائي: ٢١٥/١٦.**

[١٠٠٤] **الكافي، الشيخ الكليني: ٢٦٨/٣.**

[١٠٠٥] **بحار الانوار، العلامة المجلسي: ٢٣٣/٧٩+ الامالي، الشيخ الطوسي: ٦٩٣+ مسندرك الوسائل، الميرزا النوري ٣٢/٣.**

[١٠٠٦] **مسالك الافهام، الشهيد الثاني: ٢٣٥/١١.**

[١٠٠٧] **ظ: اساليب المعاني، السيد جعفر الحسيني: ٤٩٠.**

[١٠٠٨] **من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ١٩٦/١+ بحار الانوار، العلامة المجلسي: ٢٧٩/٧٩.**

[١٠٠٩] **صحيح مسلم، مسلم: ٤٣٧.**

[١٠١٠] **فقه القرآن، القطب الراوندي: ١٢١/١.**

[١٠١١] **الاسراء: ٧٨.**

[١٠١٢] **فقه القرآن، القطب الراوندي: ٨٢/١.**

ومالك)[١٠١٣].

واكثر الروايات إنها صلاة الظهر فعن الباقر أو الصادق (عليهما السلام) قال: (صلاة الوسطى صلاة الظهر)[١٠١٤]، وعن أبي عبد الله عليه السلام: (إن الصلاة الوسطى صلاة الظهر، وهي أول صلاة فرضها الله على نبيه صلى الله عليه وآله)[١٠١٥]، وعن أبي جعفر عليه السلام (هي صلاة الظهر، وصلاة الظهر يوم الجمعة هي صلاة الجمعة، وهي أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وآله وهي وسط صلاتين بالنهار، صلاة الغداة وصلاة العصر)[١٠١٦].

وعن العياشي(ت٣٢٠هـ) في تفسيره، عن أبي جعفر عليه السلام: (والوسطى هي صلاة الظهر، وكذلك كان يقرؤها رسول الله صلى الله عليه وآله)[١٠١٧].

وفي الجواهر والتذكرة، أن أكثر الفقهاء: (إنها صلاة الظهر بإجماع المسلمين)[١٠١٨]،

(وهو عن الشيخ في الخلاف)[١٠١٩].

وقال السيد المرتضى، ((انها صلاة العصر عن أهل البيت عليهم السلام وبإجماع الشيعة الامامية، وجاء في قراءة ابن مسعود عن الرسول صلى الله عليه وآله : (وحافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى، صلاة العصر)[١٠٢٠] وسميت وسطى لأنها بين صلاتين من صلاة النهار تقدمت عليها، وصلاتين من صلاة الليل تأخرت عنها)[١٠٢١]. (وبه قال أبو حنيفة)[١٠٢٢].

[١٠١٣] الخلاف، الشيخ الطوسي: ٢٩٤/١.

[١٠١٤] وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ٢٢/٤+ مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ٢٠/١٣.

[١٠١٥] الحدائق الناضرة، المحقق البحراني:٢١/٦+ جواهر الكلام، الجواهري: ١٣/٧.

[١٠١٦] الكافي، الكليني: ٢٧١/٣+ التهذيب، الشيخ الطوسي: ٢٤١/٢.

[١٠١٧] تفسير العياشي، العياشي: ١٢٧/١٢.

[١٠١٨] جواهر الفقه، القاضي ابن البراج: ١٩+ تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي: ٣٨٧/٢.

[١٠١٩] الخلاف، الشيخ الطوسي: ٢٩٤/١.

[١٠٢٠] وسائل الشيعة (الإسلامية)، الحر العاملي: ٦/٣.

[١٠٢١] رسائل المرتضى، الشريف المرتضى: ٢٧٥/١.

[١٠٢٢] الخلاف، الشيخ الطوسي: ٢٩٤/١.

فنستدلّ من أكثر الروايات التي وردت، وما اتفق عليه علماء أهل البيت عليهم السلام وأقوال الأئمة (الباقر والصادق عليهما السلام) إنها صلاة الظهر وهي أول صلاة نزلت على الرسول صلى الله عليه وآله ، كما جاء في الخلاف والتذكرة، كما أسلفنا، ومما جاء عن السيد الخوئي (قده): ((إن الصلاة الوسطى قد فسرت في رواياتنا بصلاة الظهر، وفي بعض القراءات بـ(صلاة العصر) وقد حملت على التقية (كما في الوسائل)[١٠٢٣]، (والأكثر إنها صلاة الظهر التي هي في وسط النهار أو باعتبار توسطها بين الفجر والعصر)[١٠٢٤].

فبهذا الأسلوب (عطف الخاص على العام) نبّهنا الله تعالى إلى أهمية الصلاة الوسطى، بالإضافة إلى وجوب المحافظة على كل الصلوات التي حثنا على إقامتها في آيات أخرى، فقال ﴿**وأقيمُوا الصَّلاَةِ**﴾[١٠٢٥] وقوله على لسان لقمان عليه السلام ﴿ **يا بني أقِمْ الصَّلاَةَ**﴾[١٠٢٦]، ولكنه هنا حثّ بشكل خاص على الصلاة الوسطى ليجتهد الناس فيها نظرا لعظمتها، فنرى إن أسلوب علم المعاني قد فتح لنا نافذة الإيغال في التفسير أعلاه (وهو عطف الخاص على العام) لبيان أهمية هذه الصلاة وما انطوت عليه من رؤى تفسيرية.

٣ـ في قضاء الصوم:

قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾[١٠٢٧]، الآية الكريمة توجب قضاء الصوم لمن كان مريضا أو مسافرا ، وفي الآية حذف، وتقديره (فعليه عدّة) وسبب الحذف هو العناية بالمسند إليه (عدّة) وإظهاره لأن الحكم متوقف عليه[١٠٢٨] وفي قضاء الصوم اختلفت المذاهب بحسب تفسيرهم للآية الكريمة.

فعند أبي حنيفة والشافعي ومالك وعامة الفقهاء هو بالخيار بين أن يصوم ولا يقضي وبين أن يفطر ويقضي بتقدير محذوف آخر في الآية (فافطر فعليه عدّة) فتوقفوا على انه إن أفطر يقضي الصوم، وإن لم يفطر وبقى صائما في حال المرض (المانع من الصوم)،

[١٠٢٣] **كتاب الصلاة، السيد الخوئي: ٢٠/١.**

[١٠٢٤] **م.ن: ١٤١/٢.**

[١٠٢٥] **البقرة: ٤٣.**

[١٠٢٦] **لقمان: ١٧.**

[١٠٢٧] **البقرة: ١٨٤.**

[١٠٢٨] **ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٣٦٩.**

أو السفر فلا قضاء عليه[١٠٢٩].

وقالت الامامية بوجوب القضاء (إن صام في السفر والمرض أو أفطر)[١٠٣٠].

والدليل: قوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿ **فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾[١٠٣١] وإجماع الفرقة، وليس في الظاهر ذكر الإضمار (فأفطر)[١٠٣٢].

وقال داود: (هو بالخيار بين أن يصوم و يقضي وبين أن يفطر ويقضي، فوافق الامامية في وجوب القضاء وخالفهم في جواز الصوم)[١٠٣٣].

والأقوى هو قول الامامية لما فيه من حجج قوية على إثبات قولهم (كما تقدم).

فالمحذوف أظهر لنا الاهتمام بقوله (عدّة) حيث تعلّق الحكم الشرعي بها، فنرى أن علم المعاني بأساليبه قد وضّح لنا أحكاما شرعية لم تكن لتنجلي بهذا الوضوح لولا حذف المسند وإظهار العناية بالمسند إليه.

٤ـ الخمس:

في باب الخمس، قال تعالى: ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾[١٠٣٤].

الخمس: (هو حق مالي يثبت لبني هاشم بالاصل، عوض عن الزكاة، وهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع)[١٠٣٥]. وفي قوله تعالى: ﴿ **فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ**﴾ تقديم للفظ الجلالة للتبرك باسمه والتأكيد على شأن الخمس[١٠٣٦]، وان لله سهم فيه، فقسمة الخمس تكون

[١٠٢٩] ظ: مغني المحتاج، الشربيني: ٤٣٨/١+ظ الثمر الداني، الآبي الزهري: ٢٩٥+ ظ: الجوهر النقي، الماردیني: ٢٤٧/٤.

[١٠٣٠] المقنع، الشيخ الصدوق: ١٨٢+ الخلاف، الشيخ الطوسي: ٢٠١/٢+ تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي: ٩١/٦.

[١٠٣١] البقرة: ١٨٤.

[١٠٣٢] ظ: الخلاف، الشيخ الطوسي: ٢٠١/٢.

[١٠٣٣] المحلى: ابن حزم: ٢٤٣/٦.

[١٠٣٤] الانفال: ٤١.

[١٠٣٥] مدارك الأحكام، السيد محمد العاملي: ٣٥٩/٥.

[١٠٣٦] ظ: الاتقان،السيوطي :٣٥/٢

على ستة أقسام (على رأي الامامية) ، فسهم لله وسهم لرسوله وسهم لقرباه، وهذه الاسهم للامام يصرفها في مؤونته ومؤونة من يلزمه نفقته، ثم سهم اليتامى وسهم المساكين وسهم ابن السبيل فمصروفة إلى من كان بهذه الصفات من أهل بيت رسول الله ﷺ خاصّة دون سائر الناس، فان سائر الناس لهم الزكاة التي تُحرم على أهل بيت الرسول ﷺ .[١٠٣٧]

فعن الإمام الصادق عليه السلام (أن الله تعالى لما حرّم علينا الصدقة أنزل لنا الخمس، فالصدقة علينا حرام والخمس لنا فريضة والكرامة لنا حلال)[١٠٣٨].

واختلفت المذاهب الأخرى في تقسيمه ، فعند الشافعي: إن أربعة أخماس للرسول وخمس للفقراء والمساكين وابن السبيل[١٠٣٩]. وعند أبي حنيفة: إن سهم رسول الله كان بسبب النبوّة، ولم ينتقل سهمه إلى أحد، وكذلك سهم ذي القربى، فقد سقط بوفاة الرسول ﷺ ، وبقي مصرف اليتامى والمساكين وابن السبيل، والخلفاء كانوا يقسمون الخمس على ثلاثة أسهم[١٠٤٠]. (والخمس يجب على الفاضل من مؤونة الحول من كل مستفاد بتجارة أو صناعة أو زراعة أو غيرها، وفي المال الذي لم يُميَّز حلاله من حرامه، وفي الأرض التي يبتاعها الذمي من المسلم)[١٠٤١].

فتقديم لفظ الجلالة على (المسند إليه) أكد على كيفية تقسيم الخمس وبأن لله سهمٌ فيه، فضلا عن تعظيم شأن الخمس والتنبيه له، فتقدّم لفظ الجلالة من جهة الاهتمام به بحسب علم المعاني والتنبيه على الخبر من جانب آخر، أفادنا في تبيان أهمية فرع من فروع الإسلام وإظهار مجالات تقسيمه وصرفه، فكان مكوّنا أساسا في بناء النص القرآني ومن خلاله رسمت المعالم التفسيرية للنص.

٥ـ الجهاد:

ولعلم المعاني أثرٌ في رسم معالم بنية النص من جهة وارشادنا إلى تفسيره من جهة

[١٠٣٧] **ظ: الاقتصاد، الشيخ الطوسي: ٢٨٣.**

[١٠٣٨] **وسائل الشيعة(ال البيت)،الحرالعاملي:٩/٢٧٠**

[١٠٣٩] **ظ: كتاب الأم، الشافعي: ٤/١٤٥+ ظ: الاقناع، الشربيني: ٢/٢١٨.**

[١٠٤٠] **ظ: المبسوط، السرخسي: ٣/١٧+ ظ: الجوهر النقي، المارديني: ٦/٢٩٥.**

[١٠٤١] **كتاب الخمس، الشيخ مرتضى الانصاري: ٧٥.**

أخرى، كما هي الحال في الحث على الجهاد، ففي قوله تعالى: ﴿**لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً**﴾[١٠٤٢]، الجهاد: (هو استفراغ الوسع والجهد فيما لا يرتضي، وهو أما مجاهدة العدو الظاهر أو الشيطان أو النفس ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ**﴾)[١٠٤٣][١٠٤٤].

في قوله تعالى: ﴿ **غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ**﴾ أسلوب من أساليب علم المعاني، وهو الإطناب بواسطة التكميل (الاحتراس) فوضحّت الآية من هم القاعدون، وهم الذين ليس بهم ضرر والذين آثروا الدعة والرفاهية على مقاساة الحر والمشقة بلقاء العدو، واستثنت أولي الضرر (من مرض أو ذهاب بصر أو مانع آخر) فلا جهاد عليهم[١٠٤٥]. (وأكثر المفسرين إنها نزلت في رجل أعمى يدعى ابن أم مكتوم)[١٠٤٦].

وفي الآية تنبيه للقاعد لما بينه وبين المجاهد من البون ليأنف القعود ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد، ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته لما فيه من الثواب ورفعة المنزلة[١٠٤٧] (والله تعالى فاضل بين المجاهدين والقاعدين بجملة خبرية فدلّ على أن الجميع جائز وان كان فضل الجهاد عظيما)[١٠٤٨]، (ولكن القعود عنه جائز)[١٠٤٩] فهو فرض كفاية وليس فرض عين،(فلو قام به جماعة سقط عن الباقين)[١٠٥٠] والآية وضّحت إن أولي الضرر من القاعدين لا يأثمون بالتخلف ،ووعدهم بالحسنى ﴿**وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى**﴾[١٠٥١] لأنهم لم يتخلفوا لشكّ أو لسوء النيّة ولكن لعارض ألمّ بهم[١٠٥٢].

[١٠٤٢] **النساء: ٩٥.**

[١٠٤٣] **الحج: ٧٨.**

[١٠٤٤] **تاج العروس، الزبيدي: ٤٠٧/٤.**

[١٠٤٥] **ظ: التبيان، الشيخ الطوسي: ٢٩٩/٣.**

[١٠٤٦] **تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ٥٣٥/١+ لباب النقول، السيوطي: ٧٨..**

[١٠٤٧] **ظ: الكشاف، الزمخشري: ٥٤٢/١..**

[١٠٤٨] **الخلاف، الشيخ الطوسي: ٥١٧/٥.**

[١٠٤٩] **جامع الخلاف والوفاق، علي بن محمد القمي: ٢٢٧.**

[١٠٥٠] **المبسوط، الطوسي: ٢/٢+ المجموع، محيي الدين النووي: ٢٦٦/١٩.**

[١٠٥١] **النساء: ٩٥.**

فالآية دلّت على سقوط الجهاد عن المعذورين ولكن ثوابهم لا يكون كثواب المجاهدين، بل لهم ثواب نياتهم (إن كانت حسنة)[١٠٥٣].

فجملة (غير أولي الضرر) وضحّت المقصود من القاعدين، فلو لم تُذكر لتوُهم أن القاعدين عموما (الاصحاء والمرضى) لا يتساوون مع المجاهدين، ولكن بهذه العبارة التكميلية تجلى مراد الله تعالى، وهو ما أفادنا به هذا الأسلوب من أساليب علم المعاني في الحث على الجهاد واستثناء اولي الضرر من القاعدين.

والاطناب وان عُرّف بانه (زيادة اللفظ على المعنى لفائدة)[١٠٥٤] فان ذلك في القرآن الكريم لم يتصف بهذه القاعدة، فالكلام استوجب وجود العبارة التي اشرنا اليها لتعصمنا من التوهم، وهذا بحد ذاته يعد إعجازا، فالإطناب في القرآن الكريم ليس فيه زيادة لفظ وإنما الألفاظ كلها تكون لفائدة وكأنها مساوية للمعنى المراد.

ثانيا: المعاملات:

ويدخل علم المعاني في تحديد المعاملات بين الناس بنصوص صريحة منها:

ـ في تحريم الربا: قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[١٠٥٥] في الآية خرج النهي إلى النهي عن الفعل مطلقا(بعد ما نزلت آيات في تحريمه)[١٠٥٦]، فلم ينتهوا عنه، فأنزل الله تعالى الآية الكريمة للنهي عنه مطلقا.

الربا: (هو بيع أحد المثلين بآخر مع زيادة عينية أو حكمية، وشرطه الاتحاد في الجنس والكيل)[١٠٥٧].

وفي الآية نهيٌ عن أخذ الربا المضاعف، أي أن زيادة المال تصاعدية بالإضافة إلى رأس المال وبذا يبلغ الدين أضعاف المبلغ الأصلي المدفوع إلى المستدين حتى يستغرق

[١٠٥٢] كتاب الأم، الشافعي: ١٧٦/٤.

[١٠٥٣] شرح مسلم، النووي: ٤٢/١٣.

[١٠٥٤] المثل السائر، ابن الاثير:٨٦/٢

[١٠٥٥] آل عمران: ١٣٠.

[١٠٥٦] ما نزل في سورة البقرة: ٢٧٥، وفي سورة النساء: ١٦١، تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ٢٩١/١.

[١٠٥٧]فقه الصادق، السيد محمد صادق الروحاني: ٩١/١٨.

كل ماله، وجعل الله عقابه النار التي أعدّت للكافرين، فينتظر المرابين ما ينتظر الكافرين[١٠٥٨].

والربا محرّم مطلقا مؤكدا بالكتاب والسنة والإجماع، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ **وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**﴾[١٠٥٩]، ومن السنة الشريفة قول أمير المؤمنين علي عليه السلام عن الرسول صلى الله عليه وآله (لعن رسول الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده، وهم سواء)[١٠٦٠].

ومن الخاصة قول الإمام الباقر عليه السلام: (أخبث المكاسب كسب الربا)[١٠٦١]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: (درهم ربا عند الله اشد من سبعين زنية كلها بذات محرم)[١٠٦٢] ومن الإجماع (فقد أجمعت علماء الأمة على حرمته، ولكل المذاهب)[١٠٦٣].

(فمن ارتكبه جاهلا بحرمته ثم علم، وهب المال، وعليه التوبة لأنه من الكبائر)[١٠٦٤].

فالنهي هنا مطلق عن هذا الفعل المحرّم، ونهيه ثابت إلى يوم القيامة، لئلا يمتنع الناس من القرض وصنع المعروف[١٠٦٥] ولأنه آفة اجتماعية تؤدي إلى تدمير الاقتصاد وبث روح الفرقة والعداوة بين الناس وزيادة الأحقاد وتفتيت المجتمع الذي دأب الإسلام على وحدته ورص صفوفه والنهي المطلق عن هذا الفعل هو الذي أفادنا بهذا المعلم التفسيري، وهو أسلوب من أساليب علم المعاني (الإنشاء الطلبي) ليكون دالة على توضيح الحرمة عن هذا الفعل الفاحش.

ثالثا: الإيقاعات:

[١٠٥٨] ظ: الامثل في كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: ٦٨٨/٢.

[١٠٥٩] البقرة: ٢٧٥.

[١٠٦٠] الكافي، الكليني: ١٤٤/٥.

[١٠٦١] م.ن: ١٤٧/٥.

[١٠٦٢] م.ن: ١٤٤/٥+ وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٤٢٢/١٢.

[١٠٦٣] الجامع للشرايع، يحيى بن سعيد الحلي: ٢٠٢+ مواهب الجليل، الحطاب الرعيني: ٥/٦+ المبسوط، السرخسي: ٧/١٤+ مغني المحتاج، الشربيني: ٢١/٢٠.

[١٠٦٤] المقنع، الصدوق: ٣٧٣+من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٢٧٥/٣+ مختلف الشيعة، العلامة الحلي: ٧٨/٥.

[١٠٦٥] ظ: تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ٢٩١/١.

الإيقاع: (هو عقد من طرف واحد، فيكتفي فيه بالإيجاب (كالعتق والطلاق))[١٠٦٦]، ومن الآيات الكريمة التي دخل فيها علم المعاني مكوّنا في بنيتها، ومن ثم أصبح دالة تفسيرية لها، قوله تعالى: ﴿ **الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**﴾[١٠٦٧]، الطلاق: (هو إزالة قيد النكاح بغير عوض بصيغة طالق)[١٠٦٨]، والآية جاءت بجملة خبرية، والمراد منها الأمر أي: (طلقوا مرتين)[١٠٦٩]، لتفيد في سرعة الامتثال للأمر وكأنه قد وقع فعلا (وهو ابلغ من مجيئه بصيغة الأمر)، وهو ليس إخبارا، فلو كان إخبارا محضا لاحتمل الصدق والكذب، فقد يطلّق الرجل اقل من مرتين[١٠٧٠].

وفي الآية دليل على أن عدد الطلقات ثلاث، فقوله (مرتان) إخبار عن طلقتين (بلا خلاف بين المذاهب) (واختلفوا في الطلقة الثالثة)[١٠٧١]، والطلقتان تكونان بدفعتين[١٠٧٢]، والذي يدلّ على أن الطلاق دفعتان وليس دفعة واحدة: أن العدد إن ذكر عقيب الاسم لم يقتضِ التفريق وان ذكر بعد الفعل اقتضى التفريق، مثل ضربت ضربتين، ولأن الخبر يؤدي معنى الأمر (أي طلقوا مرتين) فيثبت بذلك وجوب التفريق بين الطلقتين[١٠٧٣] أما الثالثة فهي قوله تعالى بعد الآية المذكورة: ﴿ **فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حتى تنكح زوجا غيره**﴾[١٠٧٤] ففي الطلقة الثالثة تحرم على زوجها حتى تنكح زوجا غيره ويطلقها وتنقضي عدتها فيخطبها الزوج الأول للزواج[١٠٧٥] (وهو رأي الأمامية) (وهو الأقوى عند الشيخ)[١٠٧٦]، وعن ابن عباس قال (عن الطلقة الثالثة): (أو تسريح بإحسان)واختاره

[١٠٦٦] **شرائع الإسلام، المحقق الحلي: ٥/١.**

[١٠٦٧] **البقرة: ٢٢٩.**

[١٠٦٨] **شرح اللمعة، الشهيد الثاني: ١١/٦.**

[١٠٦٩] **الانتصار، الشريف المرتضى: ٣٠٩+ الخلاف، الشيخ الطوسي: ٤٥١/٤+ فقه القرآن، القطب الراوندي: ١٧٥/٢.**

[١٠٧٠] **ظ: غنية النزوع، ابن زهرة الحلبي : ٢٧٦+ ظ: السرائر، ابن ادريس الحلي: ٦٦٢/٢.**

[١٠٧١] **السرائر، ابن ادريس الحلي: ٦٦٢/٢.**

[١٠٧٢] **ظ: غنية النزوع، ابن زهرة الحلبي: ٢٧٦.**

[١٠٧٣] **ظ: الخلاف، الشيخ الطوسي: ٤٥٠/٤+ جامع الخلاف والوفاق، علي بن محمد القمي: ٤٨٢.**

[١٠٧٤] **البقرة: ٢٣٠.**

[١٠٧٥] **ظ: الينابيع الفقهية، علي أصغر مروارید : ٣/٣٩.**

[١٠٧٦] **المبسوط، الشيخ الطوسي: ٢/٥+ المهذب البارع، ابن فهد الحلي: ٤٤٠/٣.**

الشافعي وأصحابه[١٠٧٧].

والمفهوم من الآية الكريمة، أن الطلاق الرجعي الذي يجوز للزوج الرجوع فيه هو مرتان أي تطليقتان فيهن رجعة، أما التطليقة الثالثة فهي المحرّمة.

وبهذا أفادنا علم المعاني في خروج الخبر إلى معنى الأمر وتبيان وإيضاح عدد الطلقات التي يحلّ للزوج الرجوع فيها، ومتى يُحرم عليه ذلك، وخروجه إلى الخبر للمبالغة في ايجاب إيجاد المأمور به فيجعله كأنه موجود فهو يخبر عنه[١٠٧٨] والآية أفادت تنظيم الطلاق لأنهم كانوا في صدر الإسلام يطلقون بغير عدد.

فالآية حددت عدد الطلقات التي يحل للزوج مراجعة طليقته فيه، فكان هذا الجهد التفسيري قد رسم لنا علم المعاني معالمه عبر الخبر الذي لم يكن إخبارا محضا، فهذا النوع من الخبر لا يحتمل الصدق والكذب لأنه خبر صادر من الله تعالى إلى البشر بصيغة الأمر، أي ظهر إلى معنى مجازي أفاد في سرعة الامتثال لأوامر الله سبحانه.

رابعا: الأحكام:

وأسهم علم المعاني في رسم المعالم التفسيرية للنص القرآني والخروج فيها إلى الأحكام، كما هي الحال في

١-(تحريم كل ما لم يُذكر اسم الله عليه من الذبائح)، قال تعالى: ﴿ **وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ**﴾[١٠٧٩] الجملتان (**لاَ تَأْكُلُوا**) و(**انه لفسْقٌ**) موصولتان بالواو، رغم اختلافهما خبرا وانشاء (الجملة الأولى انشائية، والثانية خبرية) وفي حرف العطف (الواو) دلالة على التحريم[١٠٨٠] وقد شدّد تعالى فيها بعدم أكل مما لم يُذكر اسمه عليه، ولو حُذفت الواو وفُصلت الجملتان لكان المعنى عكس مراد الله تعالى[١٠٨١].

وفي معنى الواو اختلاف في الحكم الشرعي، فعن الشربيني الشافعي: إن الواو

[١٠٧٧] **ظ: م.ن.**

[١٠٧٨] **ظ: أساليب المعاني، السيد جعفر الحسيني: ٣٣.**

[١٠٧٩] **الانعام: ١٢١.**

[١٠٨٠] **ظ: جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي: ٦١١/١+ ظ: مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ١٤٩/٤.**

[١٠٨١] **ظ: الكشاف، الزمخشري: ٥٨/٢.**

ليست عاطفة للتباين التام بين الجملتين ولا يجوز أن تكون جوابا لمكان الواو، فتعيّن أن تكون حالية فتفيد النهي بحلّ كون الذبح فسقا (أي حال كونه فسقا) والفسق في الذبيحة مفسّر في كتاب الله (بما أهل به لغير الله)، فالمعنى سيكون أن المنهي عنه هو (الميتة)، والمفهوم من كلامهم: جواز الأكل في حال لم يكن فسقا أي (ميتا)، وهو حلال سواء كان عامدا أم ناسيا[١٠٨٢].

أما مالك وأبو حنيفة فقد فصّلوا بين العامد فلا يحل أكل ذبيحته أما الناسي فيحلّ أكل ذبيحته[١٠٨٣].

ومما انفردت به الامامية، في وجوب التسمية على الذبيحة: أن ذبائح أهل الكتاب محرّمة لا يحل أكلها ولا التصرف فيها، وكذلك صيدهم، والدليل هو الإجماع والآية الكريمة السابقة[١٠٨٤]، ولأنهم إن سمّوا لكانوا مسمين لغير الله تعالى، لأنهم لا يعرفون الله تعالى لكفرهم، فيقتضي بذلك تحريم هذه الذبائح[١٠٨٥]. فالواو في حكم الامامية هي واو عاطفة جمعت الجملتين الخبرية والإنشائية (وهذا ما ورد في الوصل بأنه يجوز أن يأتي جمع الجملتين المختلفتين خبرا وانشاءً في القرآن الكريم)[١٠٨٦] وفيها تشديد النهي عن أكل ما لم يُذكر اسم الله عليه[١٠٨٧]، فنرى أن علم المعاني قد أفادنا في توضيح الحكم الشرعي فلولا الوصل (وهو من أساليبه) لقدّر في الواو معنى آخر ولتغيّر الحكم الشرعي، (فعليها بُني الحكم) كما أسلفنا.

٢ـ في كتمان الشهادة: قال تعالى: ﴿ **وَلاَ تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ**﴾[١٠٨٨]، في الآية الكريمة نهيٌ عن كتمان الشهادة، وإسناد جزاء الكتمان إلى الجارحة، بإضافة الإثم إلى القلب، وما أضيف إلى القلب كان أعظم إثما، وان كان الإثم

[١٠٨٢] ظ: مغني اللبيب، ابن هشام الانصاري: ٤٨٦/٢ (نقلا عن الرازي)+ ظ: الاتقان، السيوطي: ٥٨٣/١+ ظ: مغني المحتاج، الشربيني: ٢٦٥/٤.

[١٠٨٣] ظ: المحلى، ابن حزم: ٤١٢/٧.

[١٠٨٤] الانعام: ١٢١.

[١٠٨٥] الانتصار، الشريف المرتضى: ٤٠٣+ مختلف الشيعة، العلامة الحلي: ٨/ ٢٩٦.

[١٠٨٦] ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٣٦٦.

[١٠٨٧] ظ: الميزان، السيد الطباطبائي: ٣٣٣/٧.

[١٠٨٨] البقرة: ٢٨٣.

فـي الجملـة كلهـا إلا أن القلـب هـو محـلّ الاعتقـاد وهـو ابلـغ فـي الـذمّ مـن إسـناده إلـى الكل[١٠٨٩].وفـي التذكرة(أن موت القلب هو الكفر في الدنيا والفزع في الآخرة)[١٠٩٠]. وكأنّ إسناد الإثم إلى القلب لما فيه من كتمان أي وضعه في قلبه لا ينطق به[١٠٩١].

وكتمان الشهادة من الكبائر، لذا (فالآية الكريمة دليل على وجوب ادائها)[١٠٩٢]. لأن القصد منها حفظ الحقوق، فعن الإمام الصادق ﷺ قال في بيان الكبائر: (أكبر الكبائر الإشراك بالله و... ثم قال وشهادة الزور وكتمان الشهادة)[١٠٩٣] والشهادة فرض كفائي فان أداها بعض الناس سقطت عن الباقين[١٠٩٤].(ولاخِلاف بين المذاهب في وجوبها وتحريم الامتناع عنها)[١٠٩٥] إلا إذا كانت توقع الضرر بالمشهود عليه أو تؤدي إلى إبطال حق[١٠٩٦].

فقد نهى تعالى عن كتمان الشهادة، وفي حال حصول الكتمان فان إثم ذلك مسند إلى القلب لأنه موضع العلم، والنهي عن كتمانها اوكد وأبلغ من الأمر بأدائها، فيجب إظهارها وعدم كتمانها في القلب، لأن القلب إذا أثم تبعه غيره[١٠٩٧]، فعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: (وبما في الصدور يُجازى العباد)[١٠٩٨] فإسناد الفعل إلى الجارحة أعطى أهمية للنهي عن كتمان الشهادة وبأبلغ تعبير وأقوى تأثير، وهو ما أفادنا به علم المعاني عِبر النهي بوصفه أسلوبا أوصل المعنى المراد، وبيّن الدلالة الفقهية والحكم الإلهي.

٣ـ (في الميراث): ومن الأحكام التي أسهم فيها علم المعاني هي الميراث في قوله

[١٠٨٩] ظ: مجمع البيان، الطبرسي: ٢/٢٢٣+ ظ: تفسير شبر، عبد الله شبر: ٨٤.

[١٠٩٠] تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي: ٤/١٥٨

[١٠٩١] ظ: كتاب الشهادات الأول، السيد الكلبايكاني: ١٠.

[١٠٩٢] من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٤/١٣.

[١٠٩٣] الكافي، الكليني: ٢/٢٨٧.

[١٠٩٤] ظ: مفاتح الكرامة، محمد جواد العاملي: ١٢/٣٢٢.

[١٠٩٥] مسالك الافهام، الشهيد الثاني: ٤/٢٦٣+ كتاب الام، الإمام الشافعي: ٧/٩٧+ المجموع، النووي: ١٨/١٩٧+ المبسوط، السرخسي: ١٧/١٨٥.

[١٠٩٦] ظ: المهذب القاضي البراج: ٢/٥٥٥.

[١٠٩٧] ظ: تفسير النسفي، النسفي: ١/١٣٨.

[١٠٩٨] نهج البلاغة، (خطب الإمام علي)، شرح محمد عبده: ١/١٢٤ (خطبة ٧٥).

تعالى: ﴿**وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفًا**﴾[١٠٩٩]. القسمة: (هي توزيع المال على الورثة، أي تقسّموه فيما بينهم)[١١٠٠].

أظهر الله تعالى في الآية الكريمة (القسمة) وهي مفعول به فقدّمها على الفاعل للتأكيد عليها وإظهارها أمام الأنظار، والخطاب للورثة (على قول أكثر المفسرين) في إعطاء شيء حال تقسيم التركة إلى الذين يحضرون تقسيمها من قرابة الميت أو من اليتامى والمساكين[١١٠١].

وقال السلف (إنها فرض لا يحل خلافه، ولكن الناس تهاونوا بها،وهو ما جاء عن طريق البخاري، وقال به مجاهد)[١١٠٢] وعن ابن عباس (انها ليست واجبة، وبه قال مالك وأبو حنيفة والشافعي)[١١٠٣] فخالفوا جمهور السلف.

ومنهم من قال أن الآية منسوخة، لما كان في صدر الإسلام من وجوب إعطاء المذكورين شيئا من التركات ثم نُسخ الوجوب وبقي الندب[١١٠٤]. وعن أئمتنا عليهم السلام انها ليست منسوخة فعن الإمام الباقر عليه السلام قال: (الآية ليست منسوخة وإذا حضروك فأعطهم)[١١٠٥]، وفي الوسائل عن ابي جعفر عليه السلام (الوجوب منسوخ والاستحباب غير منسوخ)[١١٠٦] وهو المعتمد: (فلو كان وجوبا لاقتضى استحقاقا في التركة ومشاركة في الميراث بجهة مجهولة فيفضي إلى التنازع والتقاطع)[١١٠٧].

وفي تقديم القسمة تأكيدٌ على استحباب إعطاء شيء من الميراث إلى الأقارب الذين لم يرثوا، وقد حضروا القسمة وفيها ناحية أخلاقية واستحباب أخلاقي، فهذا العطاء مانع من تحرك شعور الحسد البغضاء لديهم بسبب حرمانهم من الإرث وإعطائهم شيء سيقوّي

[١٠٩٩] **النساء: ٨.**

[١١٠٠] **مجمع البحرين، الشيخ الطريحي: ٤/٤٩٥.**

[١١٠١] **ظ: التبيان، الشيخ الطوسي: ٣/١٢٢+ ظ: مجمع البيان، الطبرسي: ٣/٢٣..**

[١١٠٢] **فتح الباري، ابن حجر: ٨/١٨٢.**

[١١٠٣] **المحلى، ابن حزم: ٩/٣١١.**

[١١٠٤] **ظ: إعانة الطالبين، البكري الدمياطي: ٤/٢٨٢.**

[١١٠٥] **وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٢٦/٧١.**

[١١٠٦] **م.ن: ٧/٤٢٠.**

[١١٠٧] **فتح الباري، ابن حجر: ٨/١٨٢.**

أواصر القرابة الإنسانية بين الناس وهو ما يحث عليه تعالى فيقول قولوا لهم (قولا معروفا) لكسب مودتهم[١١٠٨].وتقديم القسمة وإظهارها تأكيد أهميتها في الذكر لتكون أمام الحاضرين في اللفظ كما هي في الواقع، واستحباب إعطاء الحاضرين شيء لأنهم ينظرون هذه القسمة، فتقديمها له اثر معنوي وأثر لفظي ولأن الفاعل له متعلقات (أولوا القربى واليتامى والمساكين) فتقديمه سوف لن يوضّح مكانة القسمة، والله تعالى أراد أن يبيّنها فقدّمت على الفاعل، ومن هنا نرى أن التقديم (وهو من أساليب المعاني) له أثر في رسم الملامح التفسيرية للنصوص القرآنية والتي أوصلتنا إلى الدلالة الفقهية التي تجلّت في هذا الأسلوب.

٤- (في حد السرقة): ومن الأحكام التي أسهم فيها علم المعاني، في الحدود، قوله تعالى:﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[١١٠٩].

السارق: (هو من أخذ مال الغير من حرز مثله مستخفيا)[١١١٠].

والآية الكريمة فيها إطلاق عقوبة السارق سواء كان ذكراً أم أنثى حرّا أم عبداً، مسلما أم كافراً، حتى وأن كان إماما أو قاضيا أي إنها تشمل العام والخاص[١١١١] ولكنه بدأ بالأكثر فيها (وهم الذكور) وقدّمه على الأقل (وهن الإناث) فالسرقة غالبا ما تقع من الذكور[١١١٢]. وهذا التقديم من أساليب علم المعاني بمجيء الكثرة قبل القلة ليدل على الاهتمام بالمتقدم. وفي التقديم تنبيه إلى حكم السرقة التي يستحقها السارق وهي قطع اليد بقوله تعالى: ﴿ **فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا**﴾، وقد جاء عن الرسول الكريم ﷺ (على اليد ماأخذت حتى تؤدي)[١١١٣]، واختُلف في حدِّ السرقة، فالامامية قالوا (بالقطع والتغريم بما

[١١٠٨] **ظ: الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: ١١٧/٣.**

[١١٠٩] **المائدة: ٣٨.**

[١١١٠] **الوسيلة، ابن حمزة الطوسي: ٤١٧.**

[١١١١] **ظ: الخلاف، الطوسي: ٤١٦/٤.**

[١١١٢] **ظ: الاتقان، السيوطي: ٣٩/٢.**

[١١١٣] **مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ٨/١٤+ سنن ابن ماجة،محمد بن يزيد القزويني: ٨٠٢/٢.**

يُسرق)[١١١٤] وتبعهم الشافعي[١١١٥]، أما أبو حنيفة، فقال (إن الغرم والقطع لا يجتمعان، فان غُرِّم لم يقطع وإن قُطع لم يُغرّم)[١١١٦].

واختلفوا في موضع القطع، فاتفق الامامية انه يجب القطع من رؤوس الأصابع وتبقى الراحة والإبهام[١١١٧]. (والحجة في ذلك كما قال الإمام الجواد عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله (السجود على سبعة أعضاء، الوجه واليدين والركبتين والرجلين، فإذا قُطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبق له يدّ يسجد عليها، وقد قال تعالى: ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ**﴾[١١١٨] وما كان لله لم يقطع))[١١١٩] يعني بها الأعضاء السبعة التي يسجد عليها وقال تعالى: ﴿**فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾[١١٢٠].

وأجمعت العامة خلاف ذلك، فزعم جمهورهم أن يكون القطع من الرسغ خاصّة، وقال الخوارج القطع يكون من المرفق، وقال بعضهم بل يكون من أصل الكتف[١١٢١].

وهذه العقوبة هي ردع للسارق وعبرة لغيره، فنرى أن التشريع الإسلامي ليس فيه قسوة في معاملة السارق بصرامة، بل هو من القصاص العادل لأن الإسلام يهدف إلى توفير حياة كريمة لأفراده بعيدة عن المحرمات، وبتوفير أسباب هذه الحياة فلا توجد دوافع لهذا الفعل المحرّم، فالعبرة من قطع اليد هي أن تكون شاهدا على فعلته ويتّعظ بها من تسوّل له نفسه بهذا الفعل. فنرى أن علم المعاني وبأسلوب التقديم قد بيّن أن السرقة في الذكور أكثر مما في الإناث والإطلاق في الآية وضّح أن العقوبة الجزائية تشمل كل الأفراد وحتى الأئمة والقضاة .

وهنا أدّى علم المعاني وظيفتين في آن واحد، هو البناء السياقي الذي بُنيت عليه

[١١١٤] **الخلاف، الشيخ الطوسي: ٤٠٥/٣.**

[١١١٥] **ظ: المغني، ابن قدامة: ٢٧٤/١٠.**

[١١١٦] **المبسوط، السرخسي: ١٥٦/٩.**

[١١١٧] **ظ: الانتصار، السيد المرتضى: ٢٦٢.**

[١١١٨] **الجن: ١٨.**

[١١١٩] **تفسير العياشي، العياشي: ٣١٩/٢+ التفسير والمفسرون، محمد هادي معرفة: ٤٦٤/١.**

[١١٢٠] **الجن: ١٨.**

[١١٢١] **ظ: الاعلام، الشيخ المفيد: ٤٦+ مغني المحتاج، الشربيني: ١٧٨/٤.**

الجملة بحسب التقديم، والوظيفة الأخرى قد أسهم في رسم الملامح التفسيرية لهذا النص والخروج به إلى الدلالة الفقهية من زاوية الأحكام.

المبحث الثالث
الوظيفة التفسيرية العقائدية

وكما أفدنا من علم المعاني في الدلالة الفقهية وأمور العبادات والمعاملات وغيرها، فإن علم المعاني له إسهامات مؤثرة في بعض المسائل العقائدية فيما يتعلق بأصول الدين وهي (التوحيد والنبوة والإمامة والعدل والمعاد) وسنعرضها إن شاء الله تعالى في هذا المبحث. بدءً بعقيدة التوحيد.

أولا: التوحيد:

التوحيد: هو الاعتقاد والإيمان المطلق بأن الله تعالى واحد ليس مثله شيء وأنه فرد في المعبودية لا ثاني له ،وهو واحد في الذات وفي الصفات[١١٢٢]،في قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ**﴾[١١٢٣].في الآية حذف مقدّر بعد القول، وفائدة الحذف في توجّه النهي عن النهي إلى القول بالتعدّد مطلقا، كما قال النصارى بأن الآلهة ثلاثة[١١٢٤].فالله تعالى نهاهم عن الغلو في دينهم وألا يقولوا إلا الحق[١١٢٥]،فهم يقولون إن الله واحد بالجوهر ثلاثة بالأقانيم*، فيثبتون ذوات متعددة قائمة بنفسها ،وهذا كفر وإلحاد[١١٢٦]،وفي تقدير المحذوف اعتناء وتأنٍ ،ولو قدر(آلهتنا ثلاثة) فهو تقرير لثبوت آلهة،وهذا كفر بمعنى أنه يثبت الآلهة وينفي كونهم ثلاثة[١١٢٧]، وكما جاء في المجمع أن التقدير(لا تقولوالناآلهة ثلاثة) فالحذف يقع على المسند [١١٢٨].

ثم قوله تعالى:﴿ **إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ** ﴾ قصر الإلوهية على الله وحده لا شريك له ولا ندّ له، متفرد بالإلوهية ولا تكون العبادة إلا له وحده [١١٢٩].

وهذا الأسلوب في القصر(وهو قصر الإفراد لاعتقاد المخاطب الشركة) ردّا على من قال:إنه تعالى ثالث ثلاثة، فأسلوبا القصر والحذف في الآية الكريمة(وهما من أساليب علم المعاني) أفادا في نفي الإلوهية عن غير الله تعالى وإثباتها له وحده وقصرها عليه، وهذا ما تنوخاه من مبدأ التوحيد.

[١١٢٢] ظ: التشيع(نشوءه ــ مراحله ــ مقوماته)، السيد عبد الله الغريفي:٣٠٦ + ظ: بداية المعارف الإلهية، محسن الخرازي:١/٦٥ــ٦٧.

[١١٢٣] النساء:١٧١.

[١١٢٤] ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح:١٤٢.

[١١٢٥] ظ: التبيان، الشيخ الطوسي:٣/٣٩٩.

***:الاقانيم: الاصول واحدها اقنوم (لسان العرب ،ابن منظور :١٢/٤٦.)**

[١١٢٦] ظ: تفسير الرازي،الرازي:١١/١١٤.

[١١٢٧] ظ: م.ن.

[١١٢٨] ظ: مجمع البيان،الطبرسي :٣/٢٤٥

[١١٢٩] ظ: فتح القدير، الشوكاني:١/٥٤١.

٢ـ في قوله تعالى:﴿ **وَإِلَـهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ**﴾[١١٣٠].

في قوله تعالى ﴿ **وَإِلَـهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ** ﴾توجيه الكلام بدون توكيد،لأن آيات الله ودلائله أمام الأنظار،وهي توحي للعاقل بوجود إله واحد صانع خالق الخلائق كلها، والكلام برغم توجيهه إلى المعاندين الذين لا يقرّون بالوحدانية فهو غير مؤكد لعدم الاعتداد بإنكارهم وشركهم[١١٣١]،وفي قوله تعالى:﴿ **لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ** ﴾أسلوب قصر الإلوهية على الله وحده بأقوى أساليب القصر(النفي والاستثناء) الأمر الذي يدل على التأكيد والتقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته[١١٣٢].

يقول الشيخ السبحاني:(الآية جاءت في مقام الردّ على ما كان يذهب إليه المشركون من الاعتقاد بتعدّد الآلهة)[١١٣٣]. وفي حذف خبر(لا النافية للجنس) تقوية للمعنى، فتقدير المحذوف سيضعف المعنى ولا يؤدي مطلوبه[١١٣٤]،(فعدم التقدير أولى من التقدير) لأن الآية بصدد توجيه الأذهان إلى الله الواحد، بدل الآلهة المتعددة التي يعبدونها[١١٣٥]. ويذكر صاحب شرح اللمعة:(أن المعنى الإجمالي للآية هو نفي الإمكان والوجود عن إله سوى الله، مع الدلالة على وجوده تعالى وإن لم تدلّ عليه لغة)[١١٣٦].

فأفادنا علم المعاني(بأسلوب إلقاء الخبر من دون توكيد(على خلاف مقتضى الظاهر) وأسلوب القصر مع الحذف)في تبيان وحدانية الله تعالى وبأنه لا إله سواه ولا يستحق الإلوهية إلا هو لا شريك له، فعن رسول الله ﷺ :(من كان آخر كلامه(لا إله إلا الله) دخل الجنة)[١١٣٧].

ثانيا: النبوة:

[١١٣٠] **البقرة:١٦٣.**

[١١٣١] **ظ: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح:٤١.**

[١١٣٢] **ظ:الكشاف، الزمخشري:٢٠٨/١+ ظ: تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي:١٧٠/١.**

[١١٣٣] **معالم التوحيد، الشيخ جعفر السبحاني:٢٥٥.**

[١١٣٤] **ظ: شرح اللمعة، الشهيد الثاني:٢٢٩/١.**

[١١٣٥] **ظ: معالم التوحيد، الشيخ جعفر السبحاني:٢٥٥.**

[١١٣٦] **شرح اللمعة، الشهيد الثاني:٢٢٩/١.**

[١١٣٧] **وسائل الشيعة ، الحر العاملي:٣٥٨/١٣.**

(هي الإيمان المطلق بجميع الأنبياء والمرسلين والإيمان بكتبهم وبأنهم على حق والإيمان بعصمتهم وطهارتهم ومن أنكر واحدا منهم فقد أنكر الجميع ولاسيما نبوّة نبينا محمد ﷺ)[١١٣٨].

والنبوّة هي وظيفة إلهية وسفارة ربّانية يجعلها الله تعالى لمن ينتجبه ويختاره من عباده الصالحين وأوليائه الكاملين في إنسانيتهم ،والأنبياء لطف من الله تعالى لعباده،وهم معصومون من الزلل والخطأ والنسيان ومن المعاصي كبائرها وصغائرها[١١٣٩].

ومن الآيات الكريمة المثبتة لنبوة محمد ﷺ ورسالته قوله تعالى: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾[١١٤٠]،الآية بدأت بجملة اسمية،وقدّم ما حقه التقديم وهو الأصل، فضلا عن ذلك فالجملة خبرية خالية من التوكيد فأتي بذكر اسم الرسول ﷺ ، واسمه دلالة قوية على رسالته وإزالة كل شبهة متعلقة بشخصه الكريم[١١٤١]، فهذه شهادة من الله تعالى له بأنه رسوله حقا لاشك فيه[١١٤٢].

وقد ذكره الله تعالى في التوراة والإنجيل،وكان أهل الكتاب يذكرون صفاته للعرب قبل بعثته، فلما بعثه الله عرفوه ،ولكنهم كفروا به ولم يؤمنوا[١١٤٣]، فالآية ردّ لهم وشهادة من الله تعالى على أنه هو الرسول الموعود الذي جاءت صفاته في كتبهم وأنكروه[١١٤٤].

وقوله(رسول) أي أن كل صفات الرسالة فيه وبأنه الأمين المأمون ظاهرا وباطنا[١١٤٥]،وهكذا جاءت الجملة الخبرية شهادة من الله تعالى على رسالة محمد ﷺ ونبوّته وبكلام مباشر خالٍ من التوكيد لعدم المبالاة بعدم تصديقهم به بعد ما عرفوا صفاته في كتبهم، فمجيء الخبر بلا توكيد بتنزيل المنكر منزلة خالي الذهن،أي إخراج الكلام على

[١١٣٨] **بداية المعارف الإلهية، السيد محسن الخرازي:١/٢٧٧.**

[١١٣٩] **ظ: عقائد الامامية، الشيخ محمد رضا المظفر:٤٨.**

[١١٤٠] **الفتح:٢٩.**

[١١٤١] **ظ: مجمع البيان، الطبرسي:٩/٢٠٨.**

[١١٤٢] **ظ: تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ٦/٥٠٨.**

[١١٤٣] **ظ: تفسير القمي: علي بن ابراهيم القمي:١/٣٣.**

[١١٤٤] **ظ: الأمثل في كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي:١٢/٤٣١.**

[١١٤٥] **ظ: تفسير السلمي، السلمي:٢/٢٥٨.**

غير مقتضى الظاهر، هو من أساليب علم المعاني الذي أفاد في إظهار عقيدة النبوّة لمن ينكرها ويتردد في قبولها لأنها من الأمور الواضحة الساطعة.

٢ـ في قوله تعالى:﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾[١١٤٦]،في الآية اسلوب قصر بحرف العطف(لكن) وهذا الحرف لا تأتي قبله واو العاطفة،وفي الآية جاءت الواو قبل الأداة لإثبات أن لا قاعدة مع النصوص القرآنية التي تسنّ القواعد. فأفادت(لكن) نفي أبوّة محمد عن أحد من الرجال وإثبات الرسالة له،والتقدير(لكن كان رسول الله)[١١٤٧].

فالله تعالى بيّن للناس أن محمدا لم يكن أباًلأحد من رجالهم ولكن هو رسول الله ،أي إنه أب لأمته مطلقا من حيث وجوب التوقير والطاعة عليهم ،ومن حيث النصح منه إليهم[١١٤٨].والآية فيها إثبات على عموم النبوّة وشمولها للأمكنة والأزمنة، ورسالته مستوعبة لجميع حياة الإنسان العملية والأخلاقية والدينية[١١٤٩].فنرى أن(لكن) على الرغم من اقترانها بالواو(والتعبير بها مع الواو أصبح أجود وأبلغ) فقد أدت مهمتها في قصر محمد ﷺ على الرسالة وختامه للانبياء، لا يتجاوزهما إلى ابوّة أحد، وهذه الدلالة التفسيرية تحققت من خلال الركون إلى بنية السياق التي أسست على القصر، فأسهم الأخير في رسم ملامح الآية تفسيريا، فكان أساسا للبناء الجملي في النص القرآني ودالة على تفسيره في آن واحد، وهنا تحقق الإعجاز في هذا الجانب.

ثالثا: الإمامة:

الإمامة (عند الإمامية): (هي الاعتقاد والتديّن بإمامة الأئمة الأثني عشر، والإمام هو الوارث لعلم النبي من بعده المتخلق بأخلاقه والمتحلي بأوصافه والخالي من جميع الرذائل والعيوب، والثابت للنبي ﷺ هو الثابت له من الرياسة والسياسة ووجوب الطاعة والعلم بالأحكام جملة حتى ارش الخدش علما حضوريا، ويستثنى النبي عنه بربقة النبوّة التي هي

[١١٤٦] **الاحزاب:٤٠.**

[١١٤٧] **مجمع البيان، الشيخ الطبرسي:٨/١٦٠.**

[١١٤٨] **ظ: التفسير الأصفى، الفيض الكاشاني:٢/٩٩٦.**

[١١٤٩] **ظ: تفسير الميزان، السيد الطباطبائي:٤/١٦٠ + الموسوعة الفقهية الميسرة، الشيخ محمد على الانصاري:٣/٢٥٨.**

وحي من الله تعالى ،ويلزم أن يكون الإمام معيّنا ومنصّبا من قبل النبي ﷺ ولا يكفي تنصيب الأمة له)[١١٥٠].

ومسألة الإمامة من أعظم مسائل أصول الدين المختلف بها،والناس فيها على ثلاثة أقوال: فمنهم من لم يوجبها مطلقا،وهم الخوارج، ومنهم من أوجبها عقلا(وهم الإمامية)، ومنهم من أوجبها سمعا. فالإمامية توجبها عقلا لأن الأمة مع وجود الإمام تكون أقرب إلى فعل الطاعة وأبعد من فعل المعصية[١١٥١]،فالإمام لطف من الله يجب تنصيبه تحصيلا للغرض[١١٥٢].

وقد أجمعت الأمة على عقدها في كل زمان، يقول الماوردي[١١٥٣]:(عقد الإمامة لمن يقوم بها واجب بالإجماع،(وإن شذّ عنهم الأصم)[١١٥٤]،الذي قال: (لو تكافّ الناس عن التظالم لاستغنوا عن الإمام)،و قال ابو الحسن الاشعري: فان الناس كلهم(إلا الأصم) لابد من إمام)[١١٥٥]، وعن ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه لقول أمير المؤمنين عليه السلام (لابد للناس من أمير)(هذا نص صريح منه عليه السلام بأن الإمامة واجبة) وقد اختلف الناس في هذه المسالة، فقال المتكلمون : الإمامة واجبة إلا الأصم، أما المتأخرون منهم فدافعوا عن قوله وقالوا إنه لا يعني عدم وجوب الرئاسة،وهو غير مخالف للاجماع[١١٥٦]،وقال الاسفراييني: اتفق جمهور أهل السنة والجماعة على أصول من أركان الدين وعدّدها...الى أن قال: الركن الثاني عشر: الإمامة،وهي فرض واجب على الأمة لأجل إقامة الإمام ينصّب لهم القضاء والأمناء ويضبط ثغورهم ويغزي جيوشهم ويقسم الفيء بينهم وينتصف لمظلومهم من ظالمهم[١١٥٧].ومما يبدو أن إجماعهم على وجوب الإمامة مما لا ريب فيه،

(١١٥٠) رسالة في الامامة، الشيخ عباس نجل الشيخ حسن صاحب أنوار الفقاهة: ترجمة المؤلف.

(١١٥١) ظ: المسلك في اصول الدين، المحقق الحلي:١٨٧ + ظ: روضة الواعظين، للفتال النيسابوري:٨٨.

(١١٥٢) ظ: دلائل الامامة ،محمد بن جرير الطبري(الشيعي):٥٤

(١١٥٣) الماوردي: علي بن محمد حبيب، أقضى قضاة عصره، وهو شافعي كان يميل إلى مذهب الاعتزال(ت٤٥٠هـ)،الاعلام، الزركلي:٤/٣٠٥.

(١١٥٤) الأصم:عبد الرحمن بن كيسان، من قدامى المعتزلة، الاعلام، الزركلي:٣/٣٠٦.

(١١٥٥) نظام الحكم في الاسلام:الشيخ المنتظري:٥٠.

(١١٥٦) ظ: شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد المعتزلي:٢/٣٠٧ـ٣٠٨.

(١١٥٧)ظ: الفرق بين الفرق: عبد القاهر بن طاهر البغدادي:٣٢٣.

ولكنهم بعد تحقق الإجماع افترقوا على فرقتين أحداهما ترى أن الإمامة تثبت بالاتفاق والاختيار،و الأخرى ترى أنها تثبت بالنص والتعيين، فعلى الرأي الأول أن كل من صارت إليه الإمامة فهو(إمام)[١١٥٨]،أما أصحاب الرأي الثاني فقد ذهبوا (إلى أن النبي ﷺ قد نص عليهم بأسمائهم)[١١٥٩].

فالنبوة والإمامة من وادٍ واحد،فمن أنكر أو حاد عن إحداها أنكر الأخرى وحاد عنها، وجاء في الأثر:(من لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)[١١٦٠]، ومن الآيات التي أفادنا بها علم المعاني وفيها دليل إمامة علي عليه السلام وأولاده قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾**[١١٦١].

صُدّرت الآية بـ(إنما) لوجوب اختصاص المذكورين بالولاية[١١٦٢]، (فجعل الولاية العامة لله وللرسول وللذين آمنوا من بعده)[١١٦٣].

والولي: هو الذي يتولى تدبير أمور المسلمين،والذي يلي النصرة والمعونة)[١١٦٤]، (الله ورسوله) لا خلاف في ولايتهم، أما(الذين آمنوا) فقد وصفهم القرآن الكريم بصفات لا تنطبق إلا على شخص الإمام علي عليه السلام حين تصدّق بخاتمه وهو راكع(وهو المروي عن الباقر والصادق عليهما السلام ،وجميع علماء أهل البيت عليهم السلام [١١٦٥]،وهو مذكور في الصحاح الستة)[١١٦٦].

يقول الشيخ الطوسي: (واعلم أن هذه الآية من الأدلة الواضحة على إمامة أمير

[١١٥٨] ظ: الملل والنحل، الشهرستاني:٣٣ــ٣٤.

[١١٥٩] ظ: دلائل الإمامة، الطبري:١٥.

[١١٦٠] وسائل الشيعة الحر العاملي:٣٥٣/٢٨ + الحدائق الناضرة، المحقق البحراني:١٧٦/٥.

[١١٦١] المائدة:٥٥.

[١١٦٢] ظ: الكشاف، الزمخشري:٦٣٥/١.

[١١٦٣] المراجعات، السيد شرف الدين:٨٩.

[١١٦٤] مجمع البيان، الطبرسي:٣٥٩/٣.

[١١٦٥] مجمع البيان، الطبرسي:٣٥٩/٣ + التفسير الصافي، الفيض الكاشاني:٤٤/٢ + أحكام القرآن، الجصاص:٥٥٧/٢+ مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ٢٥٥/٧+ الاحتجاج، الطبرسي: ٢٥٢/٢.

[١١٦٦] شرح اصول الكافي، مولي محمد صالح المازنداني:٢٣٤/٤.

المؤمنين عليه السلام ، بعد النبي بلا فصل)[١١٦٧].

فعن ابن عباس(رض) (حينما نزلت الآية خرج رسول الله صلى الله عليه وآله والناس بين راكع وساجد وقائم وقاعد،وإذا هو بمسكين يسأل، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: هل أعطاك أحد شيئا؟ قال: نعم، قال ماذا،قال: خاتم فضة، قال: من أعطاك؟ قال: ذلك القائم،قال على أي حالٍ أعطاك؟ قال: أعطاني وهو راكع، فإذا هو علي بن أبي طالب، فكبّر رسول الله صلى الله عليه وآله وكبّر الناس معه)[١١٦٨]. والحديث متواتر ذكره أهل السنة والشيعة، وقد استقصى العلامة الأميني موارد ذكر الحديث فأنهاها إلى ستة وستين موردا في أمّهات الكتب الحديثيّة[١١٦٩].(فالمفهوم من الآية الكريمة أن الذي يلي أمور المسلمين ويتولى شؤونهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هو الإمام علي عليه السلام ،ومن بعده الأئمة المعصومين الذين نصّ عليهم رسول الله مبتدئا بعلي وخاتما بالمهدي عليه السلام)[١١٧٠]، فأفادت الأداة(إنما) وهي أداة حصر أفادت التخصيص ونفي الحكم عمن عدا المذكورين،وعبّر تعالى عن شخص الإمام علي عليه السلام بـ(الذين آمنوا)،أي بالجمع فهو من اجل التفخيم والتعظيم(وهو جائز في اللغة العربية)[١١٧١]،وفي قوله تعالى:﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ**﴾الخطاب لجميع المؤمنين ثم خصّ الرسول صلى الله عليه وآله (وهو منهم) فأخرجه من جملتهم ثم قال ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾أي أن الذي خوطب بالآية غير الذي جُعلت الولاية له وإلا يكون كل واحد من المؤمنين وليّ نفسه،وهذا مُحال[١١٧٢].

فنرى اسهامة علم المعاني في أحد أساليبه(وهو القصر بـ(إنما) التي أفادت التحقيق ونفي الولاية عن غير المذكورين وفيها تخصيص الولاية بولاية الإمام علي عليه السلام ،والذي يدل على أنه المقصود بها ورود الخبر عن طريق العامة والخاصة بنزول الآية فيه عليه السلام عند

[١١٦٧] التبيان، الشيخ الطوسي: ٥٥٨/٣.

[١١٦٨] دلائل الامامة، محمد بن جرير الطبري(الشيعي):٥٥ + مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب:٢٠٨/٢.

[١١٦٩] ظ: الغدير، محسن الاميني: ١٥٦/٣ــ١٦٢.

[١١٧٠] تقريرات آية الله المجدد الشيرازي، المولى علي الروزدري:١/ المقدمة(١٣) + منهاج الصالحين، الشيخ وحيد الخراساني:١٩٥/١.

[١١٧١] ظ: مجمع البحرين، الشيخ الطريحي:٥٥٥/٤.

[١١٧٢] ظ: مجمع البيان، الطبرسي:٣٦١/٣.

تصدّقه بخاتمه في حال الركوع[١١٧٣].

والمعنى لم يكن ليأتي بهذا التخصيص والوضوح والقوة إلا بهذا الأسلوب الذي أفادنا به علم المعاني، فكان دالة تفسيرية أفادت في إعطاء المراد من الآية الكريمة.

٢ــ قوله تعالى:﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[١١٧٤]. الرجس (مستعار للذنوب كما أن الطهارة مستعارة للعصمة منها)[١١٧٥]، والآية هي احتجاج على عصمة أهل البيت عليهم السلام، وعبّر عن عصمتهم بأداة الحصر(إنما) للدلالة على أن هذه المنقبة خاصّة بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله [١١٧٦]، وهي من أقوى أدوات الحصر، فحصرت إرادة الله تعالى بإذهاب الرجس عن أهل بيته المعصومين، وإرادته تعني استحالة تخلف المراد عن الإرادة بالنسبة له تعالى وهي من البديهيات لمن آمن بالله تعالى[١١٧٧].

وعن أبي سعيد الخدري لمّا نزلت هذه الآية كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي باب فاطمة وعلي عليهما السلام تسعة أشهر عند كل صلاة فيقول: الصلاة الصلاة يرحمكم الله ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[١١٧٨] ،(وقد روي هذا الحديث بطرق كثيرة)[١١٧٩]،فالآية دلالة واضحة وصريحة على عصمة أئمة الهدى عليهم السلام ،وقد أفادت الأداة(إنما) في حصرها فيهم ونفيها عن غيرهم بقوّة دلالتها، وهوما خرج لنا به علم المعاني في أسلوبه(القصر) ليدلّ على أنه أسهم في رصد دلائل الامامة في علي وذريته عليهم السلام ، من كتابه العزيز، وأعطى مناخا تفسيريا للآية الكريمة.

رابعا: العدل:

[١١٧٣] **ظ: الاقتصاد: الشيخ الطوسي:١٩٨.**

[١١٧٤] **الاحزاب:٣٣.**

[١١٧٥] **مدارك الأحكام، السيد محمد العاملي:٦/١.**

[١١٧٦] **ظ: البرهان، الزركشي:١٩٧/٢ + ظ: الدر المنثور، السيوطي:١٩٨/٥.**

[١١٧٧] **ظ: الاصول العامة للفقة المقارن، السيد محمد تقي الحكيم:١٤٩.**

[١١٧٨] **الاحزاب:٣٣.**

[١١٧٩] **(وقد روي عن ابن عباس) :زبدة البيان، المحقق الأردبيلي:٥١ + بحار الانوار، العلامة المجلسي:٢٠٧/٣٥.**

العدل: (هو الاعتقاد المطلق بأن الله تعالى عادل في حكمه قائم بالقسط في خلقه ومتنزّه عن الظلم في عباده وإن لم يشملهم عدله فيغمرهم بفضله ورحمته)[١١٨٠].(والاعتقاد بأن الله تعالى يفعل الحسن ولا يفعل القبح مع قدرته عليه)[١١٨١].

ومما خرج به علم المعاني في تفسير الآية الكريمة على العدل الإلهي قوله تعالى:﴿ **وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ**﴾[١١٨٢]،في الآية تقديم(لفظ الجلالة) لفائدة الاختصاص بنفي الظلم من الله تعالى وإثباته لغيره[١١٨٣]،فالله لا يريد أن يظلم عباده ولكن الظلم يقع منهم لأنفسهم، فالتقديم هنا أفاد التخصيص وتقوية الحكم وإثباته لغير الله تعالى[١١٨٤]،فالله تعالى لا يأخذ أحدا بغير جرم أو يزيد في عقاب من يقوم به أو ينقص من ثواب المحسن فهو لا يريد شيئا من الظلم لأحد من خلقه[١١٨٥]، (والآية رد على الجبرية[*] الذين قالوا بأن كل ظلم يكون للعباد فهو بإرادة الله تعالى)[١١٨٦].

وذهبت المعتزلة[*] إلى أن الله تعالى عدل حكيم لا يفعل القبيح ولا يخلّ بالواجب[١١٨٧]،ومنعت الاشعرية[**] من ذلك، واسندوا القبائح كلها إلى الله تعالى ،فلزم

[١١٨٠] **المعجم الموضوعي لنهج البلاغة،أويس كريم محمد:٦٤.**

[١١٨١] **تقريب المعارف، أبو الصلاح الحلبي:٩٧.**

[١١٨٢] **غافر:٣١.**

[١١٨٣] **ظ: أساليب المعاني، جعفر الحسيني: ٣١٣ .**

[١١٨٤] **ظ: دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني:١٢٤.**

[١١٨٥] **ظ: الكشاف، الزمخشري:١٦٠/٤+ظ: تفسير جوامع الجامع، الطبرسي: ٣١٥/١٢**

[*] **الجبرية: (طائفة من الكلاميين يعتقدون أن لا مدخل للعباد في أفعالهم،وأن الله يفعل الفعل ويجريه على ايديهم). مشارق الشموس، المحقق الخوانساري:٣٩١/٢.**

[١١٨٦] **مجمع البيان، الطبرسي:٣٦١/٢.**

[*] **المعتزلة (طائفة من الكلاميين يسمون أنفسهم بالعدلية ويقولون بنفي الصفات الإلهية الزائدة عن الذات ويذهبون إلى أن تحسين الشيء أو تقبيحه امر عقلي يدرك بالعقل،ويؤمنون بامتناع ظهور الظلم من الله تعالى). الانتصار، الشريف المرتضى:٢٤.**

[١١٨٧] **ظ: الملل والنحل،الشهرتاني:٦١/١.**

[**] **الاشعرية: (جماعة تنتمي إلى أبي الحسن الأشعري، وهم لا يأخذون بالحسن والقبح العقليين وينسبون أفعال العباد إلى الله تعالى، وأن لا قدرة للعبد على الفعل إلا بما يرضاه الله). مناقب أهل البيت ،المولى حيدر الشرواني:١٩٨.**

ذلك امتناع الجزم بتصديق الأنبياء، وانتفاء فائدة التكليف وتجويز وصفهم لله تعالى بالظلم والعدوان(تعالى عن ذلك علوا كبيرا) ،وهذا لأنهم يعتقدون جواز صدور الظلم والقبائح من الله تعالى[١١٨٨].

أما الشيعة الامامية فمعتقدهم هو توحيد الله تعالى وعدله وامتناع صدور الظلم والقبائح منه[١١٨٩]، والله تعالى لا يظلم عباده ولو قيد شعره بدليل قوله تعالى:﴿ **وَلاَ يُظْلَمُونَ نقيرا**﴾[١١٩٠]، فالله تعالى بعيد عن إرادة الظلم وعن الظلم ابعد[١١٩١]،وهذا ما استنتجناه من الآية الكريمة، بنفي إرادة الظلم عن الله تعالى وإثباتها لغيره (وفي هذا إثبات لعدله تعالى)، وهذا المعنى إنما توضّح بتقديم لفظ الجلالة بعد النفي،وقد سبق الفعل الأصلي في الكلام وهو ما لمحّ به إلينا علم المعاني في تخصيص المسند بالمسند إليه.

خامسا : المعاد:

المعاد: من أصول الدين وهو الاعتقاد بالبعث بعد الموت والحساب والجزاء والقصاص والجنة والنار وأن الله تعالى ،يثيب المؤمنين بالنعيم الدائم في الجنات ويعذب الكافرين بالخلود في النار، ويقتصّ للمظلومين ولا يضيع أجر العاملين، ومن شكّ في شيء من هذا اليوم فقد خرج عن ملّة الإسلام ولم يقبل منه شيء من الأعمال[١١٩٢].

ومن شواهد علم المعاني في المعاد قوله تعالى:﴿ **رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾[١١٩٣]، في قوله وتعالى:﴿ **إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ**﴾صيغ الخبر بتوكيد ليجلّي انفعالات نفس الداعي، لذا جاء مؤكدا،وهناك حذف في قوله(ليوم) أي لحساب يوم أو جزاء يوم، بحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، والحذف جاء لأجل إظهار كلمة(يوم) وما فيه من أهوال عظيمة عند اجتماع الخلائق كلها

[١١٨٨] **ظ: الرسالة السعدية، العلامة الحلي:٥٦.**

[١١٨٩] **ظ: مجمع البيان، الشيخ الطبرسي:٢٣٦/١٠+ ظ: رسائل المرتضى، الشريف المرتضى: ٢٣٠/٢+ ظ: الاقتصاد، الشيخ الطوسي: ٥١.**

[١١٩٠] **النساء:١٢٤.**

[١١٩١] **ظ: فتح القدير، الشوكاني:٤٩١/٤.**

[١١٩٢] **ظ: المقنعة، الشيخ المفيد:٣٣.**

[١١٩٣] **آل عمران:٩.**

فيه[١١٩٤].

(والأمر الجامع هو الأمر الخطر والذي يجمع لأجله الناس للجزاء والحساب)[١١٩٥]،وهذا اليوم لا يشك فيه أحد لوضوحه وظهور الأدلة الصادعة على قيامه[١١٩٦]، (فالشك فيه يتنافى مع عقيدة التوحيد)[١١٩٧].

فعن رسول الله ﷺ :(إن الله يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد يوم القيامة)[١١٩٨]،والآية دليل واضح على قيام الساعة في يوم القيامة، يوم تجمع الخلائق كلها للجزاء أو العقاب،وقد وعد الله عباده بهذا اليوم ليعرفوا أن الحياة دار فناء وأن الآخرة هي الدار الباقية ليتعظوا ويتأهّبوا لهذا اليوم العظيم ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾.

فمن خلال التوكيد والحذف، قام دليل من علم المعاني لدفع الشك والريب عن نفوس المعاندين والملحدين ليتيقنوا من قيام هذا اليوم الموعود وليستعدوا لساعة الحساب.

وهكذا فقد أفدنا من أساليب علم المعاني لما فيها من دلالات واضحة وإشارات قوية على الأمور العقائدية التي كانت موضع جدال من المتكلمين، مما يدل على إسهام هذا العلم بشكل واضح في بناء تركيب، آي القرآن الكريم فضلا عن تفسيره وتجلية معانيه.

[١١٩٤] ظ: فتح القدير، الشوكاني:١/٣١٨.

[١١٩٥] التبيان ،الطوسي:٢/٤٠٢ + القاموس الفقهي،د. سعدي أبو حبيب:٦٦.

[١١٩٦] ظ: مجمع البيان،الطبرسي:٢/٢٤٢.

[١١٩٧] تفسير السمرقندي، السمر قندي:١/٢٢٠.

[١١٩٨] (للحديث تكملة)، منتهى الطلب، العلامة الحلي:٤/٣٧٣.

خاتمة البحث

انتهى البحث إلى ما يلي:

١. إن معالم التفسير يقصد بها الدلالات الموصلة إلى طرق التفسير ومن ضمن هذه الطرق مباحث علم المعاني التي يُتوصّل من خلالها إلى معرفة أسرار إعجاز الكتاب الكريم.

٢. لعلم المعاني أثر واضح في التفسير، فمن خلال مباحثه يُتوصل إلى مراد الله تعالى في آياته الكريمة، فلا غنى للمفسر عن الغوص في مباحث هذا العلم.

٣. إن للقرآن ودراساته أثرا واضحا في تطوير علم المعاني، حيث انتقل به من مفردات كانت تُرى في الكتب متفرقة هنا وهناك إلى علم له أصوله وقواعده ثم إلى صور حيّة نابضة نستوحي فيها معان كثيرة للوصول إلى الإعجاز القرآني.

٤. إن لمباحث الفصل والوصل والإيجاز والإطناب والقصر أثرا كبيرا في تفسير النصوص القرآنية وتغيّر دلالات المعاني، وان ما تقوم به هذه المباحث من دلالات تفسيرية لا تؤدّى إلا بالأسلوب الذي احتواه النص القرآني، فشكلت هذه المباحث سمة اعجازية بوصف كل منها متخصصا في دلالة تفسيرية معينة لا يمكن إن ظاهرة الغياب والحضور لها تأثير عجيب في تفسير النص، فأحيانا نرى أن للحذف أهمية في تقوية المعنى أكثر من الذكر، وفي أحايين أخرى نجد أن الذكر ضروري لفهم النص القرآني، الأمر الذي شكل هو الآخر ظاهرة إعجازية لا يمكن للكلام البشري الوصول إلى مستويات بنائها وطريقة مجيئها ومن هنا كانت سياقات إيرادها خاصة بالقرآن الكريم فحسب.

٥. رأى البحث أن في التقديم ميزة كبيرة فهو قادر على إيضاح معاني النصوص للوصول إلى القصد الرباني على قدر ما يستطيعه المفسر فضلا عمّا يمنحه من تشويق وترغيب في النفس لمعرفة ما يأتي بعده، وأحيانا يقتضي تفسير النص تأخير الكلام فيؤخّر على وفق ما يقتضيه المقام، وفي كل من التقديم والتأخير إعجاز بلاغي يكمن وراء البناء التركيبي للجملة لا يصل الإدراك البشري إلى مستوى نسجه.

٦. كان لمباحث الخبر والإنشاء الأثر نفسه في تفسير النصوص لاسيّما عند خروجها إلى معانٍ بلاغية غير المعنى الحقيقي، أو استعمال كل منهما عوضا عن الآخر، فإذا كان التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، فإن علم المعاني قد أسهم بأساليبه في إظهار الملامح التفسيرية للنصوص القرآنية الكريمة، فلا بدّ للمفسر من معرفته والاطلاع عليه.

٧. كانت معاني القرآن الكريم من خلال علم المعاني طرقا موصلة إلى دلالات تفسيرية أفضت إلى مقاصد فقهية وأصولية أنتجت أحكاما معينة، فضلا عن مقاصد عقائدية أسهم علم المعاني في تفسير نصوصها.

٨. إن لمعاني القرآن قدرة على الأخذ بيدّ المفسر لتفسير القرآن الكريم بطريقة مقرّبة إلى النفس وموحية بصور إبداعية تجعل المتلقي يتأمل فيها فينفتح ذهنه للتفكّر والتدبّر والمساهمة في معرفة هذا الإبداع، ويقف مبهورا أمام الإعجاز القرآني الذي آلف بين تلك المعاني التي أحكمت بدورها الأبنية والسياقات ثم وجّهت الدلالة التفسيرية نحو المراد، فتفردت معاني القرآن بها وتنّوعت أقسامها على وفق التخصص، فأصبحت بمثابة الشكل الذي احتضن المقصد التفسيري، أي كانت الدلالة التفسيرية بمثابة المضمون. ومن هنا كان الإعجاز، حيث أصبحت معاني القرآن الكريم قوالب للقصدية التفسيرية.

وهذا ما نهد البحث بمهمته ،و الحمد لله أولا و أخرا

المصادر والمراجع

خير ما نبتدئ به القرآن الكريم

١. الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، د. عبد القادر فيدوح، سوريا، دمشق، ١٤١٢هـ.

٢. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن) (ت٩١١هـ)، تحقيق: سعيد المندوب، ط١، دار الفكر، لبنان ١٤١٦هـ.

٣. أثر البواعث في تكوين الدلالة البيانية، د. صباح عباس جودي عنوز، ط١، دار الضياء، النجف الاشرف، العراق، ١٤٢٨هـ.

٤. الاحتجاج، الطبرسي (أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (ت٥٤٨هـ) تعليق: محمد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف الاشرف، ١٣٨٦هـ.

٥. أحكام القران،الجصاص (ابو بكر احمد بن علي الرازي) (ت٣٧٠ هـ)،ط١،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان١٤١٥ هـ.

٦. أدب الكاتب، ابن قتيبة الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم) (ت٢٧٦هـ) شرح: علي ناعور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ

٧. إرشاد الأذهان إلى احكام الايمان، العلامة الحلي (أبو منصور الحسن بن يوسف بن المظهر الاسدي، (ت٧٢٦هـ) تحقيق: فارس حسون، مطبعة ونشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط١، ١٤١٠هـ.

٨. أساليب البيان في القرآن، السيد جعفر السيد باقر الحسيني، ط١، مؤسسة الطباعة والنشر، طهران، ١٤١٣هـ.

٩. أساليب المعاني في القرآن، السيد جعفر السيد باقر الحسيني، ط١، مؤسسة بوستان كتاب، ايران، ١٤٢٨هـ.

١٠. الاستبصار فيما اختلف من الاخبار،الشيخ الطوسي (أبو جعفر محمد بن الحسن، ت٤٦٠هـ)، تحقيق: حسن الخرسان، مطبعة خورشيد، ط٤، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٩٠هـ.

١١. الاشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد بن علي بن محمد الجرجاني

(ت٧٢٩هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤٢٣هـ.
١٢. الأصفى في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني (المولى محمد محسن، ت١٠٩١هـ)، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، قم، ط١، مكتب الاعلام الإسلامي، ١٤١٨هـ.
١٣. أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، د. محمد حسين علي الصغير مع كتاب (علم المعاني بين الأصل النحوي والموروث البلاغي)، ط١، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ.
١٤. اصول التفسير وقواعده،الشيخ خالد عبد الرحمن العك،ط٤،دار النفائس،بيروت،١٤٢٤ه
١٥. الأصول العامة للفقه المقارن، السيد محمد تقي الحكيم (ت١٤٢٢هـ)، ط٢، مؤسسة آل البيت عليهم السلام للطباعة والنشر، ١٤٠٠هـ.
١٦. أصول الفقه، الشيخ محمد رضا المظفر (ت١٣٨٨هـ)، ط٣، دار النعمان، النجف الاشرف، ١٣٩٠هـ.
١٧. أضواء البيان، الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ.
١٨. إعانة الطالبين، أبو بكر البكري الدمياطي (ت١٣١٠هـ)، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ.
١٩. الاعتقادات، الشيخ الصدوق (أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ت٣٨١هـ)، تحقيق: عصام عبد السيد، ط٢، دار المفيد، بيروت، لبنان: ١٤١٤هـ.
٢٠. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الازرق، (بنت الشاطئ) د. عائشة عبد الرحمن، ط٢، دار المعارف.
٢١. الإعجاز القرآني (بحوث المؤتمر الأول للاعجاز القرآني المعقود ببغداد للفترة من ٢١-٢٦ رمضان ١٤١٠هـ.
٢٢. اعجاز القرآن، الباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيّب، ت٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد

احمد صقر، ط٣، دار المعارف، مصر.
٢٣. الاعلام بما اتفق عليه الامامية من الأحكام، الشيخ المفيد (محمد بن محمد النعمان ابن المعلم ابي عبد الله العكبري البغدادي، ت٤١٣هـ)، تحقيق: الشيخ محمد الحسون، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ.
٢٤. الأغاني، أبو الفرج الاصفهاني، ط٢، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٧٤هـ.
٢٥. الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، الشيخ الطوسي (أبو جعفر محمد بن الحسن، ت٤٦٠هـ)، مطبعة الخيام، قم، منشورات مكتبة جامع جهلستون، طهران، ١٤٤٠هـ.
٢٦. اقتصادنا، السيد محمد باقر الصدر (ت١٤٠٢هـ)، تحقيق وطبع: مكتب الاعلام الاسلامي، خراسان، ط٢، مؤسسة بوستان، كتاب، قم، ١٤٢٥هـ.
٢٧. الأمالي، الشيخ الطوسي (ابو جعفر محمد بن الحسن، ت٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، ط١، دار الثقافة للطباعة والنشر، قم، ١٤١٤هـ.
٢٨. إمتاع الإسماع، المقريزي (تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد، ت٨٤٥هـ)، تحقيق محمد عبد الحميد النميسي، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ.
٢٩. الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي (ت٤٠٠هـ)، ط١،دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ.
٣٠. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، معاصر، ط٢، قسم الترجمة والنشر لمدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام
٣١. إملاء ما مَنّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، ابو البقاء العكبري (عبد الله بن الحسن، ت٦١٦هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ.
٣٢. الانتصار، الشريف المرتضى، علم الهدى (علي بن الحسين الموسوي البغدادي، ت٤٣٦هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ١٤١٥هـ.
٣٣. الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، ابن منير الاسكندري (الامام ناصر

الدين أحمد بن محمد المالكي، ت٦٨٣هـ)، الطبعة الاخيرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٥هـ.
٣٤. الايضاح في علوم البلاغة(المعاني والبيان والبديع) الخطيب القزويني، (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر، ت٧٣٩هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ.
٣٥. بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الاطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي، (ت١١١١هـ)، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ.
٣٦. بداية المعارف الالهية في شرح عقائد الامامية (محضرات السيد محسن الخرازي)، الشيخ محمد رضا المظفر (ت١٣٨٨هـ)، ط٥، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٨هـ.
٣٧. بديع القرآن، ابن ابي الاصبع، تحقيق: حنفي شرف، ط١، مكتبة نهضة مصر.
٣٨. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (بدر الدين محمد بن عبد الله، ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط١، دار احياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ.
٣٩. البلاغة، ابو العباس محمد بن يزيد المبرد، (ت٢٨٥هـ)، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، ط١، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٣٨٥هـ.
٤٠. البلاغة تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف، ط٨، دار المعارف، القاهرة.
٤١. البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، د. عبد العاطي غريب علي علام، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٣هـ.
٤٢. البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم المعاني)، د. بكري الشيخ أمين، ط٣، دار العلم للملايين، ١٤١٠هـ.
٤٣. البلاغة عند السكاكي، د. أحمد مطلوب، منشورات مكتبة النهضة، مصر.
٤٤. البلاغة فنونها وأفنانها(علم المعاني)، د. فضل حسن عباس، ط٣، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، الاردن، ١٤١٣هـ.
٤٥. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري واثرها في الدراسات البلاغية، د.محمدحسنين موسى ،دارالفكرالعربي .
٤٦. البلاغة من منابعها(علم المعاني)، د. محمد هيثم غرّة، ط١، دار البشائر للطباعة

والنشر، ١٤٢٠هـ.
٤٧. البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب ود. كامل حسن البصير، ط٢، ١٤١٠هـ.
٤٨. البليغ في المعاني والبيان والبديع، الشيخ أحمد الشيرازي، ط١، مطبعة مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤٢٢هـ.
٤٩. البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي (ابو القاسم الموسوي، ت١٤١٢هـ)، ط٤، دار الزهراء للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ.
٥٠. البيان والتبيين، الجاحظ (ابو عثمان عمرو بن بحر، ت٢٥٥هـ)، تحقيق: حسن السندوبي، دار الفكر، بيروت، لبنان.
٥١. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي (محيي الدين ابو منفي السيد محمد مرتضى الحسيني، ١٢٠٥هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٤هـ.
٥٢. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة (ابو محمد عبد الله بن مسلم، ت٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد صقر ، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ١٣٧٣هـ.
٥٣. التبيان في آداب حملة القرآن، النوري (ابو زكريا بن شرف، ت٦٧٦هـ)، ط٣، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ.
٥٤. التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي (ابو جعفر محمد بن الحسن، ت٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب العاملي، ط١، مكتب الاعلام الاسلامي، ١٢٠٩هـ.
٥٥. تذكرة الفقهاء (طبعة جديدة)، العلامة الحلي (الحسن بن يوسف بن المطهر الاسدي، ت٧٢٦هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، مطبعة مهر، قم، ط١، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، قم، ١٤١٤هـ.
٥٦. التسهيل لعلوم التنزيل، الغرناطي الكلبي (ت٧٤١هـ)، مطبعة: لبنان، دار الكتاب العربي، ط٤، نشر: دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ.
٥٧. التشيّع (نشوءه ـ مراحله ـ مقوماته)، السيد عبد الله الغريفي، ط٧، دار المعارف بيروت، ١٤٢١هـ.
٥٨. التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي، ط٥، دار عمار، عمان، ١٤٢٨هـ.

٥٩. تفسير الآلوسي، الآلوسي (ت١٢٧٠هـ).
٦٠. تفسير ابن كثير، ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير، ت٧٧٤هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ
٦١. تفسير ابي السعود،ابو السعود(محمد بن محمد العمادي ، ت٩٥١ هـ)،دار احياء التراث العربي ،بيروت ،لبنان.
٦٢. تفسير الامام العسكري ،المنسوب الى الامام العسكري (ع) ت٢٦٠ هـ ،تح و نشر مدرسة الامام المهدي (عج)، قم المقدسة ،ط١، ١٤٠٩ هـ
٦٣. تفسير البحر المحيط، أبو حيان الاندلسي، (ت٧٤٥هـ)، مصر، ١٣٢٨هـ.
٦٤. التفسير البياني للقران الكريم ،د.عائشة عبدالرحمن(بنت الشاطئ)،مطبعة دار المعارف،مصر،١٣٨٣ هـ
٦٥. تفسير البيضاوي (انوار التنزيل وأسرار التأويل)، البيضاوي (ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر، ت٦٨٢هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٨٨هـ.
٦٦. تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، الثعالبي (عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف المالكي، ت٨٧٥هـ)، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان: ١٤١٨هـ.
٦٧. تفسير الثعلبي، الثعلبي (ت٤٢٧هـ)، تحقيق: محمد بن عاشور، مطبعة ونشر: دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ.
٦٨. تفسير الجلالين، جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي(ت٨٦٤هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان .
٦٩. تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن، ت٥٤٨ هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الاسلامي، قم.
٧٠. تفسير الرازي (التفسير الكبير) الفخر الرازي (محمد فخر الدين عمر خطيب، ت٦٠٦هـ)، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٧١. تفسير السلمي، السلمي (ت٤١٢هـ)، تحقيق: سيد عمران، مطبعة لبنان، بيروت،

دار الكتب العلمية، ط١، نشر: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ.
٧٢. تفسير السمرقندي، ابوالليث السمرقندي (ت٣٨٣هـ)، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.
٧٣. تفسير السمعاني، السمعاني (ت٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن ابراهيم، المطبعة السعودية، دار الوطن، الرياض، نشر: دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ.
٧٤. تفسير سورة الحمد، السيد محمد باقر الحكيم (ت ١٤٢٣هـ)، ط١، المطبعة شريعت، قم، ١٤٢٠هـ.
٧٥. تفسير شبر، السيد عبد الله شبر (ت١٢٤٢هـ)، مراجعة: د. حامد حنفي داود، ط٣، مطبوعات القاهرة، ١٣٨٥هـ.
٧٦. التفسير الصافي، الفيض الكاشاني (المولى محسن، ت١٠٩١هـ)، تعليق: الشيخ حسن الاعظمي، ط٢، مؤسسة الهادي، قم المقدسة، ١٤١٦هـ.
٧٧. تفسير العز بن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ت٦٦٠هـ)، تحقيق:عبدالله الوهبي،مطبعة بيروت ط١، دار ابن حزم، ١٤١٦هـ.
٧٨. تفسير العياشي، العياشي (محمد بن ٥سعود بن عياش السلمي السمرقندي، ت٣٢٠هـ)، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الاسلامية، طهران، ١٣٧٥هـ.
٧٩. تفسير غريب القرآن، فخر الدين الطريحي (ت١٠٨٥هـ)، تحقيق: محمد كاظم الطريحي.
٨٠. تفسير فرات الكوفي، فرات الكوفي (ابو القاسم فرات بن ابراهيم بن فرات الكوفي، ٣٥٢هـ)، ط١، طهران، ايران، ١٤١٠هـ.
٨١. تفسير القرآن الكريم، السيد مصطفى الخميني (ت١٣٩٨هـ)، تحقيق: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الامام الخميني، ط١، مؤسسة العروج، ١٤١٨هـ.
٨٢. تفسير القرطبي(الجامع لاحكام القران)، القرطبي (ابو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري، (ت٦٧١هـ)، تحقيق: احمد عبد العليم البردوني، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ.
٨٣. تفسير القمي، علي بن ابراهيم القمي (ابو الحسن، ت٣٢٩هـ)، تحقيق: طيّب

الموسوي الجزائري، ط٣، مؤسسة دار الكتاب، قم، ايران، ١٤٠٤هـ.
٨٤. تفسير الكريم الرحمن في كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق: ابن عثيمين، مطبعة بيروت، مؤسسة الرسالة ،نشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ.
٨٥. تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري (ابو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد، (ت ٥٣٨ هـ)، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٧هـ.
٨٦. تفسير كنز الدقائق، الميرزا محمد المشهدي (ت١١٢٥هـ)، تحقيق: آقا مجتبى العراقي، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ١٤٠٧هـ.
٨٧. تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر المخزومي (ت١٠٤هـ)، مجمع البحوث الاسلامية، اسلام آباد، باكستان.
٨٨. تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي (ابو علي الفضل بن الحسن، ت٥٤٨هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٠٥ هـ.
٨٩. تفسير النسفي، النسفي (عبد الله بن احمد بن محمود، ت٥٣٧هـ)، دار الفكر العربي، بيروت.
٩٠. تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي (عبد علي بن جمعة العروسي، ت١١١٢هـ)، تعليق: هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة اسماعليان، قم، ايران.
٩١. التفسير والمفسرون، الشيخ محمد هادي معرفة، تنقيح: قاسم النوري، ط١، مؤسسة الطبع والنشر في الاستانة الرضوية، ١٤١٩هـ.
٩٢. التفكير البلاغي عند العرب اسسه وتطوره إلى القرن السادس، حماد صمود، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ١٤٠١هـ.
٩٣. تقريرات آية الله المجدد الشيرازي، المولى علي الروزدري (ت١٢٩٠هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، قم، ط١، ١٤٠٩هـ.
٩٤. تقريب المعارف، ابو الصلاح الحلبي، (تقي بن نجم الحلبي، ت٤٤٧هـ)، تحقيق: فارس الحسون، نشر: المحقق، ١٤١٧هـ.

٩٥. تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، ت٧٣٩هـ)، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ.
٩٦. تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، مطبعة لبنان، دار الكتب العلمية، نشر: دار الكتب العلمية.
٩٧. تهذيب الاحكام، الشيخ الطوسي (ابو جعفر محمد بن الحسن، ت٤٦٠هـ)،تحقيق السيد حسن الخرسان،مطبعة خورشيد، ط٣، دار الكتب الاسلامية، طهران، ١٣٩٠هـ.
٩٨. تهذيب الاصول (تقرير بحث السيد الخميني) (ت١٤١٠هـ)، جعفر السبحاني، ط٣، دار الفكر، قم، ١٣٦٧هـ.
٩٩. تهذيب الاصول، السيد عبد الاعلى السبزواري (ت١٤١٣هـ)، ط٣، ١٤١٧هـ.
١٠٠. التوحيد، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق: السيد الحسيني الطهراني، نشر: جماعة المدرسين، قم، ١٣٨٧هـ.
١٠١. ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر.
١٠٢. الثمر الداني في تقريب المعاني، الآبي الزهري (صالح عبد السميع، ت١٣٣٠هـ)، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان.
١٠٣. جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري (ابو جعفر محمد بن جرير، ت٣١٠هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ.
١٠٤. جامع الخلاف والوفاق بين الامامية وأئمة الحجاز والعراق، علي بن محمد القمي السبزواري (القرن السابع)، تحقيق: حسين الحسيني، مطبعة باسدار، اسلام، قم، ط١، انتشارات زمينة .
١٠٥. الجامع لجوامع العلوم والمباني، محمد مهدي التراقي (ت١٢٠٩هـ)، ١٣١٧هـ.
١٠٦. الجامع للشرايع، يحيى بن سعيد الحلي (ت٦٩٠هـ)، تحقيق: ثلة من الفضلاء (اشراف جعفر سبحاني)، المطبعة العلمية، قم، نشر: مؤسسة سيد الشهداء العلمية، ١٤٠٥هـ.

١٠٧. جامع المدارك، السيد احمد الخوانساري، (ت ١٤٠٥هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، ط٢، مكتبة الصدوق، طهران، ١٣٥٥هـ.
١٠٨. الجمع بين الصلاتين، عبد اللطيف البغدادي، معاصر، ط١، ار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٧هـ.
١٠٩. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، ط١٢، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
١١٠. جواهر الفقه، القاضي ابن البراج (عبد العزيز الطرابلسي، ت٤٨١هـ)، تحقيق: ابراهيم البهادري، ط١، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١١هـ.
١١١. جواهر الكلام، الشيخ الجواهري، (محمد حسن النجفي، ت١٢٦٦هـ، دار الكتب الاسلامية، طهران، ١٣٦٧هـ.
١١٢. الجوهر النقي، المارد يني (علاء الدين بن علي بن عثمان، ت٧٥٠هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
١١٣. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، الدسوقي (شمس الدين الشيخ محمد عرفة، ت١٢٣٠هـ)، دار احياء الكتب العربية.
١١٤. الحاشية على الكشاف، الشريف الجرجاني (علي بن محمد بن علي زين الدين ابي الحسن الحسيني، ت٥٣١هـ)، الطبعة الاخيرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨٥هـ.
١١٥. الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، المحقق البحراني (الشيخ يوسف البحراني، ت١١٨٦هـ)، نشر: مؤسسة النشر الاسلامي، قم.
١١٦. حقائق التأويل في متشابه التنزيل، الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ)، شرح: محمد رضا كاشف الغطاء، دار المهاجر للطباعة والنشر.
١١٧. الخصائص، ابن جني (ابو الفتح عثمان،ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،١٣٧١ هـ.
١١٨. خصائص الوحي المبين، الحافظ ابن البطريق (شمس الدين يحيى بن الحسن الاسدي الربعي الحلي، ت٦٠٠هـ)، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي، ط١، مطبعة نكين، قم، ١٤١٧هـ.

١١٩. خلاصة الايجاز في المتعة، الشيخ المفيد (ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري، ت٤١٣، تحقيق: علي أكبر زماني، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ.
١٢٠. الخلاف، الشيخ الطوسي (ابو جعفر محمد بن الحسن ت٤٦٠هـ)، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ١٤٠٧هـ.
١٢١. دائرة المعارف الاسلامية، محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ط٤، ١٣٨٦هـ.
١٢٢. دراسات بلاغية، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، ط٢، مؤسسة المختار، القاهرة، ١٤٢٦هـ.
١٢٣. دراسات في أصول الفقه، السيد محمد الكلنتر، (ت١٤٢٠هـ)، مطبعة النجف الاشرف، ١٣٨٨هـ.
١٢٤. دراسات في علوم القرآن الكريم، د. محمود البستاني، ط١، مطبعة البقيع، الناشر: مدينة العلم، ١٤٢٧هـ.
١٢٥. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ).
١٢٦. دروس في البلاغة، معين دقيق العاملي، مطبعة توحيد، قم، ط٢، المركز العالمي للدراسات الاسلامية، ١٤٢٥هـ.
١٢٧. دفاع عن البلاغة، احمد حسن الزيات، ط٢، عالم الكتب، القاهرة، ١٣٨٧هـ.
١٢٨. دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، ت٤٧١او٤٧٤هـ)، تعليق: محمود محمد شاكر، ط٣، مطبعة المدني، مصر، ١٤١٣هـ.
١٢٩. دلائل الامامة، محمد بن جرير الطبري (الشيعي، ت ق٤)، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية، مؤسسة البعثة، قم، ط١، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ١٤١٣هـ.
١٣٠. ديوان طرفة بن العبد، مطبعة الشركة اللبنانية، بيروت، ط١، ١٣٨٨هـ.
١٣١. الرسالة، الامام الشافعي (محمد بن ادريس، ت٢٠٤هـ)، تحقيق: احمد محمد

شاكر، نشر: المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
١٣٢. الرسالة السعدية، العلامة الحلي (ت٧٢٦هـ)، تحقيق: محمود المرعشي، مطبعة: بهمن، قم، ط١، كتابخانة، مرعشي نجفي، قم، ١٤١٠هـ.
١٣٣. رسالة في الامامة، الشيخ عباس (نجل الشيخ حسن صاحب كتاب أنوار الفقاهة، ت١٣٢٣هـ)، بلا.
١٣٤. رسائل المرتضى، الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ)، تحقيق: احمد الحسيني، مطبعة سيد الشهداء، قم، نشر: دار القرآن الكريم، قم، ١٤٠٥.
١٣٥. الروضة في فضائل أمير المؤمنين، شاذان بن جبرئيل القمي (ابن شاذان، ت٦٦٠هـ)، تحقيق: علي الشكرجي، ط١، ١٤٢٣ .
١٣٦. روضة الطالبين، النووي (ابو زكريا يحيى بن شرف، ت٦٧٦هـ)، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٣٧. روضة الواعظين، الفتال النيسابوري (محمد ابن الفتال، ت٥٠٨هـ)، تحقيق: محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم.
١٣٨. رياض المسائل في بيان احكام الشرع بالدلائل، السيد علي الطباطبائي، (ت١٢١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الاسلامي، ط١، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ١٤١٢هـ.
١٣٩. زاد المسير في علم التفسير، ابن اجوزي (ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي، ت٥٩٧هـ)، ط١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ.
١٤٠. زبدة الاصول، الشيخ البهائي (بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد، ت١٠٣١هـ)، تحقيق: فارس حسون كريم، ط١، الناشر: مرصاد، ١٤٢٣هـ.
١٤١. زبدة البيان في أحكام القرآن، المقدس الاردبيلي (احمد بن محمد، ت٩٩٣هـ)، تحقيق: محمد باقر البهبودي، نشر: الممكتبة الرضوية، طهران.
١٤٢. السرائر، ابن ادريس الحلي، (أبو جعفر محمد بن منصور، ت٥٩٨هـ)، تحقيق: لجنة التحقيق، مطبعة مؤسسة النشر الاسلامي، ط٢، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٠هـ.

١٤٣. سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي (عبد الله بن محمد، ت٤٦٦هـ)، مطبعة محمد علي صبيح، مصر، ١٣٧٢هـ.
١٤٤. سنن ابن ماجة،محمد بن يزيد القزويني ت٢٧٣ هـ.،تحقيق و تعليق محمد فؤاد عبد الباقي ،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع.
١٤٥. سنن الدارقطني،الدارقطني(الامام الحافظ علي بن عمر ت ٣٨٥ هـ) ط١ دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٤١٧ هـ
١٤٦. شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام،، المحقق الحلي (ت٦٧٦هـ) تحقيق: السيد صادق الشيرازي، المطبعة: أمير، قم، ط٢، نشر: استقلال طهران، ١٤٠٩هـ.
١٤٧. شرح ابن عقيل، ابن عقيل الهمذاني (بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي، ت٧٦٩هـ)، ط١٤، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٨٤هـ.
١٤٨. شرح الاسماء الحسنى، الملا هادي السبزواري (ت١٣٠٠هـ)، منشورات مكتبة بصيرتي، قم، ايران، طبعة حجرية.
١٤٩. شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني (ت١٠٨١هـ)، تحقيق: الميرزا ابو الحسن الشعراني، مطبعة دار احياء التراث العربي، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ.
١٥٠. شرح اللمعة الدمشقية، الشهيد الثاني (زين الدين الجبعي العاملي، ت٩٦٥هـ)، ط٢، ١٣٩٨هـ.
١٥١. شرح المختصر سعد لدين التفتازاني (ت٧٩١هـ)، نشر: اسماعيليان، ١٤٢٧هـ.
١٥٢. شرح مسلم، النووي (ت٦٧٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ.
١٥٣. شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط١، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ١٣٧٨هـ.

١٥٤. شروح التلخيص، سعد الدين التفتازاني (ت٧٩١هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر.
١٥٥. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض (ت٥٤٤هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ.
١٥٦. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحسكاني (الحافظ المعروف بالحاكم الحسكاني، ت القرن الخامس)، ط١، ١٤١١هـ.
١٥٧. الصاحبي، ابن فارس (ابو الحسين احمد بن فارس، ت٣٩٥هـ)، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٨هـ.
١٥٨. الصحاح، الجوهري (اسماعيل بن حماد، ت٣٩٣هـ)، تحقيق: احمد عبد الغفور العطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ.
١٥٩. صحيح مسلم، مسلم النيسابوري (ابو الحسين مسلم بن الحجاج، ت٢٦١هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
١٦٠. صراط النجاة (استفتاءات السيد الخوئي)، الميرزا جواد التبريزي، معاصر، مطبعة سلمان الفارسي، ط١ ١٤١٦هـ.
١٦١. الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل، ت٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم، ط١، دار احياء الكتب العربية، ١٣١٧هـ.
١٦٢. الصورة الفنية في المثل القرآني (دراسة نقدية بلاغية)، د. محمد حسين علي الصغير، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٤٠١هـ.
١٦٣. عبد القاهر وجهوده في البلاغة العربية، أحمد أحمد بدوي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطابع الاستاتوماس، ط٢.
١٦٤. عقائد الامامية، الشيخ محمد رضا المظفر (ت١٣٨١هـ)، تحقيق: د. حامد حفني داود، مؤسسة انصاريان، قم، ايران.
١٦٥. علم الامام، الشيخ محمد حسين المظفر (ت١٣٨١هـ)، ط٢، دار الزهراء للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ.
١٦٦. علم البديع، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، مصر، ١٤٢٤هـ.

١٦٧. علم المعاني (دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني)، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، ط٢، مؤسسة المختار للنشر، القاهرة، ١٤٢٥هـ.
١٦٨. علم المعاني، درويش الجندي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.
١٦٩. علم المعاني، عبد العزيزعتيق، ط١ ، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٠هـ.
١٧٠. علم المعاني وأساليبه البلاغية، د. طاهر عبد الرحمن قحطان، ط١، مكتبة الارشاد، الجمهورية اليمنية، ١٤١٨هـ.
١٧١. علوم البلاغة، احمد مصطفى المراغي، ط١، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ.
١٧٢. علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم (١٤٢٣هـ)، ط٣، مؤسسة الهادي، قم، ١٤١٧هـ.
١٧٣. العمدة، ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٧٤هـ.
١٧٤. الغدير، الشيخ عبد الحسين الأميني (ت١٣٩٢هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٧٩هـ.
١٧٥. غنية النزوع إلى علمي الأصول والفروع، ابن زهرة الحلبي (السيد حمزة بن علي، ت٥٨٥هـ)، تحقيق: ابراهيم البهادري، مطبعة اعتماد، قم، ط١، مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ١٤١٧هـ.
١٧٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري، شهاب الدين ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، مطبعة ونشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢.
١٧٧. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، الشوكاني (محمد بن علي بن محمد، ت١٢٥٥هـ)، بلا.
١٧٨. الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، (ت٤٢٩هـ).
١٧٩. الفصول الغروية في الاصول الفقهية، الحائري (الشيخ محمد حسين بن عبد الرحيم الطهراني، ت١٢٥٠هـ، دار احياء العلوم الاسلامية، قم، ايران، ١٤٠٤هـ.

١٨٠. فقه الصادق، السيد محمد صادق الحسيني الروحاني، معاصر، المطبعة العلمية ،ط٣، ١٤١٢هـ.
١٨١. فقه القرآن، القطب الراوندي (ابو الحسين سعيد بن هبة الله، ت٥٧٣هـ، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مطبعة الولاية، قم، ط٢، ١٤٠٥هـ.
١٨٢. فن البلاغة، د. عبد القادر حسين، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة.
١٨٣. فنون التصوير البياني، د. توفيق الفيل، ط١، منشورات ذات السلاسل للطباعة والنشر، الكويت، ١٤٠٧هـ.
١٨٤. في البلاغة العربية (علم المعاني)، د. محمود أحمد نحلة، ط١، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ.
١٨٥. القاموس المحيط، الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب، ت٨١٧هـ)، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢هـ.
١٨٦. القرآن في الاسلام، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤١٢هـ)، تعريب السيد احمد الحسيني، ط١، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٣٩٣هـ.
١٨٧. قواعد الاحكام، العلامة الحلي (ابو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الاسدي، ت٧٢٦هـ)، ط١، مؤسسة النشر الاسلامي ، ١٤١٣هـ.
١٨٨. قواعد البلاغة على ضوء القرآن والسنة، الشيخ مصطفى النوراني، ط١، مكتب أهل البيت، قم، ١٤٢٢هـ.
١٨٩. القواعد البلاغية في ضوء المنهج الاسلامي، د. محمود البستاني، ط١، مجمع البحوث الاسلامية، ايران، مشهد، ١٤١٤هـ.
١٩٠. قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر الميبدي، ط١، نشر المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، طهران، ١٤٢٨هـ.
١٩١. قوانين الاصول، ميرزا ابو القاسم القمي (ت١٢١٣هـ)، مطبعة حجرية قديمة.
١٩٢. الكافي، الشيخ الكليني (ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق، ت٣٢٩هـ)، مطبعة حيدري، ط٣، دار الكتب الاسلامية، طهران، ١٣٨٨.

١٩٣. الكافي الحلبي، ابو الصلاح الحلبي (ت٤٤٧هـ)، تحقيق: رضا استادي، نشر: مكتبة الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام، اصفهان.
١٩٤. كتاب الأم، الامام الشافعي (محمد بن ادريس، ت٢٠٤هـ، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ.
١٩٥. كتاب الخمس، الشيخ مرتضى الانصاري (ت١٢٨١هـ)، مطبعة باقري، قم، ط١، ١٤١٥هـ.
١٩٦. كتاب الشهادات الأول، الكلبايكاني (السيد محمد رضا الموسوي، ت١٤١٤هـ)، مطبعة سيد الشهداء، قم، ط١، الناشر: المؤلف، ١٤٠٥هـ.
١٩٧. كتاب الصلاة، السيد ابو القاسم الخوئي (ت١٤١٢هـ)،ط٣ مطبعة دار الهادي للمطبوعات، قم، ١٤١٠هـ.
١٩٨. كتاب العين، الفراهيدي (ابو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، ت١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. ابراهيم السامرائي، ط٢، مؤسسة دار الهجرة، ايران، ١٤٠٩هـ.
١٩٩. كشف الرموز في شرح المختصر النافع، حسن بن ابي طالب، مطبعة النشر الاسلامي، قم، ط١، ١٤١٠هـ.
٢٠٠. كشف اللثام عن قواعد الاحكام، الفاضل الهندي (بهاء الدين محمد بن الحسن الاصفهاني، ت١١٣٧هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ط١، ١٤١٦هـ.
٢٠١. كنز الفوائد، الكراجكي (ابو الفتح محمد بن علي، ت٤٤٩هـ)، مكتبة المصطفوي، قم، ط٢، ١٣٦٩هـ. (طبعة حجرية).
٢٠٢. لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن، ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٠٣. لسان العرب، ابن منظور (ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة، قم، ايران، ١٤٠٥.
٢٠٤. اللمعة الدمشقية، الشهيد الأول (محمد بن جمال الدين مكي العاملي، ت٧٨٦هـ)،مطبعة: قدس ،قم ط١، منشورات دار الفكر، ١٤١١هـ.

٢٠٥. المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم (دراسة مقارنة)، د. محمد حسين علي الصغير، ط٢، مكتب الاعلام الاسلامي، ١٤١٣هـ.
٢٠٦. المبسوط، السرخسي (شمس الدين، ت٤٨٣هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٠٦.
٢٠٧. المبسوط، الشيخ الطوسي (ابو جعفر محمد بن الحسن، ت٤٦٠هـ)، تحقيق: السيد محمد تقي الكشفي ،المطبعة الحيدرية، طهران، المكتبة المرتضوية، ١٣٨٧هـ.
٢٠٨. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الاثير (ابو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ.
٢٠٩. المجازات النبوية، الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ)، تحقيق: د. طه محمد الزيني، مكتبة بصيرتي، قم.
٢١٠. مجاز القرآن، ابو عبيدة (معمر بن المثنى، ت٢١٠هـ)، تعليق: د. محمد فؤاد، ط١، الناشر: محمد سامي أمين المكتبي، مصر، ١٣٧٤هـ.
٢١١. مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية، د. محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ.
٢١٢. مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي (ت١٠٨٥هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، ط٢، مكتب النشر: الثقافة الاسلامية، ١٤٠٨هـ.
٢١٣. المجموع شرح المهذب، النووي (ابو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، ت٦٧٦هـ)، دار الفكر، دمشق، سوريا.
٢١٤. المحلى - ابن حزم (ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم، ت٤٥٦هـ)، دار الفكر.
٢١٥. مختار الصحاح، الرازي (محمد بن ابي بكر بن عبد القادر، ت٧٢١هـ)، ضبط وتصحيح: احمد شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ.
٢١٦. مختصر المعاني، سعد الدين التفتازاني، مؤسسة التاريخ العربي،

بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ.
٢١٧. مختلف الشيعة، العلامة الحلي (أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهرالاسدي،ت٧٢٦) ط١،تحقيق ونشر مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ١٤١٢هـ.
٢١٨. مدارك الاحكام في شرح شرائع الاسلام، العاملي (السيد محمد بن علي الموسوي، ت١٠٠٩هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، مشهد، مطبعة مهر، قم، ط١، نشر: مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، قم، ١٤١٠هـ.
٢١٩. المراجعات، عبد الحسين شرف الدين الموسوي (ت١٣٧٧هـ)، تحقيق: حسين الراضي، ط٢، ١٤٠٢هـ.
٢٢٠. مسالك الافهام إلى تنقيح شرائع الاسلام، الشهيد الثاني (زين الدين بن علي العاملي، ت٩٦٥هـ)، تحقيق: مؤسسة المعارف الاسلامية، بهمن، قم، ط١، مؤسسة المعارف الاسلامية،قم،ايران، ١٤١٣هـ.
٢٢١. مستدرك سفينة البحار، علي النمازي الشاهرودي (ت١٤٠٥هـ)، تحقيق: حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ١٤١٨هـ.
٢٢٢. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي (ت١٣٢٠هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، ط١، نشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ.
٢٢٣. المستصفى في علم الاصول، الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد بن محمد، ت٥٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧ هـ.
٢٢٤. المسلك في أصول الدين، المحقق الحلي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق: رضا الاسدي، مؤسسة الطبع التابعة للاستانة الرضوية المقدسة، مجمع البحوث الاسلامية، مشهد، ايران، ١٤٢١ هـ.
٢٢٥. مشارق الشموس في شرح الدروس،المحقق الخوانساري (حسين بن جمال الدين محمد ت ١٠٩٩ هـ،مؤسسة ال البيت عليهم السلام لاحياء التراث.

٢٢٦. مشكاة الانوار في غرر الاخبار، علي الطبرسي (أبو الفضل، ت القرن٧)، تحقيق: مهدي هوشمند، مطبعة ونشر دار الحديث، ط١، ١٤١٨هـ.
٢٢٧. المصباح في المعاني والبيان والبديع، الدمشقي (أبو عبد الله بدر الدين بن مالك الشهير بـ(ابن الناظم، ت٦٨٦هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ.
٢٢٨. مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة)، الميرجهاني (حسن الميرجهاني الطباطبائي، ت١٣٨٨هـ)، نسخة مخطوطة، طبع، ١٣٨٨هـ.
٢٢٩. مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي (أبو جعفر محمد بن الحسن، ت٤٦٠ هـ)، ط١، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ.
٢٣٠. مصطلحات بلاغية، أحمد مطلوب، بغداد، ١٣٨٥هـ.
٢٣١. معالم التوحيد، الشيخ جعفر السبحاني، ط٢، دار الاضواء، بيروت، ١٤٠٤هـ.
٢٣٢. المعالم الجديدة للاصول (دروس تمهيدية في علم الاصول)، السيد محمد باقر الصدر (ت١٤٠٠هـ)، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف، ط٢، ١٣٩٥هـ.
٢٣٣. معالم الدين وملاذ المجتهدين، ابن الشهيد الثاني (جمال الدين الحسن نجل الشهيد الثاني، ت١٠١١هـ)، تحقيق: لجنة التحقيق، نشر: مؤسسة النشر الاسلامي.
٢٣٤. المعاني في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، ط٣، دار المعارف، ١٣٩٨هـ.
٢٣٥. معاني القرآن، الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد، ت٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار السرور.
٢٣٦. معاني القرآن الكريم، أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط١، معهد البحوث العلمية، ١٤٠٨هـ.

٢٣٧. معجزة القرآن، الشيخ متولي شعراوي، ط١، المختار الاسلامي للطباعة والنشر، ١٣٩٨هـ.
٢٣٨. المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، اويس كريم محمد، مطبعة مؤسسة الطبع في الاستانة الرضوية المقدسة، ط١، مجمع البحوث الاسلامية، مشهد، ايران، ١٤٠٨هـ.
٢٣٩. المغني، عبد الله بن قدامة (ت٦٢٠هـ)، طبعة جديدة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
٢٤٠. مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، ابن هشام الانصاري (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف،ت٧٦١ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ايران، ١٤٠٤هـ.
٢٤١. مغني المحتاج إلى معرفة معاني الفاظ المنهاج، الشربيني (محمد بن أحمد الخطيب، ت٩٧٧)، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٧٧هـ.
٢٤٢. مفتاح العلوم، السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي، ت٦٢٦هـ)، تحقيق وتقديم وفهرسة: د. عبد الحميد الهنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ.
٢٤٣. مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة ،السيد محمد جواد الحسيني العاملي ت ١٢٢٦ هـ. تحقيق الشيخ محمد باقر الخالصي، طبع و نشر مؤسسة النشر الاسلامي،ط١ ١٤١٩ هـ.
٢٤٤. المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد، ت٥٠٢هـ)، ط١، دفتر نشر الكتاب، ١٤٠٤هـ.
٢٤٥. مقدمة التفسير، الراغب الاصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد، ت٥٠٢هـ)، مطبعة الجمالية، مصر، ط١، ١٣٢٩.

٢٤٦. المقنع، الشيخ الصدوق (أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ت٣٨١هـ)، تحقيق: لجنة التحقيق التابعة لمؤسسة الامام الهادي، مطبعة اعتماد، نشر: مؤسسة الامام الصادق، قم، ١٤١٥.
٢٤٧. المقنعة، الشيخ المفيد (أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري، ت٤١٣هـ)، ط٢، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٠هـ.
٢٤٨. الملل والنحل، الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر، ت٥٤٨هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٢٤٩. مناقب آل ابي طالب، ابن شهر آشوب (مشير الدين أبو عبد الله محمد بن علي، ت٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة من اساتذة النجف الاشرف، مطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، نشر: المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٧٦هـ.
٢٥٠. مناهج تجديد، أمين الخولي، مطبعة الطنائي، ط١، القاهرة، ١٣٧٩هـ.
٢٥١. مناهل العرفان، عبد الرحيم الزرقاني، ط٣، دار احياء الكتب العربية، القاهرة.
٢٥٢. من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، نشر: مكتبة نهضة مصر بالفجالة.
٢٥٣. من بلاغة النظم العربي (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني)، د. طاهر عبد الرحمن قحطان، ط١، مكتبة الارشاد، الجمهورية اليمنية، ١٤١٨هـ.
٢٥٤. منتهى الدراية في توضيح الكفاية، محمد جعفر الشوشتري الجزائري، ط٦، مؤسسة دار الكتاب (الجزائري) للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ.
٢٥٥. منتهى المطلب في تحقيق المذهب، العلامة الحلي (الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر، ت٧٢٦هـ)، تحقيق: قسم الفقه في مجمع البحوث

الاسلامية، مطبعة مؤسسة الطبع والنشر، ط١، مجمع البحوث الاسلامية، ايران، مشهد، ١٤١٢هـ.

٢٥٦. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق (أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ت٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط٢، مؤسسة النشر الاسلامي، قم المقدسة.

٢٥٧. منهاج الصالحين، السيد أبو القاسم الخوئي (ت١٤١٢هـ)، مطبعة مهر، قم، ط٢٨، ١٤١٠هـ.

٢٥٨. منهاج الصالحين و جيزة في عقائد الشيعة (فتوى السيد الخوئي)،الشيخ وحيد الخراساني،معاصر.

٢٥٩. منهاج الفقاهة، السيد محمد صادق روحاني، معاصر، المطبعة العلمية، ط٤، ١٤١٨هـ.

٢٦٠. منية المريد في أدب المفيد والمستفيد، الشهيد الثاني (الشيخ زين الدين بن علي العاملي، ت٩٦٦هـ)، تحقيق: رضا المختاري، مكتب الاعلام الاسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ.

٢٦١. المهذب، ابن البراج (الفقيه الاقدم القاضي عبد العزيز الطرابلسي، ت٤٨١هـ)، تحقيق: أشراف جعفر السبحاني، نشر: مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ١٤٠٦هـ.

٢٦٢. المهذب البارع في شرح المختصر النافع، ابن فهد الحلي (العلامة جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد، ت٨٤١هـ)، تحقيق: مجتبى العراقي، مؤسسة النشر الاسلامي،قم ١٤٠٧هـ.

٢٦٣. مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، الحطاب الرعيني (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي، ت٩٥٤هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ.

٢٦٤. مواهب الرحمن في تفسير القران،السيد عبدالاعلى الموسوي السبزواري(ت١٤١٤ هـ)،مطبعة الاداب ،النجف الاشرف،١٤٠٤ هـ

٢٦٥. الموسوعة الفقهية الميسرة، الشيخ محمد علي الانصاري، معاصر، مجمع الفكر الاسلامي، ط١، ١٤١٥هـ.

٢٦٦. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، ت١٤١٢هـ) منشورات جماعة المدرسين، قم المقدسة.

٢٦٧. النص الادبي من التكوين الشعري إلى انماط الصور البيانية وهيمنة التكوين الشعري (دراسات بيانية وتطبيقية،) د. صباح عباس عنوز، مطبعة دار الضياء للطباعة والتصميم، النجف الاشرف، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢٦٨. نظام الحكم في الإسلام،خلاصة كتاب دراسات في ولاية الفقيه و فقه الدولة الإسلامية ،المحقق أية الله العظمى المنتظري (معاصر)،تعليق لجنة الأبحاث الإسلامية في مكتب سماحته ،مطبعة هاشميون،ط١، ١٣٨٠ هـ.

٢٦٩. نظرات معاصرة في القرآن الكريم، د. محمد حسين علي الصغير، ط١، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ.

٢٧٠. النهاية، الشيخ الطوسي (أبو جعفر محمد بن الحسن، ت٤٦٠هـ)، انتشارات قدس محمدي، قم.

٢٧١. نهاية الايجاز في دراية الاعجاز، الرازي (فخر الدين محمد بن عمر، ت٦٠٦هـ)، مطبعة الآداب، ١٣١٧هـ.

٢٧٢. نهج البلاغة، خطب الامام علي عليه السلام (ت٤٠هـ)، تحقيق: شرح محمد عبدة، مطبعة النهضة، قم، ط١، دار الذخائر، قم، ايران، ١٤١٢هـ.

٢٧٣. الوافية في أصول الفقه الفاضل التوني (عبد الله بن محمد البشروي الخراساني، ت١٠٧١هـ)، تحقيق: محمد حسين الرضوي، مطبعة

مؤسسة اسماعيليان، ط١، (محققه): مجمع الفكر الاسلامي، ١٤١٢هـ.
٢٧٤. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة (آل البيت)، الحر العاملي (الشيخ محمد بن الحسن، ت١١٠٤هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، ط٢، مؤسسة آل البيت هـ. لاحياء التراث، قم المشرفة، ١٤١٤هـ.
٢٧٥. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة (الاسلامية)، الحر العاملي(الشيخ محمد بن الحسن، ت١١٠٤هـ)، تحقيق: الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي، ط٥، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ.
٢٧٦. الوسيلة إلى نيل الفضيلة، ابن حمزة الطوسي (أبو جعفر محمد بن علي، ت٥٦٠هـ)، تحقيق: محمد الحسون، مطبعة الخيام، قم، ط١، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، ١٤٠٨هـ.
٢٧٧. وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان (٦٨١هـ)، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، لبنان.
٢٧٨. الينابيع الفقهية، علي أصغر مروارید، معاصر، ط١، دار التراث، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ.

University of Kufa
College of Jurisprudence
Department of Shari'a and Islamic Sciences

The Interpretation Features in the Holy Quran Meanings

A Thesis Submitted to
The Council of the College of Jurisprudence\ University of Kufa
In Partial Fulfillment of the Requirements for the Master Degree in Shari'a and Islamic Sciences

By
Huda Abdul-Hussein Meer

Supervised by
Asst. Prof. Dr. Sabah Abbas Enouz

Asst. Prof. Dr. Sabah Abbas Enouz

1429A.H. **2008 A.D.**

The Interpretation Features in the Holy Quran Meanings

Huda Abdul-Hussein Meer

Abstract

The Holy Quran has come as an acme of the Arabic rhetoric and what it contains of meanings and eloquence. It proved its creative miracle challenging the gifts through rhetoric and semantics was privileged with its honour.

The Quranic research in it has increased the superiority of stature and the depth of study, so many interpreters paid attention to it and looked at it respectively. They found it one important source besides being one scientific approach to reach the interpretation intents.

My interest in this subject was a desire of me and longing to search in it. I tried to show the interpretation features in the Holy Quran and how can those meanings be a way leading to interpretation. I have found so many references and attitudes upon those interpreters through which they depended on semantics and made it one one way for reaching the meaning of the Quranic text.

The research plan was of methodology including an introduction, preface, three chapters and conclusion. All of them are characterized by the interpretive feature. The preface explained the research title, then came the three chapters. The first was entitled (The Interpretation Features on the Light of the Quran Meanings "Affecting and being Affected"), and was made of three chapters.

The second chapter came to investigate the interpretive characteristic in the fields of semantics and implied three topics also

implying the most of the topics semantics discusses. As for the third chapter, it was entitled (The Interpretive Funtions Specialized in Semantics). They are the legislative fuction, the jurisprudential function and the dogmatic function. Then comes the conclusion of the research where the researcher concluded that semantics has a prominent role in knowing the interpretation intents to reach the secret of the Quranic miracle, also it has some effects on the interpretation of the Quranic verses that indicate the principles of legislation, the Holy Quran, the Porophetic Sunna, cosensus, and mind), the verses that refer to the jurisprudential judgements, and the verses that refer to the dogmatic principles. Hence it indispensable for the interpreter be aware of semantics to reach the accurate interpretation.

The resoursces of my study were privileged with the holy Quranic verses, the honourable prophetic traditions, and the sayings of the infallible Imams (peace be upon them).They were distributed among the resources of interpretation, rhetoric, linguistics, literature, jurisprudence, dogmas and whatever required.

The last of our prayer is praise be to God, the Lord of the

Worlds